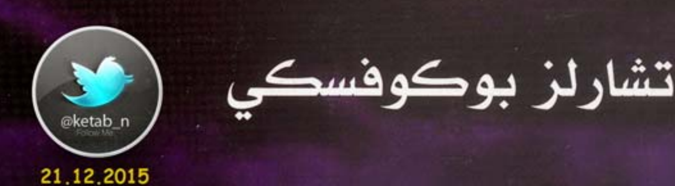


تشارلز بوكوفسكي

جنوب بلا شمال

قصص الحياة المدفونة

ترجمة
أماني لازار

منشورات الجمل

قصص

تشارلز بوكوفسكي

جنوب بلا شمال

قصص الحياة المدفونة

ترجمة

أماني لازار

منشورات الجمل

تشارلز بوكوفسكي: جنوب بلا شمال

تشارلز بوكوفسكي: جنوب بلا شمال، ترجمة: أماني لازار
الطبعة الأولى ٢٠١٦

Charles Bukowski: South of no North

تلفون وفاكس: ٣٥٢٣٠٤ ـ ٠١ ـ ٠٠٩٦١
ص.ب: ٥٤٣٨ ـ ١١٣ بيروت ـ لبنان

Postfach 1127 - 71687 Freiberg a. N. Germany
www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

وحدة

كانت إدنا تسير في الشارع وهي تحمل حقيبتها الخاصة بالبقالة، عندما مرّت بالسيّارة. رأت لافتة على النافذة الجانبية مكتوب عليها:

«مطلوب امرأة»

توقفت. وجدت قطعة كرتونية كبيرة ملصقةً على النافذة، أغلب حروفها مطبوعة بالآلة الكاتبة. لم تستطع قراءتها من مكان وقوفها على الرصيف. استطاعت أن ترى الحروف الكبيرة فقط:

«مطلوب امرأة»

كانت سيارة جديدة باهظة الثمن. داست إدنا على العشب محاولة قراءة الجزء المطبوع:

رجلٌ في التاسعة والأربعين من عمره. مطلّق. يرغب في لقاء امرأة بغرض الزواج، يجب أن تكون بين الخامسة والثلاثين والرابعة والأربعين من العمر. تحب مشاهدة التلفاز والرسوم المتحركة. تجيد الطهي. أعمل محاسباً في وظيفة مضمونة. أملك رصيداً في المصرف. أحب النساء اللاتي تميل أجسادهن إلى الامتلاء.

كانت إدنا ممتلئة الجسم في السابعة والثلاثين من عمرها. وُضع مع الإعلان رقم هاتف السيدْ الباحث عن المرأة وثلاث صور له. بدا رزيناً

إلى حد بعيد في البدلة وربطة العنق، وبليداً، وقاسياً بعض الشيء. مصنوع من الخشب، فكرت إدنا، «مصنوع من الخشب».

تابعت طريقها، تعلو وجهها ابتسامة صغيرة مع شعور بالاشمئزاز، وعند وصولها إلى البيت نسيت أمره. بعد بضع ساعات، وهي جالسةً في حوض الاستحمام فكرت بمدى صدق شعوره بالوحدة لدرجة أنه يقدم على فعل شيء مثل «**مطلوب امرأة**».

تخيّلته عائداً إلى المنزل ليجد فواتير الغاز والهاتف في صندوق البريد، يخلع ثيابه، يأخذ حماماً، يشعل التلفاز ثم يقرأ صحيفة المساء، يدخل المطبخ كي يطهو ببنطاله القصير محدقاً بالمقلاة، حاملاً طعامه متجهاً نحو الطاولة، يتناوله، يشرب قهوته، وربّما يشرب علبة بيرة واحدة قبل النوم، ملايين من الرجال مثله على امتداد مساحة أمريكا.

خرجت إدنا من حوض الاستحمام ملتفعة المنشفة، ارتدت ثيابها وغادرت شقتها. كانت السيارة ما تزال في مكانها، دوّنتْ اسم الرجل «جو لايت هيل» ورقم هاتفه. قرأت القسم المطبوع مرةً ثانيةً. «رسوم متحركة». أيّ تعبير غريب استخدمه! يقول الناس في هذه الأيام: «أفلام»، أمّا لافتته فكانت شديدة الوضوح «*مطلوب امرأة*»، يا له من مبدع!

بعد عودتها إلى البيت، شربت إدنا ثلاثة أكواب من القهوة قبل أن تتصل به، رن الهاتف مرات عدة.

«مرحباً» أجاب.

«السيد لايت هيل؟».

«نعم؟».

«رأيت إعلانك على السيارة».

«أوه، نعم».

«اسمي إدنا».

«كيف حالك إدنا؟».

«أنا بخير، الجو حار جداً، الطقس لا يطاق».

«نعم، إنه يجعل الحياة صعبة».

«حسناً سيد لايت هيل...».

«نادني جو فحسب».

«حسناً جو، ها ها ها، أشعر بالحماقة، هل تعلم سبب اتصالي؟».

«رأيت لافتتي؟».

«أقصد، هاهاها، ما هي مشكلتك؟ ألا تستطيع إيجاد امرأة؟».

«أظن لا، إدنا أخبريني، أين هنَّ؟».

«النساء؟».

«نعم».

«في كل مكان، أنت تعلم».

«أين؟ أخبريني أين؟».

«حسناً، في الكنيسة، أنت تعلم أن هناك نساء في الكنيسة».

«لا أحب الكنيسة».

«أوه».

«اسمعي، لماذا لا تأتين يا إدنا؟».

«تقصد أن آتيك؟».

«نعم، لدي منزل ظريف، يمكننا أن نشرب ونتحدث على راحتنا».

«الوقت متأخر».

«ليس متأخراً إلى هذا الحد، اسمعي، أنت رأيت لافتتي ولا بد أنها أثارت اهتمامك».

«حسناً...».

«أنت خائفة، هذا كل ما في الأمر، أنت خائفة فحسب».

«لا، أنا لست كذلك».

«إذن تعالي يا إدنا».

«حسناً...».

«تعالي».

«وهو كذلك، سأراك خلال ربع ساعة».

قرعت إدنا باب منزله، شقة طابقية حديثة، رقم ١٧، الأضواء انعكست من حوض السباحة في الأسفل، كان السيد لايت هيل أصلع الجبهة، أنفه معقوف مشعّر الفتحات، يرتدي قميصاً مفتوحاً عند الرقبة.

«ادخلي إدنا...».

دخلت وأغلق الباب، ارتدت فستاناً أزرق محبوكاً، في قدميها صندل من دون جوارب وتدخن سيجارة، قال: «اجلسي، سآتيك بشراب».

كان مكاناً لطيفاً. كل شيء فيه ملون بالأزرق والأخضر ونظيف *للغاية*، سمعَت السيد لايت هيل يهمهم وهو يخلط الشراب، بدا مسترخياً؛ وهذا ما منحها شعوراً بالارتياح، قدّم إليها مشروباً ثم جلس على كرسي قبالتها في الجانب الآخر من الغرفة، وقال: «نعم الجوّ حارّ، حار كالجحيم، رغمَ أنّي أمتلك مكيف هواء».

«لاحظت، هذا ظريف جداً».

«تناولي شرابك».

«أوه، نعم».

رشفت إدنا رشفة، كان شراباً جيداً قوياً بعض الشيء لكنّ مذاقه لطيف. شاهدت جو يميل برأسه وهو يشرب؛ بدت تجاعيده سميكة حول رقبته، بنطاله فضفاض جداً، مما منح ساقيه مظهراً مضحكاً.

«إنه فستان جميل يا إدنا».

«أعجبك؟».

«نعم، أنت ممتلئة الجسم، إنه مفصّل عليك ويلائمك».

جلسا ينظران إلى بعضهما ويرشفان شرابيهما بصمت، فكرت إدنا «لِمَ لا يتحدث؟ يجب عليه أن يتحدث، ثمة شيء متخشّب فيه!»، أنهت شرابها، قال جو: «دعيني أصبّ لك كأساً أخرى».

«لا، يجب عليَّ المغادرة».

«أوه، بالله عليك، دعيني أقدم لك مشروباً آخر، نحتاج إلى شيء لنسترخي».

«حسناً، لكن بعده سأغادر».

أخذ جو الكؤوس إلى المطبخ، لم يهمهم، عاد وقدم إليها مشروباً أقوى من سابقه وجلس على كرسيه أمامها.

«تعلمين، أنا أبلي بلاء حسناً في اختبارات الجنس».

رشفت إدنا من شرابها ولم تجب، سألها: «كيف تبلين في اختبارات الجنس؟».

«لم أجرِ أيّاً منها».

«لا بدّ أن تفعلي، ستكتشفين من أنت وما أنت عليه».

«هل تظن أن هذه الأشياء فعّالة؟ لقد رأيتها في الصحيفة، لم أجرِ أياً منها» قالت إدنا.

«بالطبع هي فعّالة».

«ربما لا أجيد الجنس، وربما لهذا السبب أنا وحيدة» أخذت رشفة طويلة من كأسها.

«كل واحد منا وحيد في النهاية» قال جو.

«ماذا تعني؟».

«أعني، مهما سارت الأمور على ما يرام على الصعيد الجنسي أو في الحبّ العقلانيّ أو في كليهما، سيأتي اليوم الذي ينتهي فيه كل شيء».

«هذا محزن» قالت إدنا.

«بالطبع، سيأتي اليوم الذي تنتهي فيه؛ إما بالانفصال أو أن كل الأشياء يتم حلها بالتسوية: شخصان يعيشان معاً دون أن يشعرا بأي شيء، أظن أنه من الأفضل أن تكون وحيداً»..

«هل طلقت زوجتك جو؟».

«لا، هي التي طلقتني».

«ما المشكلة؟».

«عربدة جنسية».

«عربدة جنسية؟».

«العربدة الجنسية هي المكان الأكثر عزلة في العالم. شعرت بمعنى اليأس ـ تلك الأيور تنزلق دخولاً وخروجاً، اعذريني..».

«لا بأس».

«تلك الأيور تنزلق دخولاً وخروجاً، سيقان مغلقة، أصابع وأفواه تعمل، كل شخص يتشبث ويتوق ويصمم على فعلها بشكل ما».

«لا أعلم الكثير عن هذه الأشياء يا جو» قالت إدنا.

«أؤمن بأن الجنس من دون الحب لا يعني شيئاً، يمكن للأشياء أن تكون ذات معنى إذا وُجدت بعض المشاعر بين الشركاء».

«هل تعني أن على الناس تبادل الإعجاب؟».

«هذا يساعد».

«لنفترض أنهم تعبوا من بعضهم؟ لنفترض أن *عليهم* أن يبقوا مع بعضهم؟ بسبب الاقتصاد؟ الأطفال؟ كل ذلك؟».

«العربدات لن تنفع».

«ما الذي ينفع؟»

«حسناً لا أعلم، ربما المقايضة».

«المقايضة؟».

«عندما يعرف زوجان بعضهما جيداً *جداً* ويتحولان إلى شريكين، فالمشاعر على الأقل لديها فرصة؛ على سبيل المثال لنقل إني أعجبت بزوجة مايك، وراقبت مشيتها في الغرفة مدة أشهرٍ، أحبّ حركاتها التي تجعلني فضولياً، وأتساءل: ماذا يجري مع هذه الحركات؟ رأيتها غضبى وسكرى وهادئة. وعندئذٍ المقايضة، أنتَ في غرفة النوم معها، أخيراً تعرفها، هناك فرصة لشيء ما حقيقي، بالطبع، مايك مع زوجتك في الغرفة الأخرى، حظاً سعيداً يا مايك، أتمنى أن تكون عاشقاً جيداً مثلي».

«وهذا يسير على ما يرام؟».

«حسناً، لا أعلم، قد تتسبب المقايضات بالمصاعب، عندئذٍ يجب الإفصاح عن كل شيءٍ، حديث صريح جداً منذ البدء، وربما لا يعلم الناس ما يكفي، مهما طالت أحاديثهم...».

«هل تعرف ما يكفي يا جو؟».

«حسناً، قد تكون هذه المقايضات جيدة لبعضهم وربما جيدة للكثيرين، أظن أنها لم تكن جيدة بالنسبة إليّ، أنا متحشّم كثيراً»..

أنهى جو شرابه، وضعت إدنا كأسها ونهضت.

«اسمع جو، يجب أن أذهب...».

مشى جو نحوها، بدا مثل فيل في ذلك البنطال، رأت أذنيه الكبيرتين، أمسك بها وقبّلها، انبعث نفسُه الكريه جداً رغم كل الشراب، جزء من فمه لم يكن يلامسها، كان قوياً وبذل جهداً، أبعدت رأسها ومع ذلك ظل ممسكاً بها.

مطلوب امرأة

«جو، دعني أذهب! أنت تتحرك بسرعة كبيرة، جو! دعني!».

«لماذا أتيت إلى هنا أيتها العاهرة؟».

حاول تقبيلها ثانيةً ونجح، كان فظيعاً. رفعت إدنا ركبتها ونالت منه، انقلب ووقع على السجادة.

«يا إلهي! يا إلهي! لماذا فعلت ذلك؟ حاولت قتلي...».

تدحرج على الأرض.

ما أبشع مؤخّرته، فكّرت. تركته يتدحرج على السجادة وغادرت المنزل، سمعت حديث الناس وأصوات تلفازاتهم، لم يكن الطريق بعيداً إلى شقتها. شعرت أنها في حاجة إلى حمام آخر، خلعت فستانها الأزرق المحبوك ونظفت نفسها ثم خرجت من الحوض، نشفت نفسها، ولفت شعرها بلفافات زهرية. قررت ألا تراه ثانية.

رهزٌ قبالة الستارة

تحدثنا عن نساء اختلسنا النظر إلى سيقانهن وهن يترجلنَّ من السيارات، نظرنا من النوافذ ليلاً آملين رؤية شخص يمارس الجنس، لكننا لم نرَ أحداً. في إحدى المرات شاهدنا زوجاً في سرير يهمُّ بامرأته، وفكرنا بأنّنا سنراه الآن، لكنها قالت: «لا، لا أريد الليلة!» ثمّ أدارت له ظهرها. أشعلَ سيجارة، ورحنا نبحث عن نافذة جديدة.

«ابن العاهرة، ما من امرأة كانت لتفعلها معي!».

«ولا أنا، أي نوع من الرجال كان هذا؟».

كنا ثلاثة: أنا، وبالدي، وجيمي. كان يوم الأحد يومنا الأهم، التقينا في منزل بالدي وركبنا الترام المتجه إلى الشارع الرئيسي، كانت الأجرة سبعة سنتات. كان الفوليز والبيربانك آنذاك من المرابع التي تقدم عروضاً هزلية محببة إلينا؛ لذا توجهنا إلى بيربانك. جرّبنا صالة السينما القذرة لكن المشاهد لم تكن كذلك والحكايات تشابهت؛ تثمل فتاة صغيرة بريئة على يد مجموعة من الرجال وقبل أن تصحو من سكرتها تجد نفسها في مبغى، يدقّ بابها طابور من البحّارة والحُدب، فضلاً عن متبطلين يهجعون تلك الأماكن ليلاً ونهاراً، يبولون على الأرض

ويشربون النبيذ، ويطأ أحدهم الآخر. كان نتن البول والخمر والقتل لا يطاق. ذهبنا إلى بيربانك.

«هل أنتم ذاهبون إلى عرض المنوعات اليوم يا أولاد؟» يسأل جدّ بالدي.

«أوه، لا يا سيدي، علينا إنهاء بعض الأمور».

ذهبنا ـ كما في كل يوم أحد ـ في الصباح الباكر قبل أن يبدأ العرض بوقت طويل، ذرعنا الشارع الرئيسي جيئة وذهاباً باحثين عن حانات فارغة، حيث فتياتها الجميلات يجلسن عند المداخل بتنانيرهنّ مرفوعة، يركلن كواحلهنّ في ضوء الشمس المنجرف نحو الحانة المظلمة.

بدت الفتيات جميلات. لكننا عرفنا. سمعنا. يدخل رجل ليطلب شراباً، فيفرضون عليه دفع ثمن مشروبه ومشروب الفتيات، لكن مشروب الفتيات مخفف بالماء. ستحصل على لمسة أو اثنتين وهذا كل شيء، إذا عرضت أي مال فسيراه الساقي وسيسخرون منك ويطردونك من الحانة، وتكون نقودك قد ذهبت أدراج الرياح، كنّا على علم بما يحدث هناك.

بعد نزهتنا على طول الشارع الرئيسي، دخلنا محلّ السّجق واشترينا سجقاً بثمانية سنتات وكوباً كبيراً من البيرة الجذرية بخمسة سنتات. كنا نرفع الأثقال بعضلات منتفخة ونرتدي قمصاناً بأكمام ملفوفة إلى أعلى، وكلّ منا يحمل علبة سجائر في جيب صدره. جربنا دورة تشارلز أطلس[1]، توتر حيوي، لكن رفع الأثقال بدا الطريق الأكثر وضوحاً

---

(١) تشارلز أطلس، آنجلو سيسيليانو، (١٨٩٣-١٩٧٢): قام بتطوير منهج بناء الأجسام.

وصرامة. لعبنا بآلة البينبول ونحن نتناول السّجق ونشرب البيرة[1]، بنس واحد لكل لعبة. يجب أن نكون على معرفة جيّدة بآلة البينبول. عند إحرازك مجموعاً كاملاً تفوز بلعبة مجانية. كان علينا أن نحرز مجموعاً كاملاً لكن لم يكن لدينا المال.

كان «فرانكي روزفلت» رئيساً حينها، وبدأت الأمور تتحسّن رغم الكساد؛ فآباؤنا جميعهم كانوا عاطلين عن العمل، ولولا أعيننا الثاقبة التي التقطت أي شيء ملقىً على الأرض لكان حصولنا على مصروفنا القليل لغزاً.

لم نسرق بل تقاسمنا واخترعنا ببعض المال أو من دونه ألعاباً صغيرة لتزجية الوقت؛ مثل: التنزه نحو الشاطئ والعودة. عادة ما كان ذلك في الصّيف، ولم يتذمر أهلنا قطّ من عودتنا مساءً متأخرين عن وجبة العشاء. كما لم يهتموا بالدمامل اللامعة في أسفل أقدامنا، وعند رؤيتهم نعال أحذيتنا المهترئة كانوا يرسلوننا إلى متجر رخيص لإصلاح الأحذية بسعر معقول.

كان الحال مشابهاً في لعبنا الكرة في الشوارع. لم تكن هناك أموال عامة تُنفق على ملاعب الأطفال. كنا شديدي البأس، لعبنا الكرة في الشوارع في كل المواسم وأيضاً كرة السلة والبيسبول، وعندما يتم الإمساك بك على الأسفلت، تحدث أمور عدة فالجلد يتمزق، والعظام تصاب برضوض، والدماء تسيل، لكننا ننهض كما لو أن شيئاً لم يكن.

لم يكترث أهلنا قطّ بالدمامل والدماء والكدمات، كان الذنب الرهيب الذي لا يغتفر هو أن تُحدث ثقباً في واحدة من ركبتي بنطالك؛

---

(١) لعبة يتم لعبها على طاولة إلكترونية مجهزة بعراقيل، أهداف، وزعانف متمحورة، على اللاعب أن يتحكم بالزعانف، ويصوب الكرة نحو الأهداف لإحراز النقاط.

لأنه لم يكن هناك سوى بنطالين لكل صبي: بنطاله اليومي وبنطال يوم الأحد، ولا يمكنك أبداً أن تُحدث ثقباً في إحدى ركبتي بناطيلك؛ فذلك سيظهرك فقيراً غبياً، وأن أهلك فقراء وأغبياء أيضاً؛ لذا فقد تعلمت أن تمسك بالولد دون أن تقع على أي من ركبتيك، وتعلم الصبي الذي يتم الإمساك به ألا يقع على أي من ركبتيه.

كلّما تشاجرنا استمرّ شجارنا ساعات، ولم يقدم أهلنا على فعل شيء لإنقاذنا، أظن أن السبب هو تظاهرنا بالبأس وتمنعنا عن طلب الرحمة، كانوا ينتظرون منا طلب الرحمة، لكننا كرهنا أهلنا، وهم كرهونا، كانوا يخرجون إلى شرفاتهم وينظرون إلينا غير مبالين في حمأة شجار رهيب لا ينتهي، يتثاءبون ويتناولون إعلاناً مرمياً على الأرض ثم يدخلون فحسب.

في أحد الأيام تشاجرت مع صبي - انتهى به الأمر لاحقاً في البحرية الأمريكية. تشاجرت معه من الساعة الثامنة والنصف صباحاً إلى ما بعد غروب الشمس، لم يوقفنا أحد رغم أننا كنا على مرأى باحة بيته الأمامية تحت شجرتي فلفل ضخمتين وعصافير الدوري تتغوط فوقنا طوال اليوم. كان أقوى مني وأكبر سناً بقليل وأثقل وزناً، لكنني كنت أكثر جنوناً، توقفنا عن القتال الشرس باتفاق مشترك، لا أعلم كيف يحصل هذا، عليك تجربته لتتمكن من فهمه؛ إذ بعد أن يتشاجر اثنان مدة ثماني أو تسع ساعات ينشأ نوع غريب من الأخوة.

في اليوم التّالي بدا جسدي مليئاً بالكدمات الزرقاء. لم أتمكن من الكلام وكنت أشعر بالألم لدى تحريك أي عضو من أعضائي، ممدّداً على السرير جاهزاً للموت، وقفت أمي أمامي ملوّحةً بقميصي الممزق الذي ارتديته أثناء الشجار، وقالت: «انظر، ثمّة بقع دم على القميص! بقع دم!»

«آسف!».

«لن أستطيع إزالتها أبداً! أبداً!».

«إنها بقع دمه».

«لا يهم! إنه دم! تصعب إزالته!».

يوم الأحد دائماً هو يومنا الخفيف الهادئ، ذهبنا إلى بيربانك حيث يُعرض أولاً فيلم سيئ وقديم جداً، وأنت تنظر وتنتظر. كنت مشغول الذهن بالبنات. عزف الرجال الثلاثة أو الأربعة في حفلة الأوركسترا بصوت مرتفع، ربما لم يعزفوا عزفاً جيداً لكنهم عزفوا بصوت مرتفع. أخيراً، خرجت المتعريات وخطفن طرف الستارة كما لو أنها رجل، ورحن يهزهزن أجسادهن ويواصلن الرهز أمامها. ثم تأرجحن وبدأن التعري، لو كان لديك ما يكفي من المال لكنت حظيت بكيس من الفشار، وإن لم يكن لديك، فإلى الجحيم.

في الاستراحة قبل الفصل التالي نهض رجل صغير، وقال: «سيداتي سادتِي، أودّ أن ألفت عنايتكم...»، كان يبيع خواتم برّاقة، إذا رفعت خاتماً نحو الضوء فسترى في الزجاجه صورة رائعة. هذا كان نصيبكم! ثمن الواحد منها خمسون سنتاً، ملكية مدى الحياة فقط بخمسين سنتاً، متاح لمرتادي بيربانك ولن يباع في أي مكان آخر، تابع قوله: «فقط ارفعوه نحو الضوء وسترون! وشكراً، سيداتي وسادتي لطيب متابعتكم، الآن سيعبر الحُجّاب الممرات فيما بينكم».

عبر متبطلان بأسمال بالية الممرات، فاحت منهما رائحة النبيذ، وكل واحد منهما حمل كيساً من الخواتم. لم أر قطّ شخصاً يشتري واحداً منها، أتخيل مع ذلك أنك إذا رفعت واحداً نحو الضوء، فستكون الصورة في الزجاج لامرأة عارية.

عزفت الفرقة من جديد وأزيحت الستائر، ظهرت منشدات أغلبهن متعريات سابقات، تقدمن في السن، يضعن ماسكارا كثيفة وحمرة خدود وشفاهاً ورموشاً مستعارة، بذلن أقصى جهدهن لمجاراة الموسيقى لكنهن كن دوماً متأخرات قليلاً لكن واصلنَ، أظن أنهن كنَّ شجاعات جداً.

ثم جاء مغنٍ يصعب الإعجاب به، غنى بصوت مرتفع عن الحب الضال، عندما انتهى فرد ذراعيه وأحنى رأسه لموجة صغيرة من التصفيق.

حان دور الكوميدي، كان جيداً! خرج مرتدياً معطفاً قديماً بني اللون وقبعة مشدودة على عينيه، يمشي مترهلاً كسكير، لا شيء لديه ليفعله ولا مكان ليذهب إليه، يتعقّب بعينيه فتاة تمشي على الخشبة ثم يلتفت إلى الجمهور ويفتح فمه الخالي من الأسنان، ويقول: «حسناً، سأكون بغيضاً!».

تخرج فتاة أخرى إلى الخشبة، يمشي نحوها، ويضع وجهه قريباً من وجهها، ويقول: «أنا رجل عجوز، تجاوزت الرابعة والأربعين لكن عندما يتحطم السرير أقع أرضاً» لقد فعلها، كم ضحكنا جميعنا! كانت هناك فقرة عن حقيبة، يحاول الرجل مساعدة فتاة في حزم حقيبتها، والملابس تنبثق منها باستمرار.

«لا أستطيع إدخالها!».

«دعيني أساعدك!».

«إنها تنبثق مجدداً!».

«انتظري سأقف عليها».

«ماذا؟ أوه.. لا.. لا تقف فوقها!».

استمرا مع حقيبة السفر أكثر وأكثر. أوه، لقد كان مسلياً!

أخيراً، خرجت أول ثلاث أو أربع متعريات ثانية، كان لكل منا متعريته المفضلة ووقعنا في الحب؛ اختار بالدي فتاة نحيلة فرنسية مصابة بالربو لها تغضنات داكنة تحت عينيها، أعجب جيمي بالمرأة النمر (النمرة للدقة)، والذي لفت انتباهه إليها أن نهديها أكبر من نهود الأخريات قطعاً، أما متعريتي فكانت روزالي.

كانت لروزالي مؤخرة عريضة تهزها وتغني أغاني مسلية قليلاً، وبينما تمشي وتتعرى تتحدث إلى نفسها وتقهقه، كانت الوحيدة التي تستمتع بعملها، أحببت روزالي وفكرت أحياناً بالكتابة إليها وإخبارها عن مدى عظمتها لكن لسبب ما لم أقدم على ذلك.

في أحد الأيام في وقت الأصيل كنا ننتظر الترام بعد العرض، وكانت المرأة النمرة تنتظر أيضاً، مرتدية فستاناً أخضر ضيقاً، وقفنا ننظر إليها.

«إنها فتاتك جيمي، المرأة النمرة».

«يا ولد، حصلت عليه، انظر إليها!».

«أنا ذاهب لأتحدث إليها» قال بالدي.

«إنها فتاة جيمي».

«لا أود التحدث إليها» قال جيمي.

«أنا ذاهب» قال بالدي وهو يضع سيجارة في فمه، أشعلها ومشى نحوها.

«مرحباً عزيزتي!» ابتسم مكشراً لها.

لم تجب المرأة النمرة، حدقت أمامها مباشرة منتظرة الترام.

«أعلم من تكونين، لقد رأيت تعريك اليوم، لقد فعلتها يا عزيزتي، حقيقة فعلتها!».

لم تجب المرأة النمرة.

«لقد أثرته حقيقة، يا إلهي! لقد أثرته حقيقة!».

حدقت أمامها. وقف بالدي يبتسم لها كالأبله ويقول: «أود أن أضعه لك. أود أن أضاجعك يا عزيزتي»، تقدمنا وجذبنا بالدي، وسحبناه في الشارع.

«أنت أحمق، ليس لديك الحق في أن تكلمها بتلك الطريقة».

«حسناً، نهضت وهزته، نهضت أمام الرجال وهزته!».

«إنها تحاول كسب لقمة عيشها».

«إنها حارة، إنها حمراء حارة، إنها ترغب فيه!».

«أنت مجنون».

سحبناه بعيداً في الشارع.

سرعان ما بدأت أفقد الاهتمام بتلك الآحاد في الشارع الرئيسي. أظن أن الفوليز وبيربانك لا يزالان هناك بالطبع، والمرأة النمرة، والمتعرية المريضة بالربو، وروزالي، روزاليتي، ذهبن منذ وقت طويل، ربما فارقن الحياة، وربما تكون مؤخرة روزالي الكبيرة الهزازة قد ماتت.

عندما أكون في الجوار أقود سيارتي وأمر بالمنزل حيث كنت أسكن، وأرى الغرباء يعيشون فيه الآن. كانت تلك الآحاد جميلة، أغلبها كان جميلاً، ضوء خفيف في ظلمة تلك الأيام الكئيبة التي كان آباؤنا يعبرون فيها الشرفات الأمامية، عاطلين عن العمل وضعفاء ينظرون إلينا ونحن نتشاجر، ثم يدخلون ليحدقوا بالجدران، يمتنعون عن تشغيل المذياع خشية ارتفاع فاتورة الكهرباء.

أنت وبيرتك وعظَمتك

دخل جاك عبر الباب ووجد علبة السجائر على رفّ الموقد. كانت آن تجلس على الأريكة تقرأ عدداً من مجلة *كوزموبوليتان*. أشعل جاك سيجارة، وجلس على الكرسيّ. كانت الساعة الثانية عشرة إلا عشر دقائق ليلاً.

«قال لك تشارلي ألا تدخن» قالت آن، وهي تنظر من المجلة.

«أنا جدير بها، لقد كانت ليلة قاسية».

«هل ربحت؟».

«قرار منقسم لكنني فزت. كان بنسون صبياً صعباً وشجاعاً، يقول تشارلي: إن بارفينيللي هو التالي، إذا تغلبت عليه، فسأنال البطولة».

نهض جاك، وذهب إلى المطبخ، وعاد بزجاجة بيرة.

«قال لي تشارلي أن أبقيك بعيداً عن البيرة» وضعت آن المجلة جانباً.

«قال لي تشارلي، قال لي تشارلي... لقد تعبت من ذلك. لقد كسبت مباراتي، ربحت ١٦ جولة، ولي الحق في البيرة والسجائر».

«يجب أن تحافظ على لياقتك».

«لا يهم بإمكاني تناول أيٍ منها».

«أنت رائع جداً، أسمعُ هذا باستمرار كلما كنتَ ثملاً، أنت رائع جداً، لقد سئمته».

«أنا عظيم، ١٦ جولة، ١٥ منها بالضربة القاضية، ما الذي يمكن أن يكون أفضل من هذا؟»

لم تجب آن، أخذ جاك زجاجة البيرة وسيجارته إلى الحمام.

«أنت حتى لم تقبّلني قبلة التحيّة، أول ما فعلته أنّك توجّهت إلى زجاجة البيرة، أنت عظيم جداً، حسناً، أنت شارب بيرة عظيم».

لم يجب جاك. وقف بعد خمس دقائق عند باب الحمام، وبنطاله وسرواله التحتي في الأسفل عند حذائه، قال: «يا يسوع المسيح!.. آن.. ألا يمكنك أن تضعي بكرة من المناديل الورقية هنا؟».

«آسفة».

ذهبت إلى الخزانة وأعطته واحدة، أنهى جاك قضاء حاجته وخرج، أنهى جاك بيرته وتناول واحدة أخرى، وقال: «ها أنت تعيشين هنا مع الأفضل على مستوى العالم من فئة الوزن الخفيف الثقيل، وكل ما تفعلينه هو التذمر. كثير من الفتيات يرغبن في امتلاكي لكن أنت لا تفعلين غير الجلوس والتشكي».

«أعلم أنك جيّد جاك بل ربما الأفضل، لكن لا تعلم كم هو مملّ الجلوس والاستماع إليك وأنت تكرر الكلام عن عظمتك».

«أوه، لقد سئمتِ ذلك، صحيح؟».

«نعم، اللعنة عليك وعلى بيرتك وعظمتك».

«حتى إنك لم تحضري مبارياتي».

«هناك أشياء أخرى إلى جانب الملاكمة يا جاك».

«مثل ماذا؟ مثل الجلوس على مؤخرتك وقراءة مجلة *كوزموبوليتان*؟».

«أرغب في تنمية مداركي».

«لا بدّ أن تفعلي فهناك الكثير من العمل عليه».

«أقول لك إنه يوجد أشياء أخرى إلى جانب الملاكمة».

«ماذا؟ سمّها».

«حسناً.. الفن، والموسيقى، والرسم، وأشياء من هذا القبيل».

«وهل تجسنين فعل أيّ منها؟».

«لا، لكنني أقدِّرها».

«هراء، أنا أفضّل أن أكون الأفضل في ما أفعله».

«حسناً، الأفضل، الأحسن... يا الله! ألا يمكنك تقدير الناس بما هم عليه؟».

«ماذا يكون هذا؟ ما هو حال أغلبهم؟ ليسوا سوى حلزونات، ومصاصي دماء، ومتغندرين، ومخبرين، وقوّادين، وخدم..».

«أنت دائماً تنظر نظرة دونية إلى الجميع. ما من واحد من أصدقائك جيد بما فيه الكفاية».

«أنت عظيم جداً!».

«هذا صحيح يا حبيبتي».

ذهب إلى المطبخ وخرج بزجاجة بيرة أخرى.

«أنت وبيرتك اللعينة!».

«إنها من حقي، هم يبيعونها وأنا أشتريها».

«قال تشارلي..».

«اللعنة على تشارلي!».

«أنت عظيم جداً!».

«هذا صحيح، على الأقل باتي عرفت ذلك واعترفت به، لقد كانت فخورة بذلك، كانت تعلم أنه يستحق، كل ما تفعلينه أنت هو التذمر».

«حسناً، لمَ لا تعود إلى باتي؟ ما الذي تفعله معي؟».

«هذا ما أفكر به تماماً».

«حسناً، نحن لسنا بمتزوجين، يمكنني المغادرة في أي وقت».

«هذه استراحتنا الوحيدة، اللعنة، آتي إلى هنا ميّتاً من التعب بعد عشر جولات قاسيات، وأنت لا تشعرين بالسرور لأنّي كسبتها، كل ما تفعلينه هو التذمر مني».

«اسمع جاك، هناك أمور أخرى عدا الملاكمة، عندما قابلتك أعجبت بما أنت عليه، كنت ملاكماً، لم تكن *هناك* أمور أخرى إلى جانب الملاكمة».

«هذا ما أنا عليه، ملاكم، هذا مجالي، وأنا جيد فيه بل الأفضل، لقد لاحظت أنك دائماً تذهبين إلى هؤلاء الذين في الدرجة الثانية مثل توبي جورجينسون».

«توبي مسلٍ جداً، لديه روح النكتة، روح نكتة بالفعل، يعجبني توبي».

«أرقامه ١، ٩، ٥، يمكنني التغلب عليه وأنا ثمل».

«والله يعلم بأنك ثمل بما يكفي، هل تعلم كيف يكون إحساسي في الحفلات عندما ترتمي على الأرض أو تتدحرج حول الغرفة، وأنت

تقول للجميع: أنا عظيم، أنا عظيم، أنا عظيم! ألا تعتقد أن ذلك يجعلني أشعر بأني حمقاء؟».

«ربما أنت حمقاء، إذا ما كان توبي يعجبك بشدة، لمَ لا تذهبين معه؟».

«أوه، لقد قلت للتو إنني معجبة به، اعتقادي بأنه مسلٍ لا يعني بأني أود أن أذهب معه إلى السرير».

«حسناً، اذهبي معي إلى السرير وقولي إنني مملّ، لا أعلم بحق الجحيم ماذا تريدين؟!».

لم تُجب آن، نهض جاك ومشى نحو الأريكة، رفع رأس آن وقبلها ثم عاد وجلس ثانية.

«اسمعي، دعيني أخبرك عن هذه المعركة مع بينسون، يجدر بك أن تفخري بي، لقد أوقعني أرضاً في الجولة الأولى على حين غرة، نهضت وهجمت عليه في الوقت المتبقي، ضربني مجدداً في الجولة الثانية، نهضت بصعوبة عند ٨,١ وأمسكت به ثانية. بدأت أكسب في الجولات القليلة التالية، نلت السادسة، السابعة، الثامنة، وأوقعته مرة في التاسعة ومرتين في العاشرة. أنا لا أسمّي ذلك أغلبية. هم يسمونه كذلك. إنها ٤٥ ألف دولار. فهمت ذلك، أيتها الصبية؟ ٤٥ ألفاً، أنا عظيم، لا تستطيعين إنكار ذلك، صحيح؟».

لم تجب آن.

«هيا قولي لي إنني عظيم».

«حسناً، أنت عظيم».

«حسناً، هذا يروقني أكثر»، مشى نحوها وقبلها مجدداً.

«أشعر بارتياح كبير، الملاكمة عملٌ فني، إنها حقاً كذلك، تحتاج إلى الشجاعة كي تكون فناناً عظيماً وأيضاً لتكون ملاكماً عظيماً».

«حسناً يا جاك»..

«حسناً يا جاك، هل هذا كل ما بمقدورك قوله؟ كانت باتي تسعد دائماً عندما أفوز، كنا نُسرّ طوال الليل، ألا يمكنك أن تشاركيني عندما أفعل شيئاً جيداً؟ اللعنة، هل تحبيني أم أنك تحبين الخاسرين من أنصاف المواهب؟ أظن أنك ستكونين أكثر سعادة عندما آتيك خاسراً».

«أتمنى لك الفوز يا جاك، المسألة هي أنك تضخم كثيراً ما تفعله».

«اللعنة، إنها حياتي، عَيشي، أنا فخور بكوني الأفضل، إنه كالطيران في السماء والإمساك بالشمس».

«ماذا ستفعل عندما تصبح عاجزاً عن الملاكمة؟».

«اللعنة، سيكون لدينا ما يكفي من المال لفعل ما نود فعله».

«ما عدا أن نكون معاً، ربما».

«ربما يمكنني تعلم قراءة *كوزموبوليتان* لأطور عقلي».

«حسناً، هناك مجال للتطور».

«أضاجعك».

«ماذا؟»

«أضاجعك»

«حسناً، لم تفعل هذا منذ مدة».

«بعض الرجال يحبون مضاجعة نساء مرتبطات، أنا لا أحب ذلك».

«أظن أن باتي لا تتذمر؟».

«كل النساء يفعلن، أنت البطلة».

«حسناً لمَ لا تعود إلى باتي؟».

«أنت هنا الآن، لا يمكنني أن أكون إلا مع عاهرة واحدة في كل مرة».

«عاهرة؟».

«عاهرة».

نهضت آن وتوجهت إلى الخزانة، أخرجت حقيبتها وبدأت تضع ثيابها فيها. ذهب جاك إلى المطبخ وأتى بزجاجة بيرة أخرى، كانت آن تبكي غاضبة، جلس ورشف من بيرته رشفة كبيرة، احتاج إلى زجاجة ويسكي وسيجار جيّد.

«يمكنني أن آتي لآخذ بقية أغراضي عندما لا تكون هنا».

«لا تزعجي نفسك، سأرسلها إليك».

توقفت عند العتبة.

«حسناً، أظن هذا». قالت.

«أعتقد ذلك». أجاب جاك.

أغلقت الباب ومضت، أنهى جاك البيرة، وذهب إلى جهاز الهاتف واتصل بها.

«باتي؟».

«أوه جاك، كيف حالك؟».

«لقد فزت بمباراة كبيرة الليلة بالأغلبية، كل ما عليَّ فعله هو أن أزيح بارفينيللي وأحصل على البطولة».

«ستتغلب عليهما يا جاك، أعلم أنه يمكنك ذلك».

«ماذا تفعلين الليلة يا باتي؟».

«إنها الواحدة صباحاً. جاك، هل كنت تشرب؟»

«قليلاً، أنا أحتفل».

«وماذا عن آن؟».

«لقد افترقنا، من عادتي أن أكون مع امرأة واحدة، تعلمين ذلك يا باتي».

«جاك..».

«ماذا؟».

«أنا مع رجل».

«رجل؟».

«توبي جورجينسون، إنه في غرفة النوم».

«أوه، آسف».

«أنا آسفة أيضاً يا جاك. أحببتك، ربما ما زلت أحبك».

«أوه، اللعنة، أنتن النساء ترمين هذه الكلمة كيفما اتفق..».

«آسفة يا جاك».

أغلق السماعة، ثم ذهب إلى الخزانة ليأخذ معطفه، أنهى بيرته، وانطلق بسيارته نحو جادة النورماندي بسرعة ٦٥ ميلاً في الساعة، أوقف السيارة عند متجر للخمور في شارع هوليوود، أخذ صندوق بيرة المايكولوب وعلبة من فوّار الكاسيلتزر ثم طلب من المحاسب خُمسية من نوع جاك دانييلز.

بينما كان المحاسب يقوم بحساب السعر دخل سكير ومعه صندوق من بيرة كورز، وجّه سؤالاً إلى جاك:

«هيه يا رجل! ألست جاك باكينويلد الملاكم؟».

«أنا هو».

«يا رجل، لقد رأيت المباراة الليلة، أنت شجاع جداً، أنت عظيم حقاً!».

«شكراً يا رجل».

أخذ كيس أغراضه وجلس في سيارته، نزع غطاء زجاجة الدانييلز ورشف جرعة كبيرة، انطلق شرق شارع هوليوود، انعطف يساراً عند النورماندي، لاحظ مراهقة ممتلئة القوام تترنح في الشارع، أوقف سيارته وأخرج زجاجة الدانييلز من الكيس وأظهرها لها.

«هل ترغبين في الصعود؟».

فوجئ جاك بموافقتها، تابعت قائلة: «سأساعدك على شرب ذلك يا سيد، لكن من دون امتيازات إضافية».

«اللعنة، لا». قال جاك.

سار في جادة النورماندي بسرعة ٣٥ ميلاً في الساعة، مواطن يحترم نفسه ومصنف عالمياً في المرتبة الثالثة في فئة الوزن الخفيف الثقيل. شعر للحظة كما لو أنه يود تقديم نفسه إليها، لكنه غيّر رأيه ومدّ يده وعصر إحدى ركبتيها.

«ألديك سيجارة يا سيدي؟» سألت.

نقَف بيده مخرجاً واحدة، أقحمها في لوحة الولاعة، ثم برزت وأشعلها.

سياسة

في كلية مدينة لوس أنجلس قبل الحرب العالمية الثانية تظاهرت بأنني نازيّ. كنت لا أكاد أميز هتلر من هرقل وأقل اهتماماً به، ما كان عليّ سوى الجلوس في الفصل وسماع الوطنيين يعظون بأن علينا أن نتحرك ونقتل الوحش، شعرت بالملل وقررت أن أصبح معارضاً، لم أزعج نفسي بالقراءة عن أدولف، لفظت ببساطة أي شيء شعرت أنه كان شريراً أو ممسوساً.

لكني لم أمتلك أي معتقدات سياسية. كانت هذه وسيلتي للعوم بحرية. أحياناً إذا لم يكن الرجل مؤمناً بما يفعله، يمكنه أن يؤدي عملاً أكثر إمتاعاً؛ لأنه ليس متشبثاً عاطفياً بدافعه. لم يكن هذا قبل وقت طويل من قيام الفتية الشقر طوال القامة بتشكيل فرقة أبراهام لنكولن كي يوقفوا جحافل الفاشية في إسبانيا، ثم أطلقت فرقٌ عسكريةٌ مدربةٌ النارَ على مؤخراتهم، بعضهم فعل هذا رغبة بالمغامرة والرحلة إلى إسبانيا لكن مع ذلك تم طردهم. أعجبتُ بمؤخرتي، في الحقيقة لم يكن هناك الكثير لأحبّه في نفسي لكنني أعجبتُ بمؤخرتي وقضيبي.

قفزت في الفصل وصرخت أي شيء تبادر إلى ذهني. كان الأمر يتعلق عادةً بالعِرق المتفوّق الذي فكرت بأنه كان مضحكاً إلى حد ما، لم أعمّمه مباشرة على السود أو اليهود؛ لأنني رأيتهم مساكين ومشوشين مثلي، لكنني تفوهت ببعض الكلام القاسي داخل الصف وخارجه،

وزجاجة النبيذ التي خبأتها في خزانتي ساعدتني على ذلك، فوجئت بأن الناس قد استمعوا إليّ وبعضهم لم يشكك في ما قلته قطّ، حسبي أنّي تحدّثتُ كثيراً وقد سرني أن تكون كلّية لوس أنجلس مسلية إلى هذا الحد.

«هل ستترشح لمنصب رئاسة الهيئة الطلابية يا تشيناسكي؟».

«اللعنة، لا».

لم أرد فعلَ أيّ شيء كما أنّني لم أذهب إلى النادي الرياضي، في الواقع آخر شيء أردت فعله هو الذهاب إلى النادي والتعرّق وارتداء الحزام الواقي ومقايسة أطوال الأيور، علمت أنّ لدي قضيباً من متوسّط الحجم، لم يكن عليّ الذهاب إلى النادي لأبرهن ذلك.

كنّا محظوظين؛ إذ قررت الكلية فرض مبلغ دولارين كرسم التسجيل حسَمنا ـ بعضنا، بأيّة حال، أن القرار لم يكن دستورياً؛ لذلك قررنا الرفض وأضربنا ضده. سمحت الكلية لنا بحضور الفصول لكنها سحبت منا بعض الامتيازات، كان النادي واحداً منها.

عندما حان وقت النادي الرياضي، وقفنا مرتدين ثياباً مدنية. أعطِيَت للمدرّب أوامر بأن نذرع الملعب جيئة وذهاباً في تشكيل متراص؛ كان هذا انتقامهم. جميل. لم يكن عليّ أن أركض حول المسار لتتعرق مؤخرتي أو أحاول رمي كرة سلة معتوهة في سلة معتوهة.

مشينا هناك وألّفنا أغاني بذيئة، توعّد فتيةٌ أمريكيون وِسامٌ من فريق كرة القدم بالنيل من مؤخراتنا لكن لم يفلحوا في ذلك قط؛ ربما لأننا كنا أكبر وأكثر سفالة، بالنسبة إليّ كان أمراً رائعاً أن أتظاهر بأنني نازيّ، وألتفت من بعدها وأنادي بأن حقوقي الدستورية قد انتُهكت.

أحياناً كنت أبدو عاطفياً. أتذكر مرة أنني شربت الكثير من النبيذ في

الفصل ودمعت عيناي وقلت: «أعدكم، لن تكون هذه آخر الحروب. حالما يتم القضاء على أحد الأعداء سيظهر الآخر بطريقة ما. إنها غير نهائية وبلا معنى. لا يوجد شيء اسمه حرب جيدة أو حرب سيئة».

في مرة أخرى كان هناك شيوعي يتحدث من المنصة عن قطعة أرض شاغرة جنوب كامبوس؛ كان فتىً بالغ الجدية، يضع نظارات بلا إطار، ويلبس سترة سوداء ذات ثقوب في مرفقيها. وقفت أستمع وبرفقتي بعض تابعيّ. أحدهم كان من روسيا البيضاء، زيركوف، قتل الحمر والده أو جده في الثورة الروسية. أراني كيساً من البندورة الفاسدة، وقال: «عندما تعطي الإشارة، سنبدأ برميها».

تبيّن لي فجأة أن تابعيَّ لم يكونوا يستمعون إلى المتحدث، وحتى لو استمعوا فلا شيء مما قاله سيحدث فرقاً. لقد اتخذوا قرارهم. كان العالم في معظمه هكذا. فجأةً لم يعد يبدو امتلاكي لقضيب متوسّط الحجم أسوأ ذنب في العالم قلت: «زيركوف، ضع البندورة جانباً».

أجابني: «انسَ، أتمنى لو كانت قنابل يدوية».

لقد فقدت السيطرة على تابعيّ في ذلك اليوم، وانصرفتُ بينما راحوا يقذفون البندورة الفاسدة.

علمت بخبر تأسيس حزب الطليعة الجديدة. أعطِيتُ عنواناً في جليندال وفي تلك الليلة ذهبت إلى هناك. جلسنا في قبو منزل كبير ومعنا زجاجات النبيذ وأعضاؤنا المختلفة الأحجام. كانت هناك منصة ومقعد وعلم أمريكي كبير منشور على الجدار الخلفي. صعد فتىً أمريكي سليم البنية إلى المنصة واقترح أن نبدأ تحية العلم متعهدين بالولاء له.

لطالما كرهت الولاء للعلم، كان مملاً جداً وسخيفاً، وكثيراً ما

شعرتُ بأني أفضّل تقديم الولاء لنفسي، لكننا وقفنا هناك وبدأنا التحية، ثم وقفنا وقفة صغيرة وجلس الجميع يشعرون بالضيق.

شرع الأميركيّ سليم البنية في الكلام. عرفت أنه الفتى السمين الذي جلس في الصف الأوّل في فصل الكتابة المسرحية، لم أثق قطّ بهذا النوع من البشر؛ وضيع، وضيع تماماً، بدأ: «يجب إيقاف الخطر الشيوعي، لقد اجتمعنا هنا كي نتخذ خطوات بهذا الاتجاه، سوف نتخذ خطوات قانونية وربما خطوات غير قانونية لفعل هذا...»، لا أتذكر الكثير من البقية، لم أهتم بالخطر الشيوعي ولا بالخطر النازي. أردت أن أثمل وأضاجع، أردت وجبة جيدة، أردت أن أغني على كأس بيرة في حانة قذرة وأدخن سيجاراً. لم أكن واعياً. كنت ساذجاً، كنت أداةً.

في ما بعد، ذهبت بصحبة زيركوف ومريد سابق إلى متنزه البحيرة الغربية واستأجرنا قارباً وحاولنا أن نصطاد بطة للعشاء. أصبحنا في حالة سكر شديد ولم نصطد بطة، وجدنا أنه ليس لدينا ما يكفي من المال لندفع أجرة القارب.

طفنا حول بحيرة شالو ولعبنا الروليت الروسي ببندقية زيركوف وكنا جميعنا محظوظين. ثم وقف زيركوف ثملاً في ضوء القمر وأطلق رصاصة مشؤومة على قعر القارب. بدأ الماء بالتسرب وهربنا نحو الشاطئ؛ قضينا ثلث الطريق في القارب وتمكنا من الخروج والوصول بأسمال مبللة إلى الشاطئ. وهكذا انتهت الليلة على خير ولم تضع سدى.

لعبتُ دور النازي مزيداً من الوقت، في حين لم أكن مهتماً لا بالنازية ولا بالشيوعية ولا بالأمريكيين. لكنّي كنت أفقد الاهتمام. في الواقع، تخليت عن ذلك تماماً قبل بيرل هاربر، كانت التسلية قد نضبت

منه. شعرت بأن الحرب على الأبواب ولم أشعر برغبة كبيرة في الذهاب إلى الحرب ولم أكن أودّ أن أكون معارضاً حيّ الضمير أيضاً. كان هراءً بلا فائدة. أنا وعضوي متوسط الحجم كنا في مأزق.

جلست في الفصل صامتاً منتظراً. استحثني الطلاب والمدرسون. كنت قد فقدت حماستي وقوتي ووقودي. شعرت بأن كل شيء خارج عن إرادتي. كان ذلك سيحدث. كل الأيور كانت في مأزق.

في أحد الأيام طلبت مني معلمة اللغة الإنجليزية أن أبقى بعد انتهاء الفصل. كانت سيدة لطيفة جداً، لها ساقان جميلتان، سألتني: «ما المشكلة، تشيناسكي؟»، أجبتها: «لقد يئست»، سألت: «تقصد من السياسة؟»، أجبت: «من السياسة»، قالت: «ستكونُ بحّاراً جيداً»، ثم خرجت.

كنت جالساً مع صديقي المقرب ـ جندي في البحرية ـ في حانةٍ وسط البلدة نشرب البيرة والإذاعة تبث موسيقى، ثم توقف البث ليخبرونا بأن بيرل هاربر قد قُصف للتو، وعلى جميع المجندين أن يعودوا حالاً إلى ثكناتهم. طلب صديقي أن أركب الحافلة معه إلى سان دييجو ملمحاً إلى أنه ربما تكون هذه آخر مرة أراه فيها، كان على حق.

لا طريق إلى الجنة

في إحدى حانات الجادة الغربية والساعة تقارب منتصف الليل كنت جالساً في حالتي المعتادة من التشوش؛ أقصد، كما تعلمون، ما من يسير على ما يرام: النساء، والأعمال، والبطالة، والطقس، والكلاب. أخيراً، تجلس في حالة من الذعر التام، وتنتظر كما لو أنك تنتظر الموت على مقعد في موقف للحافلات.

دخلت امرأة ذات شعر طويل غامق وجسد مليح وعيون بنية حزينة، اختارت أن تجلس في المقعد الذي بجانبي رغم وجود عدة مقاعد أخرى فارغة. تجاهلتها ولم ألتفت نحوها، كنا وحدنا في الحانة فضلاً عن الساقي، طلبت نبيذاً مزاً، سألتني عن نوع المشروب الذي أشربه، أجبت: «ويسكي وماء».

«أعطني ويسكي وماء». قالت للساقي.

حسناً، لم يكن هذا عادياً.

فتحت حقيبتها، نحّت قفصاً سلكياً صغيراً، وأخرجت بعض الأشخاص الصّغار. أجلستهم على الطاولة، كان طولهم ثلاث بوصات تقريباً، وكانوا أحياء ومهندمين. كان عددهم أربعة: رجلين وامرأتين، قالت: «إنهم يصنعون هذا الآن، ثمنهم غالٍ جداً. لقد كلفوا ألفي دولار

تقريباً للواحد عندما حصلت عليهم. يبلغ سعرهم الآن نحو ٢٤٠٠ دولار، لا أعرف طريقة التصنيع لكنها قد تكون غير قانونية».

كان الصغار يمشون على سطح البار، فجأة صفع رجلٌ منهم على وجه إحدى النساء، وقال: «أيتها العاهرة، لا بد من إنهاء الأمر معك!».

«لا يا جورج، ليس باستطاعتك، أحبك! سأقتل نفسي! لا بد أن تكون لي!».

«لا أهتم» قال الرجل الصغير، وأخرج سيجارة صغيرة، أشعلها، وتابع قائلاً: «لي الحق في الحياة».

قال رجل صغير آخر: «إذا لم تكن *راغباً* فيها، سآخذها، أنا أحبها».

«لكني لا أرغب فيك يا مارتي، أنا أحب جورج».

«لكنه وغد، آنّا، وغد حقيقي!».

«أعلم، لكني أحبه كيفما كان».

تقدم الوغد الصغير وقبّل المرأة الصغيرة الأخرى.

قالت السيدة: «لدي علاقة ثلاثية ناجحة، ها هم مارتي وجورج وآنا وروثي، جورج يلحس جيداً، مارتي محافظ نوعاً ما».

سألتها متردداً: «أليس من المحزن مراقبة كل ذلك؟ ما اسمك؟».

«داون، إنه اسم ـ فظيع، لكن هذا ما تفعله الأمهات بأطفالهن أحياناً».

«أنا هانك. لكن أليس محزناً..».

«لا، مراقبتهم لا تبعث على الحزن، لم أكن محظوظة في علاقاتي العاطفية، حظّي فعلاً فظيع».

«جميعنا سيئو الحظ».

«أتخيل ذلك، اشتريت هؤلاء الصغار وأنا الآن أراقبهم، والأمر يشبه أن يكون لديك مشاكل ولا يكون في الوقت نفسه. لكني أشعر باستثارة مريعة عندما يبدؤون بممارسة الحب، هنا تزداد صعوبة الأمر».

«هل هم مثيرون؟».

«جداً، مثيرون جداً، يا إلهي، إنهم يستثيرونني!».

«لم لا تدعينهم يفعلونها؟ أعني، الآن. سنشاهدهما معاً».

«أوه، لا يمكنك أن تدعهم يمارسونه، لا بد أن يكون هذا من تلقاء أنفسهم».

«كم مرة يفعلونها؟».

«أوه، إنهم جيدون جداً. أربع أو خمس مرات في الأسبوع».

كانوا يتجولون فوق البار، قال مارتي: «اسمعي، أعطيني فرصة. أعطيني فرصة واحدة يا آنا».

قالت آنا: «لا.. أنا أحب جورج. لا يمكن أن يكون حبّي لشخص آخر».

كان جورج يقبّل روثي، ويتحسس نهديها، كانت روثي تزداد هياجاً.

«روثي تهتاج». قلت لداون.

«صحيح، صحيح فعلاً».

أنا أيضاً كنت ازداد إثارة، هممت بداون وقبّلتها.

قالت: «اسمع، لا أحب أن يمارسوا الجنس في العلن، سآخذهم إلى البيت وأجعلهم يفعلونها هناك».

«لكن حينئذٍ لن يكون باستطاعتي أن أرى».

«حسناً، ليس عليك سوى مرافقتي».

قلت: «حسناً، لنذهب».

أنهيت شرابي وخرجنا معاً، حملَت الصغار في القفص الصغير السلكي، ركبنا سيارتها، وضعتْ الناس بيننا على المقعد الأمامي، نظرت إلى داون وكانت شابة جميلة المظهر والروح، كيف حصل أن فشلت في علاقتها مع الرجال؟ ثمّة طرق عديدة تفشل من خلالها تلك الأشياء، دفعتْ مبلغ ٨٠٠٠ دولار ثمناً للصغار الأربعة لتبتعد عن العلاقات ولا تبتعد عنها في الوقت نفسه.

كان منزلها قرب التلال في مكان ممتع للنظر. خرجنا ومشينا نحو الباب. أمسكتُ بالصغار في القفص بينما راحت داون تفتح الباب.

«لقد سمعت راندي نيومان[1] الأسبوع الماضي في التروبادور، أليس عظيماً؟» سألت.

«نعم، إنه عظيم».

دخلنا إلى الصالون، وضعت داون الصغار على طاولة القهوة، ثم ذهبت إلى المطبخ وأتت بكأسَي نبيذ، قالت: «اسمح لي، لكنك تبدو مجنوناً بعض الشيء. ماذا تفعل؟».

«أنا كاتب».

«هل ستكتب عن هذا؟».

---

(١) راندال ستيوارت «راندي» نيومان: ١٩٤٣؛ مغنٍ أمريكي، كاتب أغاني، عازف بيانو، ومؤلف موسيقي.

«لن يصدقوه، لكنني سأكتب عنه».

«انظر، لقد أنزل جورج سروال روثي، إنه يداعبها بأصابعه، تريد ثلجاً؟» قالت داون.

«نعم، هو يفعل.. لا.. لا أريد ثلجاً، ممتاز هكذا من دون تخفيف».

قال داون: «لا أعلم، مراقبتهم تهيّجني، ربما لكونهم بالغي الصغر، وهذا ما يهيّجني فعلاً».

«أعلم ما تقصدين».

«انظر، جورج يلعقها الآن».

«هو يفعل، أليس كذلك؟»

«انظر إليهما».

«يا الله!».

شددتُ داون، وقفنا نتبادل القبل، وعيناها تلقي بالنظر مرة على عيني ومرة عليهم، كان مارتي وآن الصغيران يراقبان أيضاً.

«انظري، ها هما مقدمان على فعلها، بإمكاننا أيضاً أن نفعل بالتوازي مع كبار القوم، انظري إليهما!» قال مارتي.

سألتها: «هل تسمعين ذلك؟ لقد قالا بأننا مقدمان على فعلتها. هل هذا صحيح؟».

«أرجو أن يكون حقيقة». قالت داون.

هممت بها فوق الأريكة ورفعت ثيابها حول وركيها، قبلتها على طول عنقها.

«أحبك».

«تحبني؟ تحبني؟».

«نعم، بطريقة ما، نعم..».

قالت آنا الصغيرة لمارتي الصغير: «حسناً، يمكننا أيضاً أن نفعلها وإن لم أكن واقعة في حبك».

تعانقا وسط طاولة القهوة، خلعت عنها سروالها، تأوهت داون، روثي الصغيرة تأوهت أيضاً، مارتي أطبق على آنا. خطرت لي فكرة أن كل من في العالم كان يفعلها، ثم نسيت أمر بقية العالم. انتقلنا إلى غرفة النوم، بعدئذٍ ولجت داون في جولة بطيئة طويلة، عندما خرجتُ من الحمام كنت أقرأ قصة مملة للغاية في مجلة بلاي بوي.

«لقد كان جيداً جداً». قالت.

«هذا من دواعي سروري». أجبتُ.

عادت إلى السرير معي، وضعت المجلة جانباً، سألتني: «هل تظن أن بإمكاننا أن نفعلها معاً؟».

«ماذا تقصدين؟».

«أقصد، هل تظن أن بإمكاننا أن نفعلها معاً في أي حين؟».

«لا أعرف، هذا ممكن، البداية دائماً هي الأسهل».

بعدئذٍ تناهت إلينا صرخة من الصالون «أو..ذ. أوه» قالت داون، قفزت راكضةً خارج الغرفة، تبعتها وعندما وصلت إلى هناك كانت تمسك بجورج بين يديها.

«أوه، يا إلهي!».

«ما الذي حدث؟».

«آنا فعلتها به».

«ما الذي فعلته؟»

«لقد خصته، جورج مخصي».

«واو!».

«أعطني بعض المناديل الورقية، بسرعة! قد ينزف حتى الموت!».

قالت آنا الصغيرة: «ابن العاهرة، إن لم يكن جورج لي، فلن يكون لسواي!».

«الآن كلتاكما لي!» قال مارتي.

«لا، عليك أن تختار في ما بيننا» قالت آنا.

«أي واحدة منا ستكون؟» سألت روثي.

«أحبكما أنتما الاثنتين» قال مارتي.

قالت داون: «لقد توقف النزف، إنه يشعر بالبرد»، غطت جورج بمنديل ورقي ووضعته على الرف، تابعت قائلةً: «أقصد، إذا لم تكن تظن بأننا يمكننا فعلها فلا أريد الخوض فيه بعد الآن».

«أظن أنني أحبك يا داون».

قالت: «انظر، مارتي يعانق روثي!».

«هل هما مقبلان على فعلها؟».

«لا أعلم، يبدوان مستثارين».

التقطت داون آنا ووضعتها في القفص السلكي.

«دعيني أخرج من هنا! سأقتلهما! دعيني أخرج من هنا!».

تأوه جورج من داخل المنديل على الرف في حين كان مارتَي وروثي عاريين. جذبت داون نحوي، كانت جميلة وشابة ولها روح. يمكنني أن أحب ثانية، كان ممكناً، قبّلنا بعضنا، غرقتُ في عينيها، ثم نهضت وبدأت الجري، عرفت أين كنتُ، صرصار ونسر مارسا الحب، كنت مرة مغفلاً مع آلة بانجو[1]، واصلت الجري تناثر شعرها الطويل على وجهي، صرخت آنا الصغيرة: «سأقتل الجميع!»، تحركت في قفصها الصغير في الثالثة صباحاً.

---

(١) آلة موسيقى وترية.

حبّ بـ ١٧,٥٠ دولاراً

كانت أولى رغبات روبرت ـ عندما بدأ يفكر بمثل هذه الأمور ـ هي التسلل إلى متحف الشمع في إحدى الليالي ليمارس الحب مع سيدات من الشمع، وبما أن هذا الأمر بدا محفوفاً بالمخاطر، فقد اقتصرأمرَه على ممارسة الحب مع تماثيل وعارضات ملابس في خيالاته الجنسية وظل يعيش في عالمه الوهمي.

في أحد الأيام أثناء وقوفه عند الإشارة الحمراء نظر باتجاه مدخل أحد المتاجر. كان واحداً من تلك المتاجر التي تبيع كل شيء: تسجيلات، وأرائك، وكتباً، وتوافه، وخردة. رآها تقف هناك ترتدي فستاناً أحمر طويلاً، تضع نظارات بلا إطار، لها هيئة حسنة وقورة ومثيرة كما تبدو مثيلاتها عادةً، امرأة أنيقة حقيقية. ثم فتحت الإشارة وكان مضطراً للانطلاق.

ركن روبرت سيارته على بُعد بناية واحدة وعاد إلى المتجر، وقف في الخارج عند رف الصحف ونظر إليها، بدت العيون حقيقية والفم شديد العفوية ناتئاً بعض الشيء، دخل روبرت ونظر في رف التسجيلات، كان أقرب إليها واسترق النظر. لا، هم لم يعودوا يصنعونها على هذه الشاكلة، كما أنها كانت تنتعل حذاء ذا كعب عالٍ.

تقدمت فتاة المتجر، وقالت: «هل بإمكاني مساعدتك يا سيدي؟».

«أنا ألقي نظرة فقط يا آنسة».

«إذا أردت أي شيء، أخبرني فقط».

«بالتأكيد».

تقدم روبرت نحو العارضة، لم يكن هناك بطاقة تشير إلى السعر، تساءل إذا ما كانت للبيع، عاد إلى رف التسجيلات، التقط ألبوماً رخيصاً واشتراه.

في زيارته التالية إلى المتجر كانت ما تزال العارضة هناك، استعرض روبرت السلع، اشترى منفضة على شكل أفعى ملفوفة، وخرج.

في المرة الثالثة التي ذهب فيها إلى هناك سأل الفتاة: «هل العارضة للبيع؟»

«العارضة؟».

«نعم، العارضة».

«تود شراءها؟».

«نعم، أنتم تبيعون أشياء، أليس كذلك؟ هل العارضة للبيع؟».

«لحظة يا سيدي».

قصدت الفتاة القسم الخلفي من المتجر، انفتحت الستارة وخرج رجل يهودي مسن؛ يمكنك رؤية بطنه المشعرة، فالزران السفليان من قميصه كانا مفقودين، بدا ودوداً إلى حد ما.

«هل تريد العارضة سيدي؟».

«نعم، هل هي للبيع؟».

«حسناً، ليس تماماً كما ترى، إنها تُستعمل للعرض، شيء تافه».

«أريد شراءها».

«حسناً، هيّا نرى...»، لمس العارضة والفستان والأذرع، وقال: «هيّا نرى... أظن أنه بإمكاني أن أدعك تمتلك هذا الشيء بـ ١٧.٥٠ دولاراً».

سآخذها، أخرج روبرت عشرين دولاراً، عدَّ صاحب المتجر الفكة وقال: «سأفتقدها، تبدو أحياناً كما لو أنها حقيقية، هل أغطّيها؟».

«لا، سآخذها كما هي».

التقط روبرت العارضة وحملها إلى سيارته، وضعها في المقعد الخلفي، وانطلق مبتعداً نحو منزله ولحسن الحظ عندما وصل لم يكن هناك أحد. أدخلها من الباب، أوقفها في وسط الغرفة ونظر إليها، وقال: «ستيلا... ستيلا.... أيتها اللعينة!»، تقدم وصفعها على وجهها، ثم أمسك بالرأس وقبّله، كانت قبلة جيدة، بدا أن قضيبه يزداد قساوة عندما رن الهاتف.

«مرحباً» أجاب.

«روبرت؟».

«نعم، بالتأكيد».

«أنا هاري».

«كيف حالك هاري؟».

«بخير، ماذا تفعل؟».

«لا شيء».

«أفكر بالمجيء، سأجلب معي بيرة».

«حسناً».

أغلق روبرت السماعة، التقط العارضة وحملها إلى الخزانة، حشرها

في الزاوية الخلفية وأغلق الباب. لم يكن لدى هاري الكثير ليقوله، جلس مع زجاجة البيرة، وسأل: «كيف حال لورا؟»

قال روبرت: «أوه، لقد انتهى كل شيء بيني وبين لورا».

«ما الذي حصل؟».

«المرأة المغوية الأبدية دائماً على المنصة، كانت عديمة الشفقة، تغوي الرجال في كل مكان، في البقالية والشارع والمقاهي، وفي كل مكان ولكل إنسان، لا يهم من يكون طالما أنه رجل، كما أنها أيضاً أغوت رجلاً اتصل بطريق الخطأ، لم أستطع تحمل المزيد».

«أنت وحيد الآن؟».

«لا، لقد حصلت على أخرى، بريندا، لا بد أنك التقيت بها».

«أوه، نعم، بريندا، إنها جيدة».

جلس هاري يشرب البيرة، لم يكن على علاقة بامرأة قط لكنه كان دوماً يتحدث عنهن، كان فيه شيء يثير الاشمئزاز، لم يشجع روبرت على استمرار المحادثة وبعد مغادرة هاري ذهب إلى الخزانة وجلب ستيلا، خاطبها: «أنت أيتها العاهرة اللعينة! كنت تتلاعبين بي، أليس كذلك؟».

لم تجب ستيلا، وقفت تنظر ببرود شديد وتكلف، صفعها صفعة قاسية «لن تفلت من العقاب بعد اليوم أية امرأة تغرّر ببوب ويلكنسون»، صفعها صفعة قاسية أخرى.

«عاهرة! كنت لتضاجعين صبياً في الرابعة من عمره لو استطاع قضيبه الانتصاب، أليس كذلك؟».

صفعها ثانية، ثم انقض عليها وقبّلها مراراً وتكراراً، ومدّ يديه تحت

فستانها، هيئتها الحسنة جداً ذكّرته بمعلمة الجبر التي كانت تعلمه في المدرسة الثانوية، لم تكن ستيلا ترتدي سروالاً، قال: «أيتها عاهرة، من أخذ سروالك؟».

كان قضيبه يضغط على مقدمتها، لم يكن هناك فرج لكن روبرت كان في حالة مروعة من الرغبة. أولجه بين فخذيها، كان أملساً ومشدوداً. توقف للحظة شعر بأنه شديد الحماقة، ثم تولت به الرغبة وبدأ يقبلها في عنقها وهو يواصل ما يفعله.

غسل روبرت ستيلا بقماشة غسل الصحون، ووضعها في الخزانة خلف معطف، أغلق الباب وشاهد الربع الأخير من مباراة أسود ديترويت مقابل أكباش لوس أنجلس على التلفاز.

كانت ستيلا ظريفة إلى حد بعيد بالنسبة إلى روبرت الذي أجرى بعض التعديلات. فقد اشترى لها عدة سراويل تحتية وحزاماً للجوارب وجورباً طويلاً شفافاً وخلخالاً وقرطاً أيضاً، لكنه صُدم عندما علم أن حبيبته لم يكن لها أذنان تحت كل ذلك الشعر. ثبّت القرط بشريط لاصق.

كانت لستيلا ميّزات؛ فهو غير مضطر لاصطحابها إلى العشاء والحفلات والأفلام البليدة وغير ذلك من الأمور الدنيوية التي تعني الكثير للمرأة العادية، صحيح أنها عارضة لكن حدثت مشاجرات عدة بينهما، لم تكن ثرثارة، لكنه كان واثقاً بأنها قالت له ذات مرة: «أنت أعظم عاشق بينهم، فاليهودي كان عاشقاً غبياً، أنت تحبّ بالروح..... روبرت»، لم تكن مثل باقي النساء اللاتي عرفهن، فهي لم ترغب بممارسة الحب في أوقات غير مريحة؛ لذا كان هو من يختار الوقت

المناسب، كما لم يكن لديها دورة شهرية، قصّ بعض الشعر من رأسها وألصقه بين فخذيها.

في البداية، كانت الممارسات بينهما جنسية لكن تدريجياً بدأ يحبها، وعندما شعر بذلك فكر بالذهاب إلى طبيب نفسي لكنه عدل عن الفكرة، هل من الضروري أن تحبّ كائناً بشرياً؟ إنه حبّ لا يدوم طويلاً، ثمة فروق كثيرة بين الأنواع، والذي يبدأ حبّاً غالباً ما ينتهي بالعداوة.

لم يكن عليه أن يكذب في السرير على ستيلا، كان يستمع إلى حديثها عن جميع عشاقها السابقين؛ كيف كان لكارل ذلك الشيء الكبير، لكن كارل لم يكن يلعق. وكيف أن لويس يجيد الرقص، قد يكون خُلق للباليه بدلاً من بيع بطاقات التأمين. وكيف أن مارتي يستطيع أن يقبّل، كانت لديه طريقة لعقد الألسنة، وهكذا دواليك... أي هراء، بالطبع أشارت ستيلا إلى اليهودي العجوز في حديثها.

بعد مضي أسبوعين على روبرت مع ستيلا اتصلت بريندا.

«نعم بريندا؟» أجاب.

«روبرت، لم تتصل بي».

«كنت منشغلاً جداً يا بريندا، لقد ترقيت إلى مدير منطقة وكان عليَّ تعديل بعض الأمور في المكتب».

«حقاً؟».

«نعم».

«روبرت، هناك مشكلة..».

«ماذا تعنين؟».

«يمكنني أن أعرف من صوتك، شيء ما غير طبيعي، ما هي المشكلة اللعينة يا روبرت؟ هل هناك امرأة أخرى؟»

«ليس تماماً».

«ماذا تعني؟».

«أوه، بحق المسيح!».

«ماذا؟.. ماذا؟ روبرت.. هناك مشكلة.... أنا قادمة لرؤيتك».

«لا توجد مشكلة يا بريندا».

«يا ابن العاهرة، أتتلاعب بي! شيء ما يجري، أنا قادمة لرؤيتك الآن».

أغلقت بريندا الهاتف، تقدم روبرت والتقط ستيلا ووضعها في الزاوية الخلفية من الخزانة وعلّق فوقها معطفاً، عاد وجلس منتظراً، فتحت بريندا الباب ودخلت مسرعة وقالت:

«حسناً، ما الذي يجري بحق الجحيم؟ ما الذي يجري؟».

«اسمعي يا حبيبتي، حسناً، اهدئي».

كان لبريندا جسمٌ لطيفٌ ونهدان متدليان قليلاً، لكن ساقيها جميلتان ومؤخرتها أيضاً. في عينيها دائماً نظرة هائجة مهدرة؛ كانت السبب في عدم شفائه من عينيها، أحياناً بعد ممارسة الحب يملأ هدوء مؤقت عينيها لكنه لا يدوم طويلاً.

«أنت حتى لم تقبّلني بعد!».

نهض روبرت عن كرسيه وقبّل بريندا.

«يا رب، هذه لم تكن قبلة! ما المشكلة!».

«لا شيء، لا شيء على الإطلاق..».

«إذا لم تخبرني، سأصرخ!».

«سأخبرك، لا شيء».

صرخت بريندا، مشت نحو النافذة وصرخت. تردد صدى صرختها في أنحاء الحي، ثم توقفت.

«يا الله! بريندا، لا تفعلي ذلك مجدداً! أرجوك، أرجوك!».

«سأصرخ ثانية! سأفعلها! أخبرني ما الذي يجري يا روبرت، أو سأصرخ مجدداً!».

«حسناً، انتظري».

ذهب روبرت إلى الخزانة، نزع المعطف عن ستيلا وأخرجها.

«ما هذا؟ ما هذا؟» سألت بريندا

«عارضة ملابس».

«عارضة؟ هل تعني؟..».

«أعني، أنا أحبها».

«أوه، يا إلهي! هل تعني ذلك الأمر؟ ذلك الفعل؟».

«نعم».

«تحب ذلك الشيء أكثر مني؟ تلك القطعة الضخمة من البلاستيك أو أيّاً يكن الهراء المصنوعة منه؟ تعني أنك تحب ذلك الشيء أكثر مني؟».

«نعم».

«أظن أنك تصحبها معك إلى السرير؟ وتفعل أشياء مع ذلك الشيء؟».

«نعم».

«أوه».

وقفت بريندا هناك وصرخت، ظنَّ روبرت أنها لن تتوقف أبداً، قفزت نحو العارضة وبدأت تضربها حتى أسقطتها على الجدار، خرجت من الباب، ركبت سيارتها وانطلقت مسرعة. اصطدمت بطرف سيارة مركونة، نظرت بسرعة وانطلقت.

تقدم روبرت نحو ستيلا. كان الرأس مكسوراً ومتدحرجاً تحت الكرسي، يوجد تدفق لمواد طبشورية على الأرض وذراع مكسورة معلقة بشكل واهٍ وسلكانِ نافران، جلس على الكرسي، ثم نهض وذهب إلى الحمام، وقف دقيقة ثم عاد إلى الرواق وبدأ بالبكاء، كان المنظر رهيباً، لم يدرِ ماذا يفعل؟ تذكّر كيف دفن أمه وأباه، لكن هذا كان مختلفاً، وقف في الرواق ينشج وينتظر، كانت عينا ستيلا مفتوحتين باردتين وجميلتين تحدقان به.

زوج من السكارى

كنت في العشرينات من عمري، ذا بنية قويّة رغم أنني كنت أشرب كثيراً ولا أتناول طعاماً. ولما لم تكن الأمور الأخرى عدا ذلك تسير على ما يرام فهذا يعني أن لديك بعض الحظ. كان عقلي يشاغب مصيري وحياتي، والطريقة الوحيدة التي استطعت من خلالها تهدئته كانت بالشراب والشراب والشراب. ذرعتُ طريقاً مغبَّراً وقذراً وحاراً، أظن أنها كانت أرضاً صحراوية في ولاية كاليفورنيا لكنني لست متأكداً، مشيتُ على طول الطريق وجواربي خشنة ونتنة وكريهة الرائحة، والمسامير تنغرز في نعل حذائي وقدمي. وكان يجب عليَّ أن أضع ورقاً مقوى في حذائي أو أي شيء أستطيع إيجاده، عندما تدخل المسامير، فإما أن يدخل المزيد منها أو عليك أن تدير تلك الأشياء أو تقلبها رأساً على عقب أو تعيد تشكيلها.

توقفت الشاحنة بجانبي، تجاهلتها وواصلت المسير، بدأت الشاحنة بالسير مجدداً بمحاذاتي، خاطبني الرجل: «يا ولد، هل تريد عملاً؟»

«من يجب عليّ أن أقتل؟» سألت.

«لا أحد، هيّا اصعد».

استدرت نحو الجهة الأخرى، كان الباب مفتوحاً، وقفت على

العتبة، انزلقت، جذبت الباب وأغلقته. أسندت ظهري إلى المقعد الجلدي. كنت بعيداً عن الشمس.

«هل تريد أن تمصني فتحصل على خمسة دولارات». قال الرجل.

وضعت يدي اليمنى بشدة على بطنه، واليسرى في مكان ما بين الأذن والرقبة، وعدت باليمنى على الفم وخرجت الشاحنة عن الطريق. اختطفت العجلة وأعدتها، ثم فصلت المحرك والمكابح، قفزت وواصلت المشي على الطريق، وبعد خمس دقائق كانت الشاحنة تسير بمحاذاتي مرة أخرى.

قال الرجل: «يا ولد، أنا آسف، لا أقصد ذلك، لم أقصد بأنك مثليّ، أقصد، ولو أنك تبدو إلى حد ما كذلك. هل هناك أي مشكلة في أن يكون المرء مثلياً؟».

«أتوقع لو أنك مثليّ فليس هناك من مشكلة».

قال الرجل: «هيا، اصعد، لدي عمل حقيقيّ شريف من أجلك، يمكنك أن تكسب بعض المال، اصعد».

صعدتُ ثانية، وانطلقنا.

قال: «أنا آسف، لديك وجه خشن لكن انظر إلى يديك، تبدوان مثل أيدي السيدات».

«لا شأن لك بيدي». قلت.

«حسناً، إنه عمل شاق؛ تحميل العوارض. هل سبق لك أن قمت بتحميل العوارض؟».

«لا».

«إنه عمل شاق».

«طوال حياتي وأنا أعمل أعمالاً شاقة».

«حسناً، حسناً». قال الرجل.

خيّم الصمت علينا، والشاحنة تهتزّ جيئة وذهاباً. لم يكن هناك شيء سوى الغبار والصحراء، لم يكن الرجل شديد الوقاحة، لكن أحياناً يكتسب صغار الناس الذين يبقون وقتاً طويلاً في المكان نفسه قدراً قليلاً من القوة والشأن، لديه شاحنة وهو مستأجر، يجب عليك أحياناً أن تساير ذلك.

رأينا رجلاً مسناً يمشي على طول الطريق، يبدو في منتصف أربعينياته، كان كبير السن بالنسبة للسير على الطريق، خفف السيد بوركارت، وقد أخبرني اسمه، سرعة شاحنته، وسأل الرجل الكبير: «هيه يا رفيق، هل تريد أن تكسب دولارين؟»

«أوه، نعم سيدي!» قال الرجل الكبير.

«اصعد، دعه يركب» قال السيد بوركارت.

صعد الرجل الكبير، فاحت منه رائحة السكر والتعرق واللوعة والموت، تابعنا طريقنا إلى أن وصلنا إلى مجموعة صغيرة من المباني، خرجنا ودخلنا إلى متجر. كان هناك رجل في ظلة خضراء وحزمة من المطاط مربوطة حول رسغه الأيسر. كان أجرد الذقن لكن ذراعيه كانتا مكسوتين بشعر أشقر طويل شاحب.

قال: «مرحباً سيد بوركارت، أرى أنك وجدت لنفسك سكيرين إضافيين».

قال السيد بوركارت: «ها هي القائمة يا جيسي»، راح جيسي يجهز الطلبات، وقد استغرق بعض الوقت.

ثمّ أنهى.

«أي شيء آخر سيد بوركارت؟ قنينتين من النبيذ الرخيص؟».

«أنا لا أريد نبيذاً». قلت.

«حسناً، أنا سآخذ القنينتين». قال الرجل الكبير.

«سأخصم ثمنها من أجرك». قال بوركارت للرجل الكبير.

ردّ الرجل الكبير: «ليست مشكلة. اخصمها».

«هل أنت واثق من أنك لا تريد قنينة؟» سألني بوركارت.

«حسناً، سآخذ قنينة».

في تلك الليلة حصلنا على مأوى وشربنا النبيذ، حدثني الرجل الكبير عن مشاكله، لقد كانت زوجته، هو لا يزال يحبها ويفكر بها طوال الوقت، امرأة عظيمة ما من امرأة مثلها، كان يعمل مدرساً لمادة الرياضيات.

في صباح اليوم التالي كان الرجل الكبير مريضاً ولم أكن أفضل حالاً منه، كانت الشمس عالية وساطعة، ذهبنا إلى العمل؛ تكديس عوارض السكة الحديدية في أكوام. كان التكديس في القاع سهلاً. لكن ارتفعنا كان ينبغي علينا أن نعد: واحد، اثنان، ثلاثة، كنا نعدّ ثم نرميها.

كان الرجل الكبير يربط منديلاً حول رأسه الذي تدفق منه الشراب المسكر؛ لذا بدا المنديل غامقاً ومبللاً. بين الحين والآخر كانت تنغرز كسرة من إحدى عوارض السكة في قفازي البالي وتصل إلى يدي. في الأحوال العادية كنت سأعجز عن تحمل الألم وسأغادر العمل لكن التعب يبلّد الأحاسيس تماماً. كنت أكتفي بالغضب كما لو أنني أريد قتل أحدهم، ولكن عندما نظرت حولي لم يكن هناك سوى رمل ومنحدرات وشمس صفراء جافة ساطعة بقوة وما من مكان أقصده.

كانت شركة السكك الحديدية تنزع العوارض القديمة كل فترة وتستبدلها بواحدة جديدة. وتترك العوارض القديمة ملقاة بجانب السكك. لم تكن هذه العوارض شديدة التلف لكن الشركة ألقتها هناك،

وكان لدى بوركارت رجال من أمثالنا يعملون على تكديسها لينقلها بشاحنته ويبيعها. أظن أن لها كثيراً من الاستعمالات؛ ففي بعض مزارع الماشية تُغرس في الأرض وتُربط مع بعضها بأسلاك شائكة لتستعمل كأسيجة. أظن أن هناك استعمالات أخرى أيضاً، لكنني لم أكن مهتماً كثيراً.

لقد كان مثل أي عمل مستحيل آخر، تتعب وترغب في المغادرة، ثم تتعب أكثر وتنسى أمر المغادرة، والدقائق لا تمر، الدقيقة الواحدة كما لو أنها دهراً، ما من أمل، ما من مفر، مُحاصر لا تغادر؛ لأنك شديد الحماقة وإن فعلت فما من مكان تقصده.

«يا ولد، لقد خسرت زوجتي. كانت امرأة صالحة لا أتوقف عن التفكير بها، المرأة الصالحة هي أعظم ما على وجه الأرض».

«نعم».

«لو لدينا فقط بعض النبيذ».

«نحن لا نملك أي نبيذ، علينا الانتظار حتى يحل الليل».

«أتساءل إذا ما كان من أحد يفهم السكيرين».

«سكيرون آخرون فقط».

«هل تظن أن تلك الكسرات التي في أيدينا ستزحف نحو قلوبنا؟».

«لا مجال، نحن لم نكن يوماً محظوظين».

عبر هنديّان بنا وقاما بمراقبتنا وقتاً طويلاً، وبينما كنت جالساً أدخن مع الرجل الكبير على إحدى العوارض تقدم أحدهما إلينا، وقال: «إنكم أيها الرجال تفعلون كل شيء بطريقة خاطئة».

«ما الذي تعنيه؟» سألت.

«أنتم تعملون في أعلى درجات الحرارة الصحراوية، ما عليكم فعله

هو الاستيقاظ باكراً في الصباح لتنفيذ عملكم في الوقت الذي يكون الجو فيه بارداً».

قلت: «أنت على حق، شكراً لك».

كان الهندي على حق، قررت أن ننهض باكراً لكننا لم نفعل قطّ، فالرجل الكبير دائماً في حالة إعياء شديد من ثمالة الليلة السابقة وأنا لم أتمكن من إيقاظه في الوقت المناسب، كان يقول: «خمس دقائق إضافية... خمس دقائق فقط».

في أحدِ الأيام توقّف الرجل الكبير عن العمل، لم يعد بإمكانه رفع المزيد من العوارض، كان يعتذر طوال الوقت عن العمل.

«حسناً، يا عم».

عدنا إلى الخيمة وانتظرنا حلول المساء، تمدد الكبير وظل يتحدث عن زوجته السابقة، سمعت عن زوجته السابقة طوال النهار وحتى المساء، ثم وصل بوركارت.

«يا يسوع المسيح! أنتم أيها الرجال لم تنجزوا الكثير اليوم، هل تفكرون بالعيش على دهن الأرض؟».

أجبته: «انتهينا، بوركارت، ننتظر أن تدفع لنا».

«في نيتي ألا أدفع لكم يا شباب».

«إذا كنت تفكر بطريقة صحيحة فسوف تدفع».

قال الرجل الكبير: «رجاء، سيد بوركارت، أرجوك، أرجوك، لقد عملنا عملاً شاقاً لعيناً، صدقاً لقد فعلنا».

قلت: «بوركارت يعلم ما الذي فعلناه، لقد عدّ الأكوام كما فعلت».

«٧٢ كومة». قال بوركارت.

«٩٠ كومة». قلت.

«٧٦ كومة». قال بوركارت.

«٩٠ كومة». قلت.

«٨٠ كومة». قال بوركارت.

«اتفقنا». قلت.

أخرج بوركارت قلماً وورقة وحاسبنا على النبيذ والطعام والنقل والسكن. حصلت أنا والكبير على ١٨ دولاراً لكل منا مقابل العمل لخمسة أيام، كما حصلنا على توصيلة مجانية إلى البلدة، مجانية؟! لقد استغلنا بوركارت لكننا لم نستطع أن نشتكي، لأنك عندما تكون مفلساً يتوقف القانون عن النفاذ.

قال الرجل الكبير: «قسماً بالله، سأثمل، سأصير جيداً وأثمل، ألن تفعل، يا ولد؟».

«لا أفكر بذلك».

دخلنا الحانة الوحيدة في البلدة، طلب الكبير نبيذاً وطلبت بيرة، بدأ يحكي قصة زوجته السابقة مرةً ثانيةً، فانتقلت إلى الطرف الآخر من الطاولة، نزلت فتاة مكسيكية الدرج وجلست بقربي، لماذا ينزلنَ دوماً من درج مثل ذلك كما في الأفلام؟ أنا أيضاً شعرت كما لو أنني في فيلم، دعوتها إلى شرب البيرة معي.

قالت: «اسمي شيري».

«هذا ليس اسماً مكسيكياً».

«ليس من الضروري أن يكون كذلك».

«أنت على حق».

يجب عليك أن تدفع خمسة دولارات في الطابق الأعلى، غسلتني

أولاً ثم حممتني في حوض أبيض مرسوم حوله كتاكيت صغار يطارد أحدها الآخر، لقد كسبتُ في عشر دقائق المال نفسه الذي استغرقني يوماً وبضع ساعات كي أحصل عليه، في ما يتعلق بالنقود بدا الأمر أكيداً كالهراء، من الأفضل أن يكون لديك كس بدلاً من أير.

عندما عدت كان الرجل الكبير قد ألقى رأسه على الطاولة، كان لزاماً عليه أن يفعل؛ فنحن لم نأكل طوال النهار ولم يكن باستطاعته المقاومة. يوجد دولار وبعض الفكة بالقرب من رأسه، فكرت للحظة أن آخذه معي لكنني كنت بالكاد أعتني بنفسي، خرجت كان الجو منعشاً وسرت شمالاً.

شعرت بالسوء لتركه هناك لرجال البلدة الصغيرة الجشعين، وتساءلت عما لو فكرت زوجته به، هي لم تفعل، وإذا فعلت، فلا يكاد يكون بالطريقة نفسها التي فكر بها هو. الأرض تعج بأناس مكلومين من أمثاله، احتجت إلى مكان أقضي فيه ليلتي، كان السرير الذي كنت فيه مع الفتاة المكسيكية أول سرير أنام فيه منذ ثلاثة أسابيع.

اكتشفت في الليالي السابقة أن الكسرات في يدي تبدأ بالنبض عندما يبرد الجو، استطعت أن أشعر بمكان كل منها، بدأ الطقس يزداد برودة، لا يمكنني القول إنني كرهت عالم الرجال والنساء، لكنني شعرت بقرف معيّن فصلني عن الصناع والتجار والكذَبَة والعشاق، والآن بعد عقود أشعر بالقرف نفسه، طبعاً هذه قصة رجل واحد أو رؤية رجل واحد للواقع، وإذا ما واصلت القراءة ربما تكون القصة التالية باعثة أكثر على السعادة، آمل ذلك.

ماجا ثورَب

نال ماجا ثورب مؤخراً تغطية إعلامية صحافية وتلفزيونيّة شاملة، كانت السيدة هيستر آدامز تكتب كتاباً عنه؛ هي امرأة في الخامسة والثلاثين من عمرها، مطلقة مرتين، لديها طفلان، تجاعيدها ظاهرة، ونهداها متدليان، كاحلاها يزدادان سماكة وبطتا ساقيها أيضاً، معالم بطنها ظاهرة. تعلّمت أمريكا أن الجمال لا يقيم إلا في الشباب لا سيّما الجمال الأنثوي، لكن هيستر آدامز كان لها جمال مظلم من خيبة وفشل قادمين، فقد دبَّ الفشل القادم في كل ناحية منها ومنحها شيئاً جنسياً مثل امرأة كئيبة وباهتة تجلس في حانة تعجّ بالرجال. تلفتت هيستر من حولها، وشهدت بعض بشائر العون من الذكر الأمريكي، كما تسنّى لها ركوب الطائرة إلى أمريكا الجنوبية. دخلت الدغل مع آلة التصوير والآلة الكاتبة المحمولة وكاحليها الآخذين بالسماكة وبشرتها البيضاء، والتقت بأحد الكانيباليين[1]؛ كانيباليّ أسود البشرة يُدعى «ماجا ثورَب»، كان ماجا وسيم الطلعة، بدا وجهه مسطراً بأكثر من ألف أثرٍ للشرب وألف مأساة لكن للمآسي جذر واحد، كان ماجا ثورب متدلياً بشكل كبير، ما من فتاة في القرية كانت تقبل به؛ فقد مزّق بعضوه فتاتين حتى الموت، واحدة ولجها من الأمام والأخرى من الخلف، لا يهم.

---

(١) أكلة لحوم البشر.

كان ماجا رجلاً وحيداً يشرب ويفكّر في وحدته إلى أن أتت هيستر آدامز بصحبة دليل وبشرة بيضاء وكاميرا. بعد مقدمات رسمية وبعض الشراب بالقرب من النار دخلت هيستر كوخ ماجا ثورب متناولة كل ما استطاع ماجا تجميعه وطلبت المزيد. كانت معجزة لكليهما وتزوجا في حفل زواج قبليّ استمر ثلاثة أيام، تم خلاله الإمساك برجال من قبيلة معادية، تمّ شَويُهم وأكلهم وسط الرقص والطقوس والشراب. وبعد الحفل وزوال صداع الخُمار بدأت المشكلة؛ إذ لاحظ الطبيب أن هيستر لم تتقاسم لحم الأعداء المشوي المزين بالأناناس والزيتون والجوز، وأعلن للجميع أن هذه لم تكن آلهة بيضاء بل واحدة من بنات إله الشر ريتيكان الذي طُرد منذ قرون من نعيم القبيلة لرفضه أكل أي شيء بخلاف الخضار والفواكه والجوز. تسبب هذا الإعلان بنزاع في القبيلة وفي الحال قُتل صديقان لماجا ثورب؛ لأنهما وجدا أن تعامل هيستر مع الجزء المتدلّي من ماجا يُعدّ معجزة، وأن قضية عدم تناولها الطعام يمكن أن تغتفر مؤقتاً على الأقل.

هربت هيستر مع ماجا إلى أمركيا، تحديداً إلى شمال هوليود في أمريكا، حيث سعت ليحصل ماجا ثورب على الجنسية الأمريكية بشكل قانوني. وبوصفها مدرّسة سابقة بدأت تعليم ماجا اللغة الإنجليزية وكيفية استعمال الملابس، وعرّفته على بيرة كاليفورنيا ونبيذها والتلفاز والطعام المشترى من متجر قريب آمن. لم يشاهد ماجا التلفاز فحسب، بل ظهر فيه مع هيستر وصرّحا عن حبهما علناً، ثم عادا إلى شقتهما في شمال هوليود ومارسا الحب، في ما بعد جلس ماجا على البساط مع كتب تعليم قواعد اللغة الإنجليزية يحتسي البيرة والنبيذ، ويغني أناشيد وطنية ويضرب على الطبلة. عملت هيستر على كتاب يتحدث عن قصتها مع ماجا، كان ثمّة ناشر شهير ينتظر وكل ما كان عليها فعله هو أن تنهيه.

ذات صباح كنت في السرير نحو الساعة الثامنة، خسرت البارحة أربعين دولاراً في سانتا آنيتا، وكانت ودائعي في مصرف كاليفورنيا الفيدرالي تنخفض على نحو خطير، ولم أكتب قصة قيّمة منذ شهر، رن الهاتف، نهضت، وتقيأت، وسعلت ثم رفعت السماعة.

«تشيناسكي؟».

«نعم؟».

«معك دان هودسون».

كان دان محرراً وناشراً، يدير مجلة *Flare* في شيكاغو، ويتقاضى أجراً جيداً.

«مرحباً دان، أيها العزيز».

«انظر، لقد حصلت للتو على شيء لك».

«بالتأكيد يا دان، ما هو؟».

«أريدك أن تجري مقابلة مع تلك العاهرة التي تزوجت من الكانيباليّ، اجعل الجنس موضوعاً رئيساً، امزج الحب بالرعب، هل تعرف؟».

«أعرف، ـ فعلتُ هذا طوال حياتي».

«هناك خمسمائة دولار من أجلك إذا فعلتها قبل ٢٧ آذار».

«دان، مقابل خمسمائة دولار يمكنني أن أحوّل بورت رينولدز[١] إلى امرأة سحاقية».

أعطاني دان العنوان ورقم الهاتف. نهضت، رشقت وجهي بالماء

---

(١) ممثل ومخرج أمريكي مواليد عام ١٩٣٦.

وتناولت حبّتي الكاسيلتزر[1]، فتحت زجاجة بيرة واتصلت بهيستر آدامز، أخبرتها بأني أريد أن أنشر علاقتها بماجا ثورب في مجلة فلير بوصفها واحدة من أعظم قصص الحب في القرن العشرين، وأكدت لها أن هذا الأمر سوف يساعد ماجا في الحصول على الجنسية الأمريكية، وافقَت على المقابلة في الساعة الواحدة من بعد الظهر.

كان عليّ الصعود إلى الشقة في الطابق الثالث. فتحَت الباب. كان ماجا جالساً على الأرض مع طبلته يشرب من خمسية نبيذ حلو متوسطة السعر. كان حافياً، يرتدي جينزاً ضيقاً وكنزة بيضاء مخططة بالأسود كحمار الوحش. أما هيستر فكانت ترتدي ثياباً مشابهة، جلبت لي زجاجة بيرة، تناولت سيجارة من العلبة على طاولة القهوة وبدأت المقابلة.

«متى قابلت ماجا لأول مرة؟».

حددت هيستر تاريخ مقابلتها لماجا مع ذكر الوقت والمكان بدقة.

«متى بدأت تشعرين بالحب نحو ماجا؟ ما هي الظروف الدقيقة التي اكتشفته فيها؟».

أجابت: «حسناً، لقد كان».

«إنّها تحبني عندما أعطيها الشيء». قال ماجا الجالس على البساط.

«لقد تعلم الإنجليزية بسرعة كبيرة، أليس كذلك؟».

«نعم، إنه رائع».

التقط ماجا قنينته وتجرع جرعة كبيرة، وقال: «أدخل هذا الشيء فيها، وتقول أوه يا إلهي!.. أوه يا إلهي!.. أوه يا إلهي! ها.. ها.. ها».

---

(١) مسكّن، وعلاج للبرد والإنفلونزا.

«لماجا بنية رائعة». قالت.

قال ماجا: «هي تأكل أيضاً، تأكل جيداً عميقاً حتى الحنجرة، ها.. ها.. ها!».

تابعت هيستر: «أحببت ماجا منذ البداية، كان منظر عينيه ووجهه مأساوياً جداً».

«وطريقته بالمشي، هو يمشي، حسناً، يمشي كالنمر».

قال ماجا: «نيك، نحن ننيك، نحن نييكين نيك.. نيك.. نيك... أنا تعبت»، شرب جرعة أخرى ونظر إليّ قائلاً: «نِكها أنت، أنا تعبت، إنها نفق كبير جائع».

قالت هيستر: «لماجا حسّ أصيل بالنكتة، وهذا الشيء حبّبه إلى نفسي».

ردّ ماجا: «فقط شيء واحد حبّبك فيّ، إنه عمود هاتفي مطلق البول».

خاطبتني هيستر: «يشرب ماجا منذ بداية الصباح، لا بدّ أن تعذره».

«ربما من الأفضل أن أعود عندما يكون في حال أفضل».

«أظن ذلك».

أعطتني هيستر موعداً في الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم التالي. كان لقاءً جيداً، احتجت إلى صور، عرفت مصوراً جيداً هو سام جاكوبي سينفذ العمل بسعر رخيص، أخذته معي إلى هناك. كان يوماً مشمساً مع طبقة رقيقة من الضباب، صعدنا وقرعت الجرس، لم يفتح أحد، قرعت ثانيةً، فتح ماجا الباب وقال: «هيستر ليست هنا، ذهبت إلى البقالية»،

قلت: «لدينا موعد في الساعة الثانية، أودّ أن أدخل وأنتظر»، دخلنا وجلسنا.

«أنا أضرب على الطبلة من أجلكما». قال ماجا.

ضرب على الطبلة وغنى بعض أناشيد الغابة، كان جيداً بالفعل، يشرب زجاجة أخرى من النبيذ الحلو، وما يزال في الجينز وكنزته المخططة كحمار الوحش.

قال: «نيك.. نيك.. نيك، هذا كل ما تريده، لقد جعلتني مخبولاً».

«هل تفتقد الغابة، ماجا؟».

«أنت فقط لا تستطيع أن تعاكس التيار يا والدي».

«لكنها تحبك ماجا».

«ها.. ها.. ها!».

ضرب لنا ماجا مرة أخرى على الطبلة، كان جيداً رغم أنه ثمل، عندما انتهى قال لي سام: «هل تظن أن لديها بيرة في الثلاجة؟».

«ربما».

«أعصابي متعبة، أحتاج إلى البيرة».

«اذهب واجلب اثنتين، سأشتري لها المزيد، عليَّ أن أجلب بعضاً منها».

نهض سام ودخل إلى المطبخ، سمعت صوت باب الثلاجة يُفتح.

«أنا أكتب مقالة عنكما». قلت لماجا.

«المرأة ذات الفتحة الكبيرة لا تمتلئ أبداً مثل البركان».

سمعت سام يتقيأ في المطبخ، لقد كان سكيراً وأعلم أنه في حالة

من الإعياء، لكنه ما يزال من أفضل المصورين في المنطقة، ثم حل هدوء، عاد سام ولم يكن معه بيرة.

قال ماجا: «أنا أعزف الطبلة ثانية»، ضرب على الطبلة، كان ما يزال جيداً لكن ليس بجودة المرة السابقة، فالنبيذ يترك أثره عليه.

«لنخرج من هنا». قال لي سام.

«عليَّ أن أنتظر هيستر». قلت.

«يا رجل، لنمض». قال سام.

«هل تريدان بعض النبيذ يا رجال؟» سأل ماجا.

نهضت وذهبت إلى المطبخ من أجل البيرة، تبعني سام، ومشيت نحو الثلاجة، فقال لي: «رجاءً لا تفتح ذلك الباب». ثم مشى نحو الحوض وتقيّأ ثانيةً، نظرت إلى باب الثلاجة ولم أفتحه، وعندما انتهى سام قلت: «حسناً، لنذهب»، خرجنا إلى الغرفة الأمامية حيث كان ماجا ما يزال جالساً ومعه طبلته، قال «سأعزف الطبلة مرة أخرى».

«لا، شكراً ماجا».

خرجنا ونزلنا الدرج نحو الشارع، ركبنا سيارتي، وانطلقت مبتعداً. لم نقل شيئاً، كنا في منطقة أعمال، قدت إلى محطة للوقود وطلبت من العامل أن يملأها بالبنزين العادي، خرج سام من السيارة واتجه نحو كشك للهاتف ليتصل بالشرطة، رأيته يعود، دفعت ثمن الوقود، لم أجرِ مقابلتي وخسرت الخمسمئة دولار، انتظرت حتى وصل سام إلى السيارة.

القتلة

انتهى هاري لتوه من تنزيل الحمولة، كان يهبط الآميدا[١] ذاهباً إلى بيدروس ليشرب كوب قهوة بثمن نيكل[٢]. كان الوقت باكراً لكنه تذكر أنهم اعتادوا أن يفتحوا في الساعة الخامسة صباحاً وبالإمكان الجلوس في بيدروس ساعتين مقابل نيكل واحد حيث تستطيع أن تفكر بعض الوقت وتتذكر أين أخطأت وأين أصبت.

كان المكان مفتوحاً، نظرت إليه الفتاة المكسيكية التي قدمت القهوة كمن ينظر إلى كائن بشري. الإنسان الفقير خبِر الحياة. فتاة مليحة على قدر من الحسن. إنهنّ جميعاً مجلبة للمشاكل. كل شيء يؤدي إلى المشاكل، تذكّر كلمات كان قد سمعها في مكان ما: ما الحياة إلا مشكلة.

جلس هاري إلى إحدى الطاولات القديمة متعباً في الثامنة والثلاثين من عمره. رشف القهوة الطيبة، وتذكر أين أخطأ وأين أصاب ـ لقد أصابه التعب ـ من لعبة التأمين، ومن المكاتب الصغيرة والحواجز الزجاجية العالية، ومن الزبائن، وخداعه لزوجته، وحشر السكرتيرات في المصعد والقاعات، تعب من حفلات الكريسماس وحفلات رأس

---

(١) مدينة ومرفأ غرب كاليفورنيا.

(٢) النيكل ويساوي خمسة سنتات.

السنة وأعياد الميلاد، وأقساط السيارات الجديدة وأقساط الأثاث والكهرباء والوقود والماء، وكل ما ينزف تعقيداً من الضرورات.

لقد تعب. وهذا كل ما في الأمر. وقع الطلاق سريعاً والشراب أيضاً، وفجأة كان معدماً، اكتشف أن عدم امتلاك شيء أمر صعب، كان ثقلاً من نوع آخر، لو كان هناك فقط طريق أكثر لطفاً في ما بينهما. بدا أن الرجل أمام خيارين: ادخل بعزم أو كن متبطلاً.

نظر هاري إلى الرجل الجالس قبالته، يشرب القهوة أيضاً. بدا في أوائل أربعيناته ويرتدي ثياباً رثة مثل هاري. لفَّ الرجل سيجارة ونظر نحو هاري وهو يشعلها، قال: «كيف الحال؟».

«هذا سؤال كبير!» قال هاري.

«نعم، أظنه كذلك».

جلسا يشربان قهوتهما.

«يتعجب المرء كيف وصل به الحال إلى هنا».

«نعم». قال هاري.

«بالمناسبة، إذا كان يهم، اسمي ويليام».

«وأنا هاري».

«بإمكانك مناداتي بيل».

«شكراً».

«نظرتك تقول إنك وصلت إلى نهاية شيء ما».

«حسبي أني تعبت من التبطل، تعبت حتى العظام».

«هل تريد أن تعود إلى المجتمع، هاري؟».

«لا، ليس ذاك لكنني أود الخروج من هذا».

«أمامك الانتحار».

«أعلم».

قال بيل: «اسمع، ما نحتاج إليه هو أن نحصل على بعض السيولة بطريقة سهلة وحينئذٍ يمكننا أن نلتقط أنفاسنا».

«بالتأكيد، لكن كيف؟».

«حسناً، ينطوي الأمر على بعض الخطورة».

«مثل ماذا؟».

«لقد اعتدت على سرقة بعض المنازل، ليس الأمر سيئاً، استطعت اصطحاب شريك جيد».

«حسناً، أنا جاهز لتجربة أي شيء، قرفت من منقوع الفاصولياء والكعك البائت والإرسالية ومحاضرات الله والشخير..».

«مشكلتنا تكمن في كيفية الوصول إلى المكان». قال بيل.

«معي دولاران».

«حسناً، سنلتقي عند منتصف الليل، معك قلم؟».

«لا».

«انتظر. سأستعير واحداً».

عاد بيل بأرومة قلم رصاص، أخذ منديلاً وكتب عليه.

«ستستقل حافلة بيفرلي هيلز وتطلب من السائق أن ينزلك هنا، ثم امشِ مسافة كتلتي بناء نحو الشمال، سأكون هناك بانتظارك، هل ستفعلها؟».

«سأكون هناك».

«هل لديك زوجة يا فتى؟» سأل بيل.

«هكذا تجري العادة». أجاب هاري.

استقل هاري الحافلة ومشى مسافة كتلتين بنائيتين شمالاً، كان الجو بارداً في تلك الليلة والظلمة شديدة، وقف بيل يدخن سيجارة ملفوفة. لم يقف في الخلاء بل كان في الخلف أمام أجمة كبيرة.

«مرحباً بيل».

«مرحباً هاري، هل أنت جاهز لتبدأ مهنة جديدة رابحة؟».

«جاهز».

«حسناً، لقد استطلعت هذه الأمكنة. أظن أنني حصلت على مكان جيد لنا منعزل تفوح فيه رائحة المال العفن، هل أنت خائف؟».

«لا، لست خائفاً».

«جيد، كُن بارد الأعصاب واتبعني».

تبع هاري بيل على طول الرصيف لمسافة كتلة ونصف من الأبنية، ثم عبرا مشياً بين أجمتين نحو مسطح أخضر فسيح حيث الفناء الخلفي لمنزل مكون من طابقين كبيرين. توقف بيل عند النافذة الخلفية وشرخ الحاجز بسكين، ثم وقف ساكناً وأصغى كمَن يقف في مقبرة، فكّ بيل الحاجز ورفعه، وقف يعمل عند النافذة بعض الوقت، بدأ هاري يفكر «يا يسوع!.. أنا مع هاوٍ.. أنا مع مجنون»، ثم فُتحت النافذة وتسلقها بيل نحو الداخل، استطاع هاري أن يرى مؤخرته تهتز، فكر: «هذا سخيف، هل يفعل الرجال هذا؟».

«هيّا»، قال بيل بصوت خافت من الداخل، تسلق هاري ودخل، كانت عفونة المال وطلاء الأثاث تفوح فيه.

«يا يسوع! بيل، أنا خائف الآن، ليس لهذا أيّ معنى».

«لا ترفع صوتك، تريد أن تتخلص من منقوع الفاصولياء، أليس كذلك؟»

«نعم».

«حسناً، كن رجلاً إذن».

وقف هاري في حين فتح بيل الأدراج ببطء ووضع أشياء في جيوبه، بدا أنهما في غرفة الطعام، كان بيل يحشر ملاعق وسكاكين وشوك في جيوبه، فكر هاري: «كيف يمكننا الحصول على أي شيء من ذلك؟». واصل بيل وضع الفضيات في جيوب معطفه، وقعت منه سكين ارتطمت بالأرض الصّلبة غير المفروشة فصدر صوت عالٍ.

«من هناك؟»، لم يجيبا.

«قلت، من هناك؟».

«ما هذا يا سيمور؟» قالت الفتاة.

«ظننت بأني سمعت شيئاً أيقظني».

«أوه، عودي إلى النوم».

«لا، لقد سمعت شيئاً».

سمع هاري صوت سرير ثم صوت رجل يمشي. دخل الرجل من الباب حيث كانوا في غرفة الطعام. كان يرتدي منامته، شاب في السادسة والعشرين أو السابعة والعشرين من عمره بسكسوكة وشعر طويل.

«حسناً، أيها الأخرقان، ماذا تفعلان في منزلي؟».

التفت بيل نحو هاري وقال: «اذهب إلى غرفة النوم ربما يكون هناك هاتف، تأكد من أنها لا تستعمله. أنا سأتولى أمر الرجل».

توجه هاري إلى غرفة النوم، رأى شابة شقراء بعمر الثالثة والعشرين

تقريباً، شعرها طويل، ترتدي قميص نوم مزخرفاً، ونهداها متدليان. كان هناك هاتف على طاولة صغيرة ولم تكن تستعمله. وضعت ظاهر يدها على فمها وهي تستوي في جلستها على السرير، قال لها: «لا تصرخي وإلاّ قتلتك».

وقف ينظر إليها وهو يفكر بزوجته، لكن ما من زوجة مثل تلك المرأة. بدأ يتعرق، شعر بدوخة وحدق كلاهما في الآخر، جلس هاري على السرير.

«دع زوجتي وشأنها وإلا قتلتك»، قال الرجل، كان بيل قد دخل لتوه بيده الشاب وبيده الأخرى سكينه تنغرز في وسط ظهر الرجل.

«لن يؤذي أحد زوجتك يا رجل، فقط أخبرنا أين تخبئ المال وسنغادر».

«لقد قلت لك إن كل ما أملكه موجود في محفظتي».

شدّ بيل الذراع مثبتاً إياها وغرز السكين قليلاً فجفل الرجل، قال بيل: «الجواهر، دلني على الجواهر».

«إنها في الطابق الأعلى..».

«حسناً، خذني إلى هناك!»

راقب هاري بيل وهو يخرجه، وظل يتبادل التحديق مع الفتاة ذات العيون الزرقاء، وقد توسعت الحدقتان خوفاً، قال لها: «لا تصرخي وإلا قتلتك، لذا ساعديني، سأقتلك!»

بدأت شفتاها بالارتجاف، كانتا بلون زهري شاحب، وضع فمه على فمها، لم يكن حليقاً ومنظره كريه وزنخ في حين كانت بيضاء ناعمة حساسة ترتجف، أمسك رأسها بيديه ونظر في عينيها «أيتها العاهرة، أيتها العاهرة اللعينة!»، قبلها ثانية أكثر عنفاً، وقعا على السرير معاً،

خلع حذاءه وبنطاله وهو ممسك بها طوال الوقت ويقبّلها «أيتها العاهرة، أيتها العاهرة اللعينة..».

«أوه، لا! يا يسوع المسيح! لا، ليس زوجتي أيها الأوغاد!».

لم يسمع هاري صوت دخولهما. ندت عن الشاب صرخة، ثم سمع هاري قرقرة، خرج ونظر حوله، كان الشاب على الأرض مذبوحاً، والدم يتدفق متواتراً.

«لقد قتلته!» قال هاري.

«لقد كان يصرخ».

«ما كان يجب أن تقتله».

«ما كان يجب أن تغتصب زوجته».

«لم أغتصبها ولأنت قتلته».

بدأت الصراخ، وضع هاري يده على فمها وقال: «ماذا سنفعل الآن؟».

«سنقتلها أيضاً، إنها شاهدة».

«لا يمكنني قتلها». قال هاري.

«سأقتلها». قال بيل.

«لكن ليس علينا أن نضيعها سدى».

«هيّا إذن، احصل عليها».

«ضع شيئاً في فمها».

«سأعتني بذلك»، قال بيل، وأخرج منديلاً من الدرج وضعه في فمها ثم مزّق الوسادة إلى مزق طولية وربط الوشاح بها.

«هيّا». قال بيل.

بدت الفتاة مصدومةً ولم تقاوم.

دخل بيل بعد خروج هاري وبقي مراقباً. كانت هذه الطريقة المتبعة في جميع أنحاء العالم، فعندما يدخل جيش الاحتلال، يأخذون النساء، لقد كانا جيش احتلال.

تسلق بيل خارجاً «اللعنة، هذا كان جيداً بالتأكيد».

«اسمع بيل، دعنا لا نقتلها».

«ستحكي، إنها شاهدة».

«إذا حافظنا على حياتها، فلن تقول، سيكون حرياً بها ذلك».

«ستحكي، أعرف الطبيعة البشرية، ستحكي لاحقاً».

«لم عليها ألا تخبر عن أناس يفعلون ما فعلناه؟».

«هذا ما أعنيه، لماذا نتركها؟».

«دعنا نتحدث إليها ونسألها عما تفكر به».

«أعرف بماذا تفكر، سأقتلها».

«أرجوك، لا، بيل، لنظهر بعض الكياسة».

«نظهر بعض الكياسة؟ الآن؟ لقد تأخر الوقت، لو كنت رجلاً لكنت أبقيت عضوك الأحمق بعيداً عن..».

«لا تقتلها بيل، لا أستطيع تحمله».

«أدر ظهرك».

«بيل، أرجوك!».

«قلت: أدر ظهرك اللعين!».

استدار هاري، مرت دقائق ولم يصدر صوت، قال: «بيل، هل فعلتها؟».

«فعلتها، التفت وانظر».

«لا أريد، لنذهب، لنخرج من هنا».

خرجا من النافذة نفسها التي دخلا منها، كان الليل أكثر برودة من أي وقت سابق، هبطا الجانب المظلم من المنزل وخرجا عبر السياج.

«بيل؟».

«نعم؟».

«أشعر بتحسن الآن، كما لم يحصل لي من قبل».

«لقد حصل».

عادا إلى موقف الحافلة، كانت المواقف الليلية متباعدة، ربما يجب عليهما أن ينتظرا ساعة من الوقت، وقفا وتأكد كل منهما من عدم وجود بقع دم على الآخر، الأمر الذي يدعو إلى الاستغراب أنهما لم يجدا شيئاً؛ لذا! لفّ كل منهما سيجارة وأشعلاها. بصق بيل سيجارته وقال: «اللعنة عليها، اللعنة على كل شيء».

«ما المشكلة، بيل؟».

«لقد نسينا أن نجلب محفظته».

«أوه، اللعنة!» قال هاري.

رجلٌ

كان جورج مستلقياً في مقطورته ممدّداً على ظهره، يتفرج على جهاز تلفاز صغير محمول. كانت أطباق عشائه متروكة وكذلك أطباق فطوره، لحيته نابتة ورماد سجائره الملفوفة متساقط على قميصه الداخلي وبعض منه ما يزال مشتعلاً. كان الرماد المحترق يخطئ القميص أحياناً ويحرق جلده، فيشتم نافضاً إياه. قُرع على باب المقطورة، وقف ببطء على قدميه وفتح الباب. كانت كونستانس ومعها خُمسية ويسكي في كيس.

«جورج، لقد تركت ابن العاهرة، لم يعد بمقدوري تحمله بعد الآن».

«اجلسي».

فتح جورج الخُمسية، جلب كأسين، ملأهما حتى الثلث بالويسكي وباقي الثلثين بالماء. جلس على السرير مع كونستانس، أخرجتْ سيجارة من محفظتها وأشعلتها، كانت ثملة ويداها ترتعشان.

«لقد أخذت نقوده اللعينة أيضاً. أخذت نقوده وهربت أثناء وجوده في العمل. أنت لا تعلم كم عانيت مع ابن العاهرة ذاك!»

«أعطيني شحطة» قال جورج، ناولتْه إياها وهي تتكئ بالقرب منه، لفها جورج بذراعه، جذبها إليه وقبّلها.

«أنت ابن عاهرة، اشتقت إليك».

«اشتقت إلى ساقيك هاتين يا كوني. لقد اشتقت حقاً إلى هاتين الساقين الجميلتين».

«ألا تزال تحبهما؟».

«أنا أهيج بمجرد النظر إليهما».

«لم أستطع فعلها مع رجل الكلية، إنه رخو وليّن جداً، يحافظ على نظافة منزله يا جورج، لقد كان كما لو أن لديه خادمة، يقوم بكل شيء بنفسه، يمكنك أن تأكل اللحم المطهو من المرحاض مباشرة، كان موسوساً بالنظافة، هكذا كان حاله».

«اشربي، ستشعرين بتحسن».

«وهو لم يستطع ممارسة الحب».

«هل تقصدين أنه لم يتمكن من جعله ينتصب؟».

«كان منتصباً طوال الوقت لكنه لا يعرف كيف يسعد المرأة، لم يكن يعرف ما يجب فعله، كل ذلك والتعليم كانا بلا فائدة».

«أتمنى لو أني تلقيت تعليماً ثانوياً».

«لست في بحاجة إليه، لديك كل ما تحتاجه، جورج».

«أنا مجرد إمَّعة لكل الأعمال التافهة».

«قلت إن لديك كل ما تحتاجه يا جورج، أنت تعرف كيف تسعد امرأة».

«حقاً؟».

«نعم. وهل تعلم ماذا أيضاً؟ كانت أمه تحضر!.. أمه! تحضر مرتين أو ثلاث مرات أسبوعياً. كانت تجلس تنظر إليّ متظاهرة بأنها تحبّني،

لكنها كانت تعاملني طوال الوقت كما لو كنت عاهرة. كما لو كنت عاهرة كبيرة سيئة تسرق ابنها منها! والاس ابنها الغالي! يا يسوع! أي ورطة! لقد ادعى بأنه أحبني، وكنت أقول: انظر إلى كسي يا والتر! فلم يفعل، وقال: لا أريد أن أنظر إلى ذلك الشيء! كان يدعوه هكذا! أنت لست خائفاً من كسّي، صحيح جورج؟».

«هو لم يعضني لحد الآن».

«لكنك عضضته، قضمته برفق، أليس كذلك يا جورج؟».

«أظن ذلك».

«ولعقته، رضعته؟».

«أظن ذلك».

«أنت تعرف تماماً يا جورج، ما الذي فعلته».

«ما هو المبلغ الذي حصلت عليه؟»

«ستمائة دولار».

«أنا لا أحب من يسلب الناس أموالهم يا كوني».

«لهذا أنت غاسل صحون ملعون، أنت شريف لكن أي أحمق هو، جورج يمكنه أن يوفر المال، وكان عليَّ أن أحصل عليه هو وأمه وحبه، أمه الحبيبة، قدوره النظيفة المغسولة، ومراحيضه، وأكياس زبالته، وجرعات شرابه المسكر، وغسول ما بعد الحلاقة، وأقرباؤه الصغار، وممارسته الثمينة للحب كله من أجله، أنت تفهم، كله لنفسه! أنت تعلم ما الذي تريده المرأة يا جورج».

«شكراً على الويسكي يا كوني، أعطيني سيجارة أخرى».

ملأ الكؤوس ثانية. «اشتقت إلى ساقيك كوني، لقد اشتقت بالفعل

إلى هاتين الساقين، تعجبني طريقتك في ارتداء الكعوب العالية، إنها تقودني إلى الجنون. تلك النساء العصريات لا يعرفن ما ينقصهن؛ الكعب العالي يشكّل البطتين والفخذ والمؤخرة، إنه يعطي للمشية إيقاعاً، إنه يثيرني حقيقة!».

«تتكلم كشاعر يا جورج. أحياناً تتكلم كذلك، يا لك من غاسل صحون!».

«هل تعلمين ما أود فعله حقيقة؟».

«ماذا؟».

«أود أن أسوطك بحزامي على ساقيك ومؤخرتك وفخذيك. أود أن أجعلك ترتجفين وتصرخين ثم سأولجه فيك بحب خالص».

«لا أريد ذلك ياجورج، لم تتكلم قطّ بهذه الطريقة من قبل، لطالما تعاملت معي بطريقة جيدة».

«ارفعي ثيابك إلى الأعلى».

«ماذا؟».

«ارفعي ثيابك إلى الأعلى، أريد أن أرى المزيد من ساقيك».

«أنت تحب ساقيّ، أليس كذلك يا جورج؟».

«دعي الضوء يشع عليهما!».

رفعت كونستانس فستانها.

«يا إله المسيح! اللعنة» قال جورج.

«هل تعجبك ساقاي؟».

«أحب ساقيك!»، مدّ جورج يده عبر السرير وصفع كونستانس بشدة على الوجه، فرت سيجارتها من فمها.

«لماذا تفعل هذا؟».

«لقد ضاجعتِ والتر! لقد ضاجعتِ والتر!».

«وماذا يعني هذا؟».

«ارفعي فستانك إلى الأعلى إذن!».

«لا!».

«افعلي ما أقوله!»، صفعها جورج ثانية صفعة أشد، رفعت كونستانس تنورتها.

صرخ جورج: «ارفعيها مع السروال الداخلي!... لا أريد أن أرى السروال فعلاً!».

«يا يسوع! جورج، ما الذي دهاك؟».

«لقد مارست الجنس مع والتر!».

«جورج، أقسم إنك جننت، أريد أن أغادر، دعني أخرج من هنا، جورج!».

«لا تتحركي وإلا قتلتك!».

«تقتلني؟».

«أقسم بأني سأفعل!».

نهض جورج وصبَّ القليل من الويسكي غير المخفف بالماء، شربه وجلس بجانب كونستانس، أخذ السيجارة وثبتها أمام رسغها، صرخت، ثبتها بحزم، ثم أبعدها. «أنا رجل حبيبتي، هل تفهمين ذلك؟».

«أعلم أنك رجل يا جورج».

«انظري إلى عضلاتي!» جلس جورج وثنى ذراعيه.

«جميل، إيه، حبيبتي؟ انظري إلى تلك العضلة! تحسسيها! تحسسيها!».

تحسست كونستانس واحدة من الذراعين ثم الأخرى.

«نعم، لديك جسد جميل يا جورج».

«أنا رجل. أنا غاسل صحون لكنني رجل، رجل حقيقي».

«أعرف ذلك يا جورج».

«أنا لست مثل ذلك الخرع الذي تركته».

«أعرف ذلك».

«ويمكنني أن أغني أيضاً، عليك أن تسمعي صوتي».

جلست كونستانس، بدأ جورج الغناء، غنى أغنيات عدة؛ «نهر الرجل العجوز»[١]، «لا أحد يعلم عن المشكلة التي رأيتها»[٢]، «بلوز القديس لويس»[٣]، «ليبارك الله أمريكا»، توقف مرات غدة وضحك، ثم جلس بالقرب من كونستانس، وقال: «كوني، لديك ساقان جميلتان». دخن سيجارة أخرى وشرب كأسين أخريين ثم وضع رأسه على ساقي كوني فوق الجوارب في حضنها، وقال: «كوني، أظن أنني لست بخير، أظن أنني مجنون، أنا آسف لأنني ضربتك، أنا آسف لأنني أحرقتك بتلك السيجارة».

جلست كونستانس تلاطف بأصابعها شعر جورج لتهدئته، وسرعان ما غطَّ في النوم. انتظرت مزيداً من الوقت، ثم رفعت رأسه ووضعته

---

(١) أغنية من عام ١٩٢٧ ألحان جيرمي كيرن وكلمات أوسكار هامرستين.

(٢) أغنية دينية أداها مغنون كثر؛ منهم لويس آرمسترونغ.

(٣) أغنية شعبية أمريكية ألفها و.سي. هاندي.

على المخدة، رفعت ساقيه وسوَّتهما على السرير. وقفت، مشت نحو الخُمسية، صبَّت كمية صغيرة من الويسكي في كأسها. أضافت القليل من الماء وشربته بمتعة. تقدمت نحو باب المقطورة، فتحته، خرجت، أغلقته، عبرت الفناء الخلفي، فتحت باب السياج، مشت في الزُّقاق تحت قمر الساعة الواحدة صباحاً. كانت السماء خالية من الغيوم. خرجت من الشارع العريض ومشت شرقاً وبلغت مدخل المرآة الزرقاء، دخلت، كان والتر هناك جالساً وحيداً ثملاً في طرف الحانة، مشت وجلست بالقرب منه وسألته: «هل افتقدتني يا حبيبي؟»، رفع والتر بصره، تعرف إليها ولم يجب. نظر إلى الساقي الذي تقدم نحوهما، وقد عرفوا جميعاً بعضهم بعضاً.

امرأة راقية

لم أعد أذكر أين حدث هذا بالضبط. في مكان ما شمال شرق كاليفورنيا. قدم هيمنجواي من أوروبا أو من مكان آخر، وقد انتهى لتوّه من كتابة رواية، كان في حلبةٍ ينازل شخصاً حيث يوجد صحافيون ونقّاد وكتّاب تلك القبيلة وبعض السيدات الشابات أيضاً جالسات في المقاعد المحاذية للحلبة. جلست في الصف الأخير. أغلب الناس لم يكونوا يشاهدون «هيم» بل كانوا يتحدثون ويضحكون.

كانت الشمس ساطعة في وقت مبكّر من بعد الظهيرة، عندما كنت أشاهد إيرني الذي تغلب على خصمه. سدد نحوه اللكمات المباشرة والجانبية بسخاء ثم ألقى به أرضاً. حينئذٍ التفت الناس إليه. كان الخصم قد نهض عند الرقم ثمانية واقترب من هيم ثم توقف. نزع إيرني لجام الفم وضحك ولوح لخصمه الخاسر. كان فوزاً بالغ السهولة، ذهب إيرني إلى الزاوية مرخياً رأسه إلى الخلف، عصر أحدهم بعض الماء في فمه.

نهضت عن مقعدي ومشيت ببطء نازلاً الممر بين المقاعد، وصلت واستوقفت هيمنجواي جانباً.

«السيد هيمنجواي؟».

«نعم، ما الأمر؟».

«أرغب في منازلتك».

«هل لديك أي تجربة سابقة في الملاكمة؟».

«لا».

«اذهب وتمرن قليلاً».

«أنا هنا لأهزمك».

ضحك إيرني، وقال للرجل في الزاوية: «ألبس الفتى بعض الثياب والقفازات». قفز الرجل خارج الحلبة وتبعته عبر الممر إلى غرفة الملابس، سألني: «هل أنت مجنون يا ولد؟».

«لا أعرف. لا أظن ذلك».

«جرب هذه الثياب».

«حسناً».

«أوه، أوه، إنها عريضة جداً».

«دعكَ، إنها حسنة جداً».

«حسناً، دعني أضمد يديك».

«من دون ضمادات».

«من دون ضمادات؟».

«من دون ضمادات».

«وماذا عن لجام الفم؟».

«من دون لجام فم».

«هل ستلاكم بهذا الحذاء؟».

«سألاكم بهذا الحذاء».

أشعلت سيجاراً وتبعته إلى الخارج. نزلت الممر، تسلق هيمنجواي عائداً إلى الحلبة وقد ألبسوه قفازاته. لم يكن أحد في زاويتي. أخيراً جاء شخص وألبسني القفازات. كنا قد دعينا للوقوف في منتصف الحلبة من أجل تلقي التعليمات، قال الحكم: «الآن عندما يمسك أحدكما بالآخر سوف..»، قلت له: «أنا لا أفعل»، وتلتها تعليمات أخرى «حسناً، ليعد كل واحد منكما إلى زاويته وعندما يرنّ الجرس، تقدّما للقتال عسى أن يفوز الأفضل»، وقال لي: «من الأفضل لك أن تنزع ذلك السيجار من فمك». خرجت عندما رنّ الجرس والسيجار لا يزال في فمي مستنشقاً الدخان ملء فمي، نفخته في وجه إرنست فضحكت الحشود.

اندفع هيم، لكمَ وسدّد وفوّت ضربتين. كنت حثيثاً على قدمي، رقصت رقصة سريعة. اندفعت، ضرب ضرب ضرب ضرب، خمس لكمات يسارية سريعة على أنف بابا. ألقيت نظرة خاطفة على فتاة بالغة الجمال في الصفّ الأمامي. حينئذٍ مدَّ يمناه ماحقاً ذلك السيجار في فمي. شعرت به يحرق فمي وخدّي. أزحت الرماد الحار بعيداً، بصقت أرومة السيجار وسددت ضربة إلى بطن هيم، لكز بيمناه وقبض على الأذن باليسرى، انحنى من تحت يمناي وأمطرني بوابل من الضربات أمام الحبال، ضربني بيمناه القاسية على الذقن تماماً، عند رنين الجرس نهضت وعدت إلى زاويتي.

جاء رجل معه دلو، وسألني: «السيد هيمنجواي يريد أن يعرف إذا كنت معنياً بجولة أخرى».

«أخبر السيد هيمنجواي بأنه كان محظوظاً، دخل الدخان في عيوني، جولة أخرى هي كل ما أحتاجه لأنجز العمل». مضى الرجل مع الدلو، واستطعت أن أرى هيمنجواي ضاحكاً.

رن الجرس، حضرت مباشرة وبدأت النزال ليس بقسوة شديدة لكن بسلسلة جيدة من اللكمات، تراجع إيرني مفوّتاً لكماته، ورأيت لأول مرة الشك في عينيه، كان يفكر «من يكون هذا الفتى». قللت لكماتي وضربته بقسوة أكبر، وتقدمت مع كل ضربة؛ الرأس والجسم... تشكيلة متنوعة، لكمت مثل سوجار راي[1]، وضربت مثل ديمبسي[2].

حاصرت هيمنجواي أمام الحبال، لم يستطع السقوط؛ ففي كل مرة يوشك فيها على الانهيار كنت أقومه بلكمة أخرى، لقد كان فتكاً .موت في ما بعد الظهيرة[3]، تراجعت إلى الخلف وسقط السيد إرنست هيمنجواي على وجهه مغميً عليه. ففككت قفازاتي بأسناني وخلعتهم، ثم قفزت من الحلبة وذهبت إلى غرفة ملابسي، أعني غرفة ملابس هيمنجواي، أخذت حماماً وشربت زجاجة بيرة، وجلست على حافة طاولة التدليك أدخن سيجاراً. حملوا إرني المغمى عليه إلى الداخل ووضعوه على طاولة أخرى، بقيت جالساً أراقبهم وهم في حالة قلق، كان بينهم نساء لكني لم أكترث بهن، ثم أتى رجل وسألني:

«من أنت؟ ما اسمك؟».

«هنري تشيناسكي».

«لم أسمع بك». قال.

«ستسمع». قلت.

تُرك إيرني المسكين وحيداً. قدم الناس جميعهم بمن فيهم النساء وتحلقوا حولي، كنت محاصراً تقريباً إلا من مكان واحد، نظرت إليّ

(١) راي تشارلز ليونارد مواليد عام ١٩٥٦: ملاكم أمريكي سابق.
(٢) وليام هاريسون جاك ديمبسي (١٨٩٥-١٩٨٣): ملاكم أمريكي من الوزن الثقيل.
(٣) عنوان كتاب من تأليف إرنست همنجواي.

امرأة أنيقة من الأعلى إلى الأسفل، بدت كما لو أنها سيدة مجتمع ثرية مثقفة، كل شيء فيها لطيف، الجسد والوجه والثياب.

سألني أحدهم: «ماذا تفعل؟».

«أضاجع وأشرب».

«لا، لا، أقصد ما هي مهنتك؟».

«غاسل صحون».

«غاسل صحون؟».

«نعم».

«هل لديك هواية؟».

«حسناً، لا أعرف إذا كان بإمكانك تسميتها هواية، أنا أكتب».

«تكتب؟».

«نعم».

«ماذا؟».

«قصصاً قصيرة؛ إنها جيدة إلى حدّ ما».

«هل سبق لك أن نشرت؟».

«لا».

«لماذا؟».

«لأني لم أرسل».

«أين هي قصصك؟»

«هناك» أشرت إلى حقيبة ورقية ممزقة.

«اسمع، أنا ناقد أعمل لصالح النيويورك تايمز، هل تمانع إذا ما أخذت قصصك وقرأتها؟ سأعيدها».

«لا مشكلة بالنسبة إليّ، يا غلام، أنا فقط لا أعلم أين سأكون».

تقدمت المرأة الراقية وقالت «سيكون معي»، وتابعت: «هيّا هنري.. ارتدِ ملابسك، أمامنا طريق طويل وعلينا التحدث».

ارتديت ملابسي ثم استعاد إيرني وعيه وسأل: «ما الذي حدث بحق الجحيم؟».

قال له أحدهم: «لقد التقيت رجلاً جيداً جداً سيد هيمنجواي».

انتهيت من ارتداء ملابسي واتجهت إلى طاولته، صافحته قائلاً: «أنت رجل جيد بابا، ما من أحد يفوز بها جميعها، لا تشغل بالك».

غادرت مع المرأة وركبنا سيارة صفراء مكشوفة بطول نصف كتلة بناء، قادت بأقصى سرعة وأخذت المنعطفات تنزلق وهي تصرخ مذعورة من دون إفصاح، كان ذلك راقياً؛ إذا كانت تحبّ بالطريقة التي تقود بها فستكون ليلة من الجحيم. كان المنزل فوق التلال، فتح الخادم الباب، قالت له: «جورج، خذ إجازة اليوم»، وبعد تفكير قالت: «خذ إجازة مدة أسبوع».عندما دخلنا وجدنا رجلاً ضخماً جالساً على كرسي يمسك بيده مشروباً، قالت له: «تومي، ارحل».

واصلنا السير في المنزل، سألتها: «من يكون الرجل الضخم؟»، أجابت: «توماس وولف، إنه مضجر»، توقفت في المطبخ لتجلب خمسية من ويسكي البوربون وكأسين، قالت: «تعال»، تبعتها إلى غرفة النوم.

في صباح اليوم التالي أيقظنا رنين الهاتف. شخص ما طلبني، ناولتني الهاتف وجلست على السرير بجانبها.

«السيد تشيناسكي؟».

«نعم؟».

«لقد قرأت قصصك، وأنا متحمس جداً لدرجة أنني لم أستطع النوم طوال الليل، أنت بالتأكيد أعظم العباقرة في هذا العقد!».

«في العقد فقط؟».

«حسناً، ربما القرن».

«هذا أفضل».

«معي الآن محرران من هاربرز وأتلانتيك، ربما لن تصدق لقد وافق كلّ منهما على نشر خمس قصص مستقبلاً».

«أصدّق» قلت.

أقفل الناقد الخط، استلقيت ومارسنا الحب مرة ثانية.

كف عن التحديق بنهديّ يا سيّد

كان بيغ بارت أكثر الرجال وضاعة في الغرب؛ كان يمتلك أسرع بندقية في الغرب وقد جامعَ أكبر تشكيلة من النساء أكثر مما فعل أي شخص آخر. لم يكن مولعاً بالاستحمام أو بالكلام الفارغ أو بالحصول على المرتبة الثانية. كان رئيساً لعربة قطار تقصد الغرب، ولم يكن هناك رجل في عمره تفوق عليه سواء أكان في قتل الهنود أم في مضاجعة النساء أم في قتل الرجال البيض.

كان بيغ بارت عظيماً وكان يعرف ذلك مثله مثل أي شخص آخر. حتى ضرطاته كانت استثنائية وأكثر صخباً من صوت جرس العشاء. أما قضيبه فكان كبيراً، قادَ عربة عرباتِ القطار بأمان، وضاجع السيدات وقتل بعض الرجال ثم عادَ من أجل حِمل آخر للعربة. كانت لديه لحية سوداء وفمٌ قذرِ وأسنانٌ صفراء مشّعة.

كان قد ضاجع لتوه زوجة بيلي جو الشابة بعنف أمامه، وجعلها تكلم زوجها في ما هو يفعل ذلك: «آه، بيلي جو، رقبة الديك الرومي انغرزت كلها فيَّ من فرجي حتى حنجرتي، إني أتنفس بصعوبة! بيلي جو، أنقذني! لا، بيلي جو، لا تنقذني!»، بعد أن بلغ بيغ بارت ذروته جعل بيلي جو يغسل له أعضاءه ثم ذهبوا جميعهم إلى عشاء كبير مكون من عراقيب لحم الخنزير والفاصولياء مع البسكويت.

في اليوم التالي صادفوا عربة وحيدة تنطلق بمفردها عبر البراري، يقودها ولد نحيل في السادسة عشرة من عمره يبدو في حالة مزرية من حب الشباب، عدا بيغ بارت مسرعاً.

«قل يا ولد». قال.

لم يجب الولد.

«أنا أتحدث إليك يا ولد..».

«قبّل مؤخرتي». قال الولد.

«أنا بيغ بارت». قال بيغ بارت.

«قبّل مؤخرتي يا بيغ بارت». قال الولد.

«ما اسمك يا بنيّ؟».

«إنهم يدعونني الولد».

«انظر يا ولد، يستحيل على رجل العبور في هذه المقاطعة الهندية بعربة طويلة».

«أنا أنوي ذلك». قال الولد.

«حسناً، هذا شأنك، يا ولد». قال بيغ بارت، وراح يعدو مسرعاً، عندما فُتحت رفاريف العربة برزت منها فتاة صغيرة، نهداها بطول أربعين بوصة، ولها مؤخرة كبيرة جميلة، وعيون كالسماء بعد مطر كثير. نصبت عينيها على بيغ بارت الكبير، مرتجفة أمام قرن السرج.

«من أجل مصلحتك يا ولد، تعال معنا».

«دعني وشأني أيها العجوز، أنا لا أتلقى نصائح لعينة من عجوز في ثيابٍ داخلية قذرة».

«لقد قتلت رجالاً بسبب طرفة عين منهم». قال بيغ بارت.

بصق الولد على الأرض، ثم مد يده وحكَّ عضوه.

«أيها العجوز، أنت تضجرني، أغرب عن وجهي الآن وإلاّ أعنتُك كي تبدو شبيهاً بقطعة كبيرة من الجبنة السويسرية».

«يا ولد» قالت الفتاة وهي متكئة عليه، وإحدى نهديها يتدلى مانحاً ضوء الشمس صلابةً، «يا ولد، أظن أن الرجل محق، ليس لدينا حظ في مواجهة أبناء العاهرات الهنود أولئك بمفردنا، لا تكن إنساناً أحمق، قل للرجل إننا سننضم إليه».

«سننضم إليكم». قال الولد.

«ما اسم فتاتك؟» سأل بيغ بارت.

«هني ديو(المنّ)» قال الولد.

«وكف عن النظر إلى نهدي يا سيد وإلا ضربتك حتى تكف عن التفوه بالهراء». قالت هني ديو.

سارت الأمور على ما يرام فترة من الزمن، ثم حدثت مناوشة مع الهنود في وهدة بلوبيل، قتل فيها سبعة وثلاثون هندياً وأسِر واحد وما من إصابات بين الأمريكيين. أساء بيغ بارت معاملة الأسير الهندي ثم وظفه طاهياً. حدثت مناوشة أخرى في وهدة كلاب clap، قتل فيها سبعة وثلاثون هندياً وأسر واحد وما من إصابات بين الأمريكيين، أساء بيغ بارت...

بدا واضحاً أن بيغ بارت كان يشتهي هني ديو؛ فهو لم يستطع أن يرفع بصره عنها، لا سيما عن مؤخرتها. حدث مرة أن وقع عن حصانه وهو يراقبها فضحك أحد الطهاة الهنود؛ وهذا ما أدى لبقاء واحد فقط من الطهاة الهنود.

في أحد الأيام أرسل بارت الكبير الولد مع مجموعة لصيد بعض

الجواميس، انتظرهم بيغ بارت حتى انطلقوا ثم توجه إلى عربة الفتى. قفز على المقعد ودفع الرفارف خلفاً ودخل حيث كانت هني ديو جاثمة في وسط العربة تمارس العادة السرية.

«يا يسوع! حبيبتي، لا تهدريه!» قال بيغ بارت.

«اذهب إلى الجحيم» قالت هني ديو ساحبة إصبعها ومشيرة به إلى بيغ بارت: «اخرج من هنا ودعني أقوم بعملي!».

«لا يهتم رجلك بك يا هني ديو!».

«إنه يهتم بي أيها الأحمق؛ كل ما في الأمر أنني لا أحصل على كفايتي وبعد انتهاء دورتي الشهرية أصبح في حالة من الهياج»..

«اسمعي حبيبتي..».

«أخرج!».

«اسمعي حبيبتي، انظري..».

أخرج عضوه، لقد كان قرمزياً يترجرج جيئة وذهاباً كالثقل في ساعة الجد، تساقطت قطرات من الرضاب على الأرضية. لم تستطع هني ديو أن تغضَّ بصرها عن ذلك العضو. وأخيراً قالت: «أنت لن تغرز ذلك الشيء اللعين فيَّ!».

«قوليها كما تعنيها يا هني ديو».

«أنت لن تغرز ذلك الشيء اللعين فيَّ!».

«لكن لماذا؟ لماذا؟ انظري إليه!».

«أنا أنظر إليه!».

«لكن لِمَ لا تريدينه؟».

«لأنني أحبّ الولد».

قال بيغ بارت ضاحكاً: «حبّ؟ حبّ؟ هذه حكاية للبلهاء! انظري إلى هذا المنجل اللعين! بإمكانه أن يتغلب على الحبّ في أي وقت!».

«أحبّ الولد يا بيغ بارت».

«وهناك لساني، أفضل لسان في الغرب!».

مده للخارج وراح يحركه بخفة.

«أحب الولد». قالت هني ديو.

«حسناً، عليك اللعنة!» قال بيغ بارت.

تقدم وارتمى عليها، كان إدخال ذلك الشيء أمراً بالغ الصعوبة وعندما فعل، صرخت هني ديو. مزقه بسبع ضربات متقطّعة ثم شعر كما لو أنه نجح في مهمة عسيرة بصعوبة.

عاد الولد من حفلة الصيد.

«لقد أتينا بجاموسك، يا بن العاهرة. الآن إذا رفعت بنطالك وخرجت، فسنتكفل بالباقي».

«أنا صاحب أسرع بندقية في الغرب». قال بيغ بارت.

«سأحدث حفرة فيك وستبدو فتحة شرجك الكبيرة مثل حدقة في جلدك».

قال الولد: «هيّا، لنفعلها، أنا جائع أريد العشاء، هذا الجاموس المقتنص يفتح الشهية».

جلس الرجال حول النار يراقبون، كان هناك اهتزاز واضح في الهواء. النساء بقين في العربات يقمن بالصلوات ويمارسن العادة السرية ويشربن مشروب الجن. كان لبيغ بارت ذاكرة سيئة، يوجد في بندقيته

ثلم في حين لم يكن في بندقية الولد أي ثلم، لكنه كان واثقاً كما لم يره الآخرون من قبل. بدا بيغ بارت أكثر توتراً، ارتشف جرعة من الويسكي آتياً على نصف الزجاجة ثم تقدم نحو الولد.

«انظر يا ولد».

«نعم يا بن العاهرة...؟».

«أقصد، لماذا فقدت أعصابك؟».

«سأطيّر خصيتيك أيها العجوز!».

«لماذا؟».

«لقد كنت تعبث مع امرأتي أيها العجوز!».

«اسمع يا ولد، ألا ترى؟ الأنثى تتلاعب برجل مقابل الآخر، نحن نقع في حب لعبتها فقط».

«لا أريد سماع هراءك يا أبي! الآن عد إلى الخلف وانسحب! عليك أن تنسحب!».

«يا ولد».

«تراجع وانسحب!».

تصلب الرجال عند النار، حملت ريح خفيفة من الغرب رائحة روث الخيول، سعل أحدهم، والنساء زبضن في العربات يشربن الجن ويصلين ويمارسن العادة السرية، والفجر على وشك أن ينبلج.

كان بيغ بارت يبعد عن الولد ثلاثين خطوة، قال الولد:

«انسحب أيها الجبان، انسحب أيها الجبان المتحرش بالمرأة!».

ظهرت هني ديو بهدوء من خلال رفارف العربة، تحمل بندقية وضعتها على كتفها وحولت السبطانة.

«هيا، أيها المغتصب المتبجح، انسحب!» قال الولد.

امتدت يد بارت الكبير نحو مسدسه، صدر صوت طلقة عبر الشفق. أخفضت هني ديو بندقيتها المدخنة وعادت إلى العربة المغطاة، كان الولد ميتاً على الأرض وفجوة في جبهته. أعاد بيغ بارت سلاحه غير المستعمل إلى غمده وتقدم بخطى واسعة نحو العربة. كان القمر منيراً.

شيء ما عن علم فييت كونج[1]

كانت الصحراء تتحمص تحت شمس الصيف. قفز ريد عن الحمولة وهي تخرج ببطء من باحة السكة الحديدية، تغوط في الشمال خلف بعض الصخور الطويلة، مسح مؤخرته ببعض الأوراق. مشى مسافة خمسين ياردة، جلس خلف صخرة بعيداً عن الشمس ولفَّ سيجارة. رأى رجلين وفتاة من الهبيين عائدين من باحة القطار يسيرون باتجاهه.

حمل أحد الرجال علم فييت كونج. بدا الرجال ناعمين ومسالمين، أما الفتاة فكانت لها مؤخرة حسنة عريضة تكاد تشق بنطالها الجينز الأزرق. كانت شقراء تنتشر بثور حبّ الشباب على وجهها في حالة مزرية. انتظر ريد حتى اقتربوا منه، وقال:

«يحيا هتلر!».

ضحك الهيبيون.

سأل ريد: «إلى أين أنتم ذاهبون؟».

«نحاول الوصول إلى دنفر، أظن أننا سنفعل».

---

(١) فييت كونج: منظمة سياسية كان لها جيش رديف، مناهضة لأمريكا ولحكومة فيتنام الجنوبية.

«حسناً، عليكم أن تنتظروا فترة من الوقت، سأضطر إلى استعمال فتاتكم».

«ماذا تعني؟».

«لقد سمعتماني».

اختطف ريد الفتاة، مسك شعرها بيده وباليد الأخرى مؤخرتها، قبّلها. حط الرجل الأطول بينهما يده على كتف ريد، وقال: «الآن انتظر دقيقة..». التفت ريد وطرح الرجل أرضاً بلكمة مقتضبة من يسراه في المعدة. ظل الرجل مرمياً على الأرض يتنفس بصعوبة، نظر ريد إلى الرجل الذي يحمل علم فييت كونج، وقال: «إذا كنت غير راغب في أن تصاب بأذى، فدعني وشأني».

ثم قال للفتاة: «هيّا، تعالي خلف تلك الصخور».

قالت الفتاة: «لا، لا أريد.. لا أريد أن أفعلها».

سحب ريد مُديته وكبس الزر. كانت المدية مصوبة نحو أنفها، ضغطها إلى الأسفل.

«كيف تظنين أنك ستبدين من دون أنف؟».

لم تجب.

«سأقطعه». وكشر.

قال الرجل صاحب العلم: «اسمع، يمكنك أن تبعد هذه».

«هيّا يا فتاة» قال ريد، دافعاً إياها نحو الصخور.

اختفى ريد والفتاة خلف الصخور. ساعد الرجل صاحب العلم صديقه على النهوض، وقفا بضع دقائق.

«إنه يضاجع سالي، ما الذي يمكننا فعله؟ إنه يجامعها الآن».

«ماذا بمقدورنا أن نفعل؟ إنه مجنون».

«علينا أن نفعل شيئاً».

«لا بد أن سالي تظن أننا جبناء».

«نحن كذلك، نحن اثنان هنا، يمكننا أن نتعامل معه».

«إنه يملك سكيناً».

«لا يهم، يمكننا أن نمسك به».

«أشعر ببؤس لعين».

«وماذا عن شعور سالي؟ إنه يضاجعها».

وقفا وانتظرا في الحر تحت أشعة الشمس، كان الأطول بينهما الذي تلقى اللكمة يدعى ليو، والآخر اسمه دالي، قال دالي: «بقي لدينا سيجارتان، هلاّ ندخّن؟».

«كيف يمكننا أن ندخن بحق الجحيم وذلك يحصل خلف الصخور؟».

«أنت على حق، يا إلهي! لماذا طال إلى هذا الحد؟».

«يا إلهي، لا أعرف، هل تظن أنه قتلها؟».

«بدأت أشعر بالقلق».

«ربما من الأفضل أن ألقي نظرة».

«حسناً، لكن توخّ الحذر!».

تقدّم ليو نحو الصخور، زحف على التلة خلف الأجمة ونظر إلى أسفل، كان ريد يضاجع سالي، راقبهما ليو. بدا لا نهائياً، استمر ريد، نزل ليو من التلة وتقدم ووقف بجانب دالي.

«أظن أنها بخير» قال.

انتظرا. أخيراً، ظهر ريد وسالي من خلف الصخور وتقدما نحوهما.

قال ريد: «شكراً لكما يا إخوتي، لقد كان عملاً جميلاً جداً».

قال ليو: «فلتتعفن في الجحيم!».

ضحك ريد وقال: «سلام! سلام!...»، صنع الإشارة بإصبعيه، وتابع: «حسناً، أظن أنني ذاهب»

لف ريد سيجارة بسرعة، بللها بلعابه مبتسماً ثم أشعلها، دخنها، ومشى متوجهاً نحو الشمال، حريصاً على البقاء في الظل.

قال دالي: «لنلتمس جولة مجانية؛ ليس في الشاحنات أي سلع».

قال ليو: «الطريق السريع إلى الغرب، لنذهب».

بدؤوا المسير نحو الغرب.

قالت سالي: «يا مسيح! إنني أمشي بصعوبة! إنه حيوان!».

لم يتفوه ليو ودالي بكلمة.

«آمل ألا أحبل» قالت سالي.

«سالي، أنا آسف..». قال ليو.

«أوه، اخرس!».

مشوا، اقترب المساء وكانت حرارة الصحراء تنخفض.

«أكره الرجال!». قالت سالي.

قفز أرنب بريّ من خلف أجمة وقفز ليو ودالي كما لو أنهما يهربان.

قال ليو: «أرنب، أرنب».

«هذا الأرنب يخيفكما يا رجال، أليس كذلك؟».

«حسناً، بعدما حدث، نحن في حالة من التوتر».

«*متوتران*؟ ماذا عني؟ اسمعا لنجلس دقيقة؛ أنا تعبة».

كان هناك بقعة من الظل وجلست سالي بينهما.

«أنتما تعلمان، ولو أن...» قالت.

«ماذا؟».

«لم يكن بهذا السوء بحسب القواعد الجنسية، أقصد لقد أولجه فيّ حقيقة، وبالنسبة إلى القواعد الجنسية الصارمة لم تكن تشوبه شائبة».

«ماذا؟» قال دالي.

«أقصد، بأنّي أكرهه أخلاقياً، ابن العاهرة يجب أن يقتل، إنه كلب وخنزير، لكن وفقاً للقواعد الجنسية الصارمة لقد كان شيئاً ما..».

جلسوا مدة من دون أن ينبسوا بكلمة، ثم أخرجوا السيجارتين ودخنوها في ما بينهم.

«أتمنى لو كان لدينا بعض الماريجوانا» قال ليو.

«يا إلهي! كنت أعرف أنه سيحصل، أنتم يا رجال، كان وجودكم كعدمه» قالت سالي

«ربما ستشعرين بتحسن إذا ما اغتصبناك؟» سأل ليو.

«لا تكن أحمق».

«أنت تظنين أنني لا أستطيع اغتصابك؟».

«كان عليَّ أن أذهب معه؛ أنتما لا تساويان شيئاً».

«إذن أنت الآن معجبة به؟» سألها دالي.

«انس! لنهبط إلى الطريق السريع وننتظر أحداً يقلنا».

«يمكنني أن أقحمه فيك وأجعلك تصرخين». قال ليو.

«هل يمكنني أن أراقب؟» سال دالي، ضاحكاً.

«لا يوجد شيء لتراقبه، هيّا، لنمض». قالت سالي.

نهضوا وتوجهوا نحو الطريق السريع، مشوا مدة عشر دقائق. عندما وصلوا إلى هناك كانت سالي واقفة في الطريق ترفع إبهامها إلى الأعلى. وقف ليو ودالي بعيدين عن النظر. لقد نسيا علم فييت كينج. تركاه هناك في باحة الشحن في الأوساخ القريبة من السكك الحديدية. تواصلت الحرب وسبع نملات حمراوات من النوع الكبير تسلقت العلم.

لا يمكنك أن تكتب قصّة حب

كانت مارجي على وشك الخروج مع رجل لكنه التقى في طريقه رجلاً آخر يرتدي معطفاً جلدياً، فتح معطفه وأظهر ثدييه، ذهب الرجل إلى مارجي وأخبرها أنه ذاهب لمضاجعة رجل المعطف الجلديّ الذي التقاه وأنه لا يستطيع الالتزام بموعده؛ لذا ذهبت مارجي لرؤية كارل، جلست وقالت له: «كان هذا الرجل سيصحبني إلى المقهى الذي فيه طاولات في الخارج وكنا سنشرب نبيذاً ونتحدث فقط، هذا كل شيء، لا شيء آخر، لكن في الطريق التقى هذا الرجل برجل آخر في معطف جلدي أظهر ثدييه والآن هما يتنايكان؛ لذلك لم أحظَ بطاولتي ونبيذي وحديثي».

قال كارل: «لا يمكنني الكتابة، لقد رحلت»، ثم نهض وذهب إلى الحمام، أغلق الباب وتغوط. تغوّط كارل أربع أو خمس مرات في اليوم، لم يكن هناك شيء آخر يفعله. كما أنه استحم خمس أو ست مرات في اليوم، أيضاً لم يكن هناك شيء آخر يفعله. وقد ثمل للسبب نفسه. سمعت مارجي صوت الماء يتدفق في المرحاض، ثم خرج كارل.

«لا يمكن للرجل ببساطة أن يكتب مدة ثماني ساعات في اليوم، هو لا يمكنه أيضاً الكتابة يومياً وأسبوعياً. إنها ورطة شريرة. ما من شيء يمكن فعله سوى الانتظار».

راح كارل إلى البراد وأتى بست علب من المايكلوب وفتح زجاجة.

«أنا أعظم كاتب في العالم، هل تعلمين مدى صعوبة الأمر؟».

لم تجب مارجي.

«يمكنني أن أشعر بألم يدبُّ في كل أنحاء جسدي كما لو أنه جلد ثانٍ. ليتني أتخلص من ذلك الجلد كما تفعل الأفعى».

«حسناً، هلا نزلت إلى البساط لتجرب؟».

«اسمعي، أين التقيتك؟».

«في بيرنيز بيرني»[1].

«حسناً، هذا يفسره قليلاً. اشربي بيرة».

فتح كارل زجاجة وناولها إياها.

قالت مارجي: «نعم، أعلم، أنت تحتاج إلى عزلتك، تحتاج إلى أن تكون وحيداً إلا عندما تريد بعضهم، أو عندما تتوقع أننا سنفترق حينها تتصل وتقول إنك تحتاجني وتموت من الثمالة وتضعف سريعاً».

«أنا أضعف سريعاً».

«وأنت بليد جداً تجاهي، لا تلتفت أبداً، أنتم الكتاب شديدو التكلف لا يمكنكم احتمال الناس، البشرية تتعفن أليس كذلك؟».

«صحيح».

«لكن في كل مرة نفترق فيها تشارك في حفلات تدوم أربعة أيام، فجأة تصبح ظريفاً، تبدأ بالتحدث! فجأة تصبح مفعماً بالحيوية، تتحدث وتغني وترقص على الطاولات، وترمي الزجاجات من النافذة، تمثل

---

(١) Barney's Beanery.

أجزاء من مسرحيات شكسبير، فجأة أنت على قيد الحياة عندما أرحل، أوه، لقد سمعت عن هذا!».

«أنا لا أحب الحفلات، لا أحب الناس في الحفلات على وجه الخصوص».

«بالنسبة إلى رجل لا يحب الحفلات أنت بالتأكيد تخلصت من قدر كبير منهم».

«اسمعي مارجي، أنت لا تفهمين؛ لم يعد بإمكاني الكتابة، لقد انتهيت، قمت بتحول خاطئ في مكان ما، مت ليلاً في مكان ما».

«ما سيتسبب في موتك واحدة من ثمالاتك الهائلة».

«قال جيفرز إن أقوى الرجال أيضاً قد وقعوا في الشرك».

«من جيفرز هذا؟».

«هو الرجل الذي حول بيج سور[1] إلى فخ سياحي».

«ما الذي كنت تنوي فعله الليلة؟».

«كنت سأستمع إلى أغاني رحمانينوف».

«من هو؟».

«روسي متوفى».

«انظر إلى نفسك، أنت تجلس هناك فحسب».

«أنا أنتظر. بعض الرجال ينتظرون مدة عامين، أحياناً لا تعود أبداً».

«تتخيل أنها لن تعود أبداً؟».

«سأنتعل حذائي وأتمشى في الشارع الرئيسي».

---

(١) Big Sur.

«لماذا لا تجد عملاً لائقاً؟».

«لا يوجد عمل لائق، إذا لم يبدع الكاتب، يموت».

«أوه، هيا كارل! هناك بلايين الناس في العالم لا يبدعون، هل تقصد أن تقول لي إنهم موتى؟».

«نعم».

«وأنت لديك روح؟ أنت واحد من القلة الذين يملكون روحاً؟».

«يبدو أنه كذلك».

«يبدو أنه كذلك! أنت وآلتك الكاتبة الصغيرة! أنت وشيكاتك الصغيرة! جدتي كسبت مالاً أكثر مما فعلت!».

فتح كارل زجاجة بيرة أخرى.

«بيرة! بيرة! أنت وبيرتك اللعينة! إنها في قصصك أيضاً»، نظرت إلى الأعلى وهي ترفع بيرتها، هذه الشقراء الكبيرة ذهبت إلى الحانة وجلست بجانبه «أنت على حق، لقد انتهيت؛ موادك محدودة، محدودة جداً. لا يمكنك أن تكتب قصة حب، لا يمكنك أن تكتب قصة حب ذات قيمة».

«أنت محقة مارجي».

«إذا لم يستطع رجل أن يكتب قصة حب فهو عديم الفائدة».

«كم مرة كتبت؟».

«لا أدعي بأنني كاتبة».

«لكن يبدو أنك تطرحين أسئلة بطريقة ناقد أدبي».

غادرت مارجي سريعاً، جلس كارل وشرب ما بقي من البيرة. لقد كان أمراً حقيقياً، فالكتابة غادرته وهذا سيسعد القلة من أعدائه السريين،

فالآن في استطاعتهم أن يحرزوا كسباً، الموت سيمتعهم سراً أو علناً. تذكر إنديكوت جالساً هناك يقول: «حسناً، رحل هيمنجواي، دوس باسس رحل، بلاتشين رحل، باوند رحل، بيريمان قفز من الجسر.. الأمور تبدو أفضل وأفضل وأفضل».

رن الهاتف. رد كارل: «السيد جانتلينج؟».

«نعم؟» أجاب.

«نحن نتساءل إذا ما كنت ترغب بالقراءة في كلية فيرمونت؟».

«حسناً، نعم، في أي وقت؟».

«في الثلاثين من الشهر القادم».

«لا أظن بأنني سأكون منشغلاً».

«نحن ندفع عادة مئة دولار».

«أنا عادة أتقاضى مئة وخمسين، جينسبرج يحصل على ألف».

«لكن ذلك جينسبرج، يمكننا فقط أن ندفع مئة».

«حسناً».

«جيد، سيد جانتلينج. سنرسل إليك التفاصيل».

«ماذا عن السفر؟ إنها بعيدة جداً».

«حسناً، خمس وعشرون دولاراً بدل نقل».

«حسناً».

«هل تود الحديث إلى بعض الطلاب في صفوفهم؟».

«لا».

«هناك غداء مجاني».

«سآخذ ذلك».

«جيد سيد جانتلينج، سننتظر رؤيتك في كامبوس».

«وداعاً».

تمشى كارل في الغرفة، نظر إلى الآلة الكاتبة، وضع ورقة فيها، ونظر من النافذة إلى فتاة ترتدي تنورة قصيرة رائعة، وبدأ الكتابة: «كانت مارجي على وشك الخروج مع رجل لكنه التقى في طريقه رجلاً آخر يرتدي معطفاً جلدياً، فتح معطفه وأظهر ثدييه، ذهب الرجل إلى مارجي وأخبرها أنه ذاهب لمضاجعة رجل المعطف الذي التقاه وأنه لا يستطيع الالتزام بموعده...»، تناول كارل البيرة، إنه لأمر جيد أن يكتب من جديد.

هل تذكر بيرل هاربر؟

كان علينا الذهاب إلى ساحة التدريب مرتين يومياً في منتصف فترتي الصباح وما بعد الظهيرة. لم يكن لدينا الكثير لنفعله. غالباً كان الرجال يتصادقون استناداً إلى ما أودى بهم إلى السجن. كما قال تايلور رفيقي في الحجرة، فحالات التحرش بالأطفال والإخلال باللياقة العامة تُصنّف في قاع النظام الاجتماعي في حين كان كبار المحتالين ورؤوس الفتنة في القمة.

لم يكن تايلور يتحدث معي في ساحة التمرين. كان يروح ويغدو مع نصّاب كبي. جلستُ وحيداً. صنع بعض الرجال كرة من قميص ولعبوا لعبة اللُقطة. بدا أنهم مستمتعون. لم تكن وسائل الترفيه المتاحة للنزلاء كثيرة.

جلست هناك. وسرعان ما لاحظت جمعاً من الرجال يلعبون لعبة قمار. نهضت واتجهت نحوهم. كان معي فكّة أقل من دولار بقليل، راقبت بعض الدورات، التقط الرجل الذي يحمل النرد ثلاثة رهانات على التعاقب، شعرت بأن شوطه قد انتهى فلعبت ضده، خسر وكسبت ربعاً.

في كل مرة ينجح فيها رجل كنت أنصرف حتى اكتشف أن الحظ لم يعد يحالفه فأقرر منازلته، لاحظت أن الرجال الآخرين راهنوا على

أموالهم كلها، راهنت ست مرات وربحت خمساً، وبعدئذٍ كنا نعود إلى حجراتنا وفي جعبتي دولار.

دخلت في صباح اليوم التالي باكراً. كسبت ٢,٥٠ دولار صباحاً و١,٧٥ دولار بعد الظهر. في نهاية اللعبة تقدم الولد إليّ، وقال: «يبدو أنك تبلي بلاء حسناً يا سيد»، أعطيت الولد ١٥ سنتاً ومشى مبتعداً، جاء رجل آخر ومشى معي، وقال لي:

«هل أعطيت ابن العاهرة ذاك أيّ شيء؟».

«نعم، ١٥ سنتاً».

«إنه يخصم من المال كل مرة، لا تعطه أي شيء».

«لم أنتبه».

«نعم. هو يُعلِّم الرهن ويأخذ رهنه في كل دورة».

«سأراقبه غداً».

«كما أنه في حالة لعينة من الإخلال باللياقة العامة؛ فهو يُظهر عضوه للفتيات الصغيرات».

«نعم، أنا أكره أولئك الحقراء».

كان الطعام سيئاً جداً، في إحدى الليالي بعد العشاء أشرت إلى تايلور بأني قد ربحت في القمار.

قال: «أنت تعلم بإمكانك شراء الطعام هنا، طعام جيد».

«كيف؟».

«يأتي الطاهي بعد إطفاء الأضواء فتحصل على طعام الحراس؛ الطعام الأفضل والحلوى وكل شيء، الطاهي جيد أتى به الحراس إلى هنا بسبب جودته».

«كم سيكلفنا عشاء لشخصين؟».

«أعطه عشرة سنتات، ليس أكثر من ١٥ سنتاً».

«هل هذا كل شيء؟».

«إذا أعطيته المزيد، فسيظن أنك أحمق».

«حسناً، ١٥ سنتاً».

رتب تايلور الأمور، في الليلة التالية بعد إطفاء الأضواء، انتظرنا وقتلنا براغيث الأسرّة واحداً تلو الآخر.

«قتل الطاهي رجلين، إنه ابن عاهرة كبير وعظيم ووضيع، لقد قتل رجلاً منذ عشر سنوات. خرج من هناك وبعد خروجه بيومين أو ثلاثة أيام قتل رجلاً آخر، هذا سجن توقيف فحسب لكن الحارس يبقيه هنا مؤقتاً لأنه طاهٍ جيد».

سمعنا صوت شخص قادم، إنه الطاهي، نهضت، مرر الطعام إلى الداخل، مشيت إلى الطاولة ومن ثم عدت إلى باب الحجرة، كان ابن عاهرة كبيراً وقاتلاً لرجلين، أعطيته ١٥ سنتاً.

«شكراً، يا رجل، هل تريد أن أعود ليلة الغد؟».

«كل ليلة».

جلست مع تايلور لنتناول الطعام. كان كل شيء موضوعاً في أطباق، القهوة جيدة وساخنة، ولحم البقر المحمّص طري، والبطاطا مهروسة، والبازلاء حلوة، والبسكويت، والصلصة، والزبدة، وفطيرة التفاح. لم آكل طعاماً بتلك الجودة خلال خمس سنوات.

«اغتصب الطاهي البحّار منذ بضعة أيام؟ لقد نال منه بطريقة سيئة جداً حتى إن البحّار لم يستطع المشي فنقلوه إلى المستشفى».

تناولت قدراً كبيراً من البطاطا المهروسة والصلصة.

قال تايلور: «لا تقلق فأنت شديد القبح وما من أحد سيرغب في اغتصابك».

«أنا قلق أكثر بشأن الحصول على بعض الطعام لنفسي».

«حسناً، سأوجّه الغلمان إليك؛ بعضهم مملوكون وبعضهم ليسوا كذلك».

«هذا طعام جيد».

«أكيد مثل خراء. يوجد هنا نوعان من الغلمان: النوع الذي يأتي غلاماً، والنوع الذي هو من صناعة السجن، لم يكن هناك ما يكفي من الغلمان؛ لذا كان على الفتيان أن يصنعوا المزيد ليشبعوا رغباتهم».

«هذا منطقي».

«في العادة يكون الغلمان الذين هم من صناعة السجن مترنحين قليلاً إثر الضربات التي يتلقونها على رؤوسهم، هم يقاومون في البدء».

«حقاً؟»

«نعم، وفي ما بعد يقررون أنه من الأفضل لهم أن يكونوا غلمان أحياء على أن يكونوا عذراوات موتى».

أنهينا عشاءنا وذهبنا إلى غلماننا، قاتلنا براغيث أسرّتنا وحاولنا النوم.

واصلت الفوز في القمار يومياً، راهنت أكثر وربحت. كانت الحياة في السجن في تحسّن. طُلب إليّ في أحد الأيام ألا أذهب إلى ساحة التمرين. حضر عنصران من مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي FBI لزيارتي سألاني بعض الأسئلة، ثم قال أحدهما:

«لقد استقصينا عنك، ليس عليك الذهاب إلى المحكمة، ستُرسل

إلى مركز الأحداث، وإذا قبلت في الجيش، فستنضم إليه. أما إذا رفضت، فأنت مدنيّ ثانية».

«يكاد يعجبني الحال في السجن» قلت.

«نعم، أنت تبدو بخير».

قلت: «لا توجد ضغوط، لا يوجد إيجار وفواتير كهرباء ومشاجرات مع الصديقات وضرائب ولوحات شهادات وفواتير طعام وثمالة..».

«واصل التحدث بذكاء، سنتسبب لك بمأزق جيد».

«أوه، اللعنة، أمزح فقط، أتظاهر بأني بوب هوب»[1].

«إن بوب هوب أمريكي جيد».

«أنا سأكون أيضاً مثله لو كان لي قوامه».

«واصل الكلام، بإمكاننا أن نجعل الأمر قاسياً عليك».

لم أجب، غادر الرجل صاحب المحفظة الجلدية وتبعه الآخر.

أعطونا كيساً يحتوي على وجبة غداء ووضعونا في شاحنة، كان هناك عشرون أو خمسة وعشرون واحداً. رغم أنهم تناولوا فطورهم منذ ساعة ونصف لكنهم كانوا جميعاً يأكلون من أكياس غدائهم، ليس سيئاً: شطيرة بولونيا وشطيرة من زبدة الفستق وموزة متعفنة. مرّرت وجبتي للرجال الهادئين جداً، لم يلق أي واحد منهم نكتة، يمموا وجوههم إلى الأمام، كان لأغلبهم بشرة سوداء أو بنية وجسم ضخم.

مررت على الطبيب البشري ثم دخلت لأرى الطبيب النفسي.

---

(١) بوب هوب bob hope (١٩٠٣-٢٠٠٣): رياضي وممثل كوميدي أمريكي بريطاني المولد.

«هنري تشيناسكي؟»

«نعم».

«اجلس».

جلست.

«هل تؤمن بالحرب؟».

«لا».

«هل أنت راغب في الذهاب إلى الحرب؟».

«نعم».

نظر إلي ونظرت إلى قدمي، بدا أنه يقرأ رزمة من الأوراق أمامه، استغرق بضع دقائق، أربع، خمس، ست، سبع دقائق ثم تكلم.

«اسمع، لدي حفلة ليلة الأربعاء القادمة في منزلي. سيكون هناك أطباء، ومحامون، وفنانون، وكتّاب، وممثلون. أجدك رجلاً ذكياً وأريدك أن تأتي إلى حفلتي، هل ستفعل؟»

«لا».

بدأ الكتابة. كتب وكتب وواصل الكتابة، تساءلت كيف عرف الكثير عني بينما أنا لا أعرف ذلك القدر عن نفسي تركته يكتب، كنت غير مبالٍ بالأمر، بما أنّي الآن لن أكونَ قادراً على الانضمام إلى الحرب كدتُ أرغب في ذلك، وفي الوقت نفسه كنت سعيداً لكوني بعيداً عنها. انتهى الطبيب من الكتابة، شعرت بأنني خدعتهم؛ فرفضي للحرب ليس لأنه يتوجب عليّ أن أقتل أحدهم أو أن أُقتَل بطريقة حمقاء، ذلك الأمر لا يكاد يعنيني، ما اعترضت عليه هو أن أكون منكراً لحقي في الجلوس

في غرفة صغيرة أتضور جوعاً وأشرب نبيذاً رخيصاً وأجن على طريقتي وعلى راحتي.

لم أرغب في أن يوقظني شخص بالبوق، أو أن أنام في الثكنات مع ثلة من فتية أمريكيين أصحاء، مهووسين بالجنس، يحبون كرة القدم، متخمين، مستمنين، لهم أجوبة بارعة، محبوبين، خائفين، ضراطهم زهري اللون، مغرمين بأمهاتهم، متواضعين، لاعبي كرة سلة، أنا مجبر على مصادقتهم؛ إذ يتوجب عليَّ أن أثمل معهم في إجازة، وأستلقي على ظهري معهم وأستمع إلى الكثير من النكات البذيئة الواضحة غير مضحكة. لم أرغب في أغطيتهم وبزاتهم وإنسانيتهم المتململة، لم أرغب في التغوط أو التبول في المكان نفسه أو مشاركتهم المومس نفسها. لم أرغب في رؤية أظافر أقدامهم أو قراءة رسائلهم المرسلة من الوطن، لم أرغب في أن أشاهد خلفياتهم تنوس أمامي في هيئة قريبة، لم أرغب في تكوين الصداقات أو صنع الأعداء، لم أرغب بهم أو بها أو بالأمر فحسب. لم يكن يعنيني أن أَقتُل أو أُقتَل.

سمحوا لي بالذهاب بعد ساعتين من الانتظار في الجو البارد على مقعد قاس في نفق بالوعة بني. خرجت. توقفت شمالاً لشراء علبة سجائر ثم توقفت عند أول حانة، جلست وطلبت ويسكي وماء. قشرت السلوفان عن العلبة، أخرجت سيجارة، أشعلتها، وتناولت الشراب بيدي، شربت نصفه، وسحبت نفساً من السيجارة، نظرت إلى وجهي الوسيم في المرآة. بدا من الغريب أن أكون في الخارج قادراً على المشي في الاتجاه الذي أريد.

نهضت لمجرد التسلية وتوجهت إلى المرحاض، كدت أتقيأ من الرائحة الكريهة، خرجت، وضعت قطعة نقود في صندوق الموسيقى،

جلست واستمعت إلى أحدث الأغاني، لم تكن الأفضل، الوقع موجود فيها لكنه بلا روح. لا يزال موتزارت وباخ وآلبي يتفوقون عليهم. كنت سأفقد تلك الألعاب التافهة والطعام الجيد، طلبت شراباً آخر ونظرت في أرجاء الحانة، كان هناك خمسة رجال وما من امرأة واحدة، كنت عائداً إلى الشوارع الأمريكية.

بيتسبورغ فيل وشركاه

كان هذا الرجل من سمرفيلد يعيش على الإعانة الحكوميّة ويشرب النبيذ باستمرار. بدا بليداً وحاولت تجنبه، لكنه كان دوماً يطل من النافذة نصف ثمل، وعندما يراني مغادراً منزلي يردد: «هيه، هانك، ألن تصحبني إلى السباق؟» وأنا أجيبه: «مرة أخرى، جو، ليس اليوم». استمر على هذه الحال بإطلالته من النافذة نصف ثمل، في إحدى المرات قلت: «حسناً، بحق المسيح، هيّا..»، وذهبنا.

حدث ذلك في شهر كانون الثاني في سانتا آنيتا وإذا ما كنت تعرف ذلك الدرب، فإن البرد يصبح حقيقياً هناك عندما تخسر. تهب الريح من جهة الجبال المغطاة بالثلوج وجيوبك فارغة وترتجف وتفكر بالموت والأوقات الصعبة وقلّة المسكن والبقيّة الباقية. لا يكاد يكون مكاناً مناسباً للخسارة. على الأقل في متنزه هوليود يمكنك أن تعود مسفوعاً من وهج الشمس.

ذهبنا. كان يتحدث طوال الطريق، لم يسبق له أن ذهب إلى المضمار؛ توجب عليَّ أن أخبره عن الفرق بين الفوز بالمراهنات ومكانها وعرضها، لم يكن يعرف أيضاً شيئاً عن بوابة الانطلاق أو *استمارة السباق*[1]. عندما وصلنا استعمل استمارتي، وكان عليَّ أن

(١) في سباق الخيل استمارة الحصان تعني سجلاً يضم الأحداث المهمة وأداءه في السباقات السابقة، وقد يرد فيها ذكر مالك الحصان ونسبه كوسيلة لإرشاد المراهنين للتنبؤ بأدائه مستقبلاً.

أعلّمه كيفية قراءتها. دفعت رسم دخوله واشتريت له قائمةً، كان كل ما يملكه دولارين لا يكفيان إلا لمراهنة واحدة.

وقفنا قبل السباق الأول ننظر إلى النساء. أخبرني جو أنه لم يحظ بامرأة منذ خمس سنوات. كان رجلاً رث الثياب فاشلاً. تبادلنا *الاستمارة* بيننا ونظرنا إلى النساء ثم قال جو: «كيف يحدث أن يحقق الحصان رقم ستة ربحاً بقيمة أربعة عشر دولاراً لكل من يراهن بدولار؟ إنه يبدو أفضل من ذلك بالنسبة إليّ»، حاولت أن أشرح له السبب الذي يجعل معدل ربح الحصان ١٤/ ١ قياساً بالأحصنة الأخرى لكنه لم يكن يصغي.

«إنه بلا شك يبدو أفضل بالنسبة إليّ، أنا لا أفهم، سأراهن عليه».

قلت: «إنها نقودك يا جو، ولن أقرضك أي نقود عندما تخسر هذين الدولارين».

كان اسم الحصان تشارلي الأحمر، بدا حيواناً حزيناً، خرج للاستعراض الأخير[(١)] بأربع ضمادات. قفز تقييمه إلى ١٨/ ١ عندما ألقوا عليه نظرة. راهنت بعشرة على فوز الحصان المعقول، واسمه بولد لاترين، بانخفاض طفيف في التصنيف، بأرباح جيدة وفارس نشيط تصنيفه الثاني على قائمة المدربين، فكرت بأن ٧/ ٢ كان تثميناً جيداً لذلك الحصان.

بعد مسافة ميل وستة أعشار كانت نسبة فوز تشارلي الأحمر ٢٠/ ١ عند انطلاق الأحصنة من البوابة وهو أولهم، لن تخطئه بكل تلك

---

(١) هو العرض الرسمي لمجال الخيول قبل كل سباق بعد مغادرة حلقة المشي، يتم عرضهم قبالة المدرج والنادي قبل عشر دقائق من بداية السباق.

الضمادات، تقدم الفتى أربعة أطوال[1] عند أول منعطف. لا بد أنه فكر بأنه كان في سباق حصان ربعي[2]. فاز الفارس باثنين فقط من أربعين ركوباً، ويمكنك أن تفهم السبب؛ لقد كانت لديه ستة أطوال في الجزء الخلفي من المضمار. كانت الرغوة تهبط على رقبة تشارلي الأحمر بمنظر سيئ جداً كما لو أنها كريم الحلاقة.

في ذروة المنعطف تبددت الأطوال الستة إلى ثلاثة والمجموعة بكاملها تفوز عليه، في ذروة المسافة ضمن تشارلي الأحمر طولاً ونصف فقط وكان حصاني بولد لاترين يصعد إلى الخارج. بدا كما لو أني كنت في الداخل، في منتصف المسافة كان مقضياً علي، اندفاعة أخرى وكنت في الداخل، لكنهم نزلوا الطريق كله نحو الحبل بتلك الطريقة، ظلت الرغوة تنزل على عنق تشارلي الأحمر حتى النهاية، كلف ٤٢,٨٠ دولاراً.

«ظننت أنه يبدو أفضل» قال جو وراح يجبي نقوده.

عند عودته طلب *الاستمارة* مجدداً، نظر إليهم، وقال: «كيف يحدث أنه الكبير يقرأ ٦/ ١؟ إنه يبدو أفضل».

قلت: «ربما *يبدو* أفضل بالنسبة *إليك* لكن وفقاً للخبراء من المراهنين والمراقبين والمحترفين الحقيقيين هو يقدر بنحو ٦/ ١».

«لا تغضب يا هانك، أعرف أنني لا أعلم شيئاً عن هذه اللعبة،

---

(١) هو معدل طول الحصان الراكض، نحو ١٠ أقدام عادة، يستعمل لقياس هامش الفوز أو الهزيمة.

(٢) هو سباق للأحصنة التي تنتمي لسلالات تبرع في الركض لمسافات قصيرة، وقد جاء الاسم من قدرة الحصان على تجاوز السلالات الأخرى في سباقات الربع ميل أو أقل.

أقصد فقط أنه بالنسبة إليّ يبدو أنه سيكون أفضل، سأراهن عليه بأي حال وقد أراهن بعشرة».

«إنها نقودك جو. حالفك الحظ في السباق الأول، اللعبة ليست بتلك السهولة».

فاز ه الكبير وكلف ١٤,٤٠ دولاراً، بدأ جو بالتبختر، قرأنا الاستمارة في الحانة، اشترى لنا شراباً ودفع دولاراً بقشيشاً للساقي، ونحن نغادر الحانة غمز الساقي، وقال: «بارنيز مولي وحيد تماماً في هذا»؛ بارنيز مولي كان المفضل بـ ٦/ ٥؛ لذا لم أفكر بأنه كان إعلاناً خيالياً. بانتهاء السباق كان بارنيز مولي يساوي مالاً، كلف ٢٠.٤ دولارات وكسب جو فيه ٢٠ دولاراً.

قال لي: «ذلك الحين، لقد جعلوا من الحصان المناسب مفضلاً».

ربح جو ثماني مرات من تسعة سباقات، وفي طريق العودة ظل يتساءل عن تفويته للسباق السابع: «بلو تراك بدا أفضل إلى حد بعيد، لا أفهم كيف حصل على المرتبة الثالثة فقط؟»

«جو معك ثمانية من تسعة، هذا حظ المبتدئ، أنت لا تعرف كم هي صعبة هذه اللعبة!».

«إنها تبدو سهلة بالنسبة إليّ، ليس عليك سوى أن تختار الرابح وتجمع نقودك».

لم أتحدث إليه بقية الطريق. في تلك الليلة طرق على بابي وكانت معه خمسية من نوع جراندداد *واستمارة السباق*. شاركته في شرب القنينة في حين قرأ *الاستمارة* وحدّد لي الرابحين التسعة لليوم التالي والسبب الذي دفعه إلى انتقائهم. لقد كنا خبراء حقيقيين، أعرف كيف يمكن أن يُذهب هذا بعقل الرجل. كان لدي مرة سبعة عشر فائزاً على التوالي

وكنت سأشتري بيوتاً على طول الساحل وأبدأ تجارة الرقيق الأبيض لأحمي أرباحي من ضريبة الدخل، إلى هذا الحد يمكنك أن تجن.

في اليوم التالي كنت متشوقاً لأخذ جو إلى المضمار؛ أردت أن أرى وجهه عندما تفشل كل توقعاته. كانت الأحصنة مجرد حيوانات صنعت من اللحم وهي عرضة للخطأ، وكما قال لاعبو الأحصنة الكبار: «هناك طرق كثيرة بإمكانك من خلالها أن تخسر السباق وسبيل واحد لتكسبه».

لم يحدث الأمر بتلك الطريقة. فاز جو بـ ٧/ ٩ المفضلين، تخمينات بعيدة المنال وأسعار متوسطة. علّق طوال الطريق على خسارتيه، لم يتمكن من فهمها، لم أتحدث إليه، ابن العاهرة لا يمكنه أن يخطئ لكن النسب المئوية كانت تنال منه. بدأ يخبرني كيف كنت أراهن بطريقة خاطئة، ويبين لي الطريقة الصحيحة للمراهنة. أمضى يومين في المضمار وصار خبيراً، لعبتها مدة عشرين عاماً وهو يقول لي إنني لا أعرف مؤخرتي.

كنا نذهب طوال أيام الأسبوع، استمر جو بالفوز، وصار لا يطاق ولم أستطع تحمله. اشترى بزة جديدة وقبعة وقميصاً وحذاء، أصبح يدخن سيجاراً سعره خمسون سنتاً، أخبر موظفي الإعانة أنه يعمل لحسابه ولم يعد يحتاج إلى نقودهم بعد الآن. لقد جُنّ جو، ربى شارباً واشترى ساعة معصم وخاتماً ثميناً. في الثلاثاء التالي رأيته يركب سيارته الجديدة متوجهاً إلى المضمار، كاديلاك سوداء ٦٩، لوّح لي من سيارته ونفض رماد سيجاره، لم أتحدث إليه في المضمار ذلك اليوم. في تلك الليلة كنت في مقر النادي عندما طرق على بابي ومعه خمسية الجرانداد المعتادة وشقراء طويلة شابة بكسوة حسنة وهندام أنيق، كان لها شكل ووجه، دخلا معاً.

«من هذا المتبطل العجوز؟» سألت جو.

أجابها: «إنه رفيقي القديم هانك، عرفته عندما كنت فقيراً، وقد صحبني إلى السباق يوماً ما».

«أليس لديه سيدة عجوز؟».

«هانك العجوز ليس لديه امرأة منذ عام ١٩٦٥. اسمعي، ماذا عن تحديد موعد له مع جيرتي الكبيرة؟».

«أوه، اللعنة، جو، جيرتي الكبيرة لن تناسبه! انظر، إنه يلبس ثياب جامع خرق».

«ليكن لديك بعض الرحمة حبيبتي، إنه رفيقي، أعلم أنه لا يبدو عظيماً لكننا بدأنا معاً، أنا عاطفي».

«حسناً، جيرتي الكبيرة ليست عاطفية، إنها تحب الأناقة».

قلت: «انظر جو، انسَ أمر النساء، هات الاستمارة واجلس لنشرب بعض المشروبات، أعطني بعض الرابحين من أجل الغد».

فعل جو ذلك. شربنا وكتب تسعة أحصنة من أجلي على قصاصة ورق، وامرأته تيلما الكبيرة تنظر إليَّ كما لو أنني كلب يتغوط في الحديقة الخلفية لأحدهم. كانت تلك الأحصنة التسعة جيدة من أجل ثماني مرات من الربح في اليوم التالي. كلف أحد الأحصنة ٦٢,٦٠ دولاراً، لم أستطع أن أفهم، حضر جو في تلك الليلة مع امرأة جديدة بدت أفضل، جلس مع القنينة والاستمارة وكتب لي تسعة أحصنة إضافية، ثم قال لي: «اسمع، هانك، عليّ أن أنتقل من مسكني، لقد وجدت شقة ممتازة لطيفة بالقرب من المضمار، وقت السفر من وإلى المضمار مزعج. لنذهب حبيبتي. سأراك يا ولد».

عرفت ذلك، كان رفيقي يتجاهلني. في اليوم التالي راهنت بشدة

على تلك الأحصنة التسعة، لقد كانوا جيدين وكسبت سبعة منهم. عندما عدت إلى البيت راجعت *الاستمارة* ثانية محاولاً اكتشاف السبب الذي اختار من أجله الأحصنة، لكن بدا السبب غير مفهوم، كانت بعض اختياراته غامضة بالنسبة إليّ.

لم أرَ جو ثانية في الأيام الباقية للسباق خلا مرة واحدة، رأيته يمشي نحو النادي برفقة امرأتين. كان بديناً ويضحك، يرتدي بزة ثمنها مئتا دولار، ويلبس خاتماً من الألماس في إصبعه. لقد خسرت كل السباقات التسعة في ذلك اليوم.

حدث الأمر بعد عامين. كنت في متنزه هوليود وكان الجو حاراً جداً، كان يوم الخميس، وفي السباق السادس، كنت قد استدنت ٢٦,٨٠ دولاراً للرابح. وأنا أبتعد عن كوة الدفع سمعت صوته من خلفي:

«هيه، هانك! هانك!».

لقد كان جو.

قال: «يا يسوع المسيح! يا رجل، إنه لأمر عظيم أن أراك».

«مرحباً جو..».

ما زال يرتدي البزة نفسها في ذلك الحر، في حين كنا نرتدي قمصاناً قصيرة الأكمام، يبدو أنه في حاجة إلى حلاقة، حذاؤه كان بالياً والبزة مجعدة قذرة، لم يكن يلبس خاتمه الألماسي ولا ساعة معصمه.

«أعطني سيجارة هانك».

أعطيته سيجارة وعندما أشعلها انتبهت إلى ارتجاف يده.

«أحتاج إلى شراب يا رَجل» قال لي.

أخذته إلى الخانة وشربنا كأسين من الويسكي، تفحص جو *الاستمارة*.

«اسمع يا رجل، لقد وضعت لك الفائزين كلهم، ألم أفعل؟».

«بالتأكيد يا جو».

وقفنا ننظر إلى *الاستمارة*، قال: «الآن تفحص هذا السباق، انظر إلى القرد الأسود، إنه سيعدو يا هانك، إنه مضمون وقراءته ٨/ ١».

«أنت معجب بحظوظه جو؟».

«إنه رابح يا رجل، سيفوز في وضح النهار».

وضعنا رهاناتنا على القرد الأسود وذهبنا لنشاهد السباق، انتهى سابعاً بصعوبة.

قال جو: «لا أفهمه، انظر، دعني أحصل على دولارين إضافيين، هانك، سيرين كول هي التالية، لا يمكنها أن تخسر، مستحيل».

وصلت سيرين كول إلى المركز الخامس لكن هذا لا يساعد كثيراً عندما تراهن على المركز الأول. أخذ مني جو دولارين آخرين من أجل السباق التاسع وخرج حصانه من هناك أيضاً. أخبرني جو أنه لا يملك سيارة وطلب مني إيصاله إلى البيت.

«لن تصدق هذا، لقد عدت إلى تلقي الإعانة».

«أصدقك جو».

«سأتعافى، أنت تعلم، أفلس بيتسبورغ فيل عدة مرات وهو يعود بثقة دائماً، أصدقاؤه يثقون به وقد أقرضوه المال».

عندما ودعته وجدت أنه يعيش في منزل قديم يبعد تقريباً أربع كتل

بنائية عن مكان إقامتي، لم أغيّر مكان سكني أبداً، عندما تركته، قال: «يوجد الكثير من البطاقات الجيدة غداً، هل ستذهب؟»

«لست واثقاً جو».

«أعلمني إذا كنت ستذهب».

«بالتأكيد جو».

سمعت في تلك الليلة قرعاً على بابي عرفت أنه جو، لم أفتح، التلفاز يعمل لكنني لم أفتح، استلقيت هادئاً على السرير، واصل القرع.

«هانك! هانك! هل أنت في الداخل؟ هيه هانك!».

ضرب على الباب، ابن العاهرة بدا مسعوراً، قرع وواصل القرع. أخيراً توقف، سمعته يمشي نازلاً التلة، ثم سمعت الباب الأمامي للمنزل يغلق، نهضت، أطفأت التلفاز وذهبت إلى الثلاجة، صنعت شطيرة من اللحم والجبنة، فتحت بيرة ثم جلست، فتحت *استمارة* الغد وبدأت أنظر في السباق الأول، رهن بخمسة آلاف دولار للمهور وللمخصيين بعمر ثلاث سنوات. لقد أعجبت بالحصان ذي الرقم ٨، وضعَتْه *الاستمارة* في المركز الخامس، كنت سآخذ ذلك في أي وقت.

د. نازي

الآن، أنا رجلٌ لديه العديد من المشاكل وأظن أن معظمها قد اختلقته لنفسي. أقصد مع الإناث والمقامرة والشعور بالعداء تجاه مجاميع الناس، كلما كانت المجموعة أكبر تعاظم العداء. أنا أُدعى بالسلبي الكئيب النكد.

ما زلت أتذكر الأنثى التي صرخت في وجهي: «أنت سلبي لعين! يمكن للحياة أن تكون جميلة».

أظن أنها يمكن أن تكون كذلك، لا سيّما مع صراخ أقل بقليل، لكنني أريد أن أحدثك عن طبيبي، أنا لا أذهب إلى أطباء نفسيين؛ إنهم تافهون وشديدو الرضى، لكن غالباً ما يكون الطبيب مشمئزاً و/ أو مجنوناً، فضلاً عن كونه مسلياً أكثر بكثير.

ذهبت إلى عيادة الطبيب كيبينهوير؛ لأنها كانت الأقرب، ظهرت في يدي بثور بيضاء صغيرة، ربما بسبب قلقي الحالي أو بسبب سرطان محتمل. ارتديت قفازات عامل كي لا يحدق الناس، واحترقت بسبب تلك القفازات، وأنا أدخن علبتي سجائر في اليوم.

دخلت إلى عيادة الطبيب. كنت صاحب أول موعد، ولأنني رجل قلق فقد حضرت قبل الموعد بنصف ساعة مستغرقاً في التفكير بالسرطان. عبرت غرفة الجلوس ونظرت إلى الداخل. كانت الممرضة

مقرفصة على الأرض ترتدي بزة بيضاء ضيقة، ارتفع لباسها إلى وركيها تقريباً مظهراً أشياء ضخمة مدوية من خلال جورب النايلون المشدود بإحكام. نسيت أمر السرطان كلياً، لم تسمعني، حدقت إلى ساقيها وفخذيها المكشوفين أتفحص الردف اللذيذ بعيني. كانت تمسح ماء المرحاض الطافي وهي تشتم، كانت سريعة الغضب، زهرية اللون، وبنية، وحية، ومكشوفة. وأنا كنت أحدق.

رفعت بصرها وقالت: «نعم؟».

قلت: «تابعي، لا أرغب في مقاطعتك».

«إنه المرحاض يفيض دائماً».

واصلت المسح وأنا واصلت النظر إلى غلاف مجلة لايف، أخيراً انتصبت في وقفتها. تقدمت نحو الأريكة وجلست تنظر في دفتر المواعيد.

«هل أنت السيد تشيناسكي؟».

«نعم».

«لماذا لم تخلع قفازيك؟ الجو دافئ هنا».

«أفضّل ألا أفعل، إذا لم يكن لديك مانع».

«الطبيب كيبينهوير سيصل قريباً».

«حسناً، يمكنني الانتظار».

«ما مشكلتك؟».

«*السرطان*».

«*سرطان*؟».

«نعم».

اختفت الممرضة، قرأت عددين من مجلة لايف ومجلة *الرياضة المصورة* ثم جلست أتأمّل لوحات المناظر الطبيعية والبحرية وأدندن مع الموسيقى القادمة من مكان ما، وتساءلت عما إذا سيكون ثمة طريقة لاغتصاب الممرضة وتخليت عن ذلك، عندما دخل الطبيب تجاهلته وتجاهلني، وانصرف أيضاً بالطريقة نفسها.

دعاني إلى مكتبه. جلس على مقعده ينظر إلي، وجهه أصفر وكذلك شعره، أما عيناه فكانتا باهتتين كأنه يحتضر، كان عمره يناهز الثانية والأربعين، عاينته ومنحته ستة أشهر.

«ماذا عن القفازات؟» سأل.

«أنا رجل حساس يا دكتور».

«*حقاً*؟».

«نعم».

«إذن عليّ أن أقول لك إنني كنت نازياً في وقت من الأوقات».

«لا بأس».

«ألا تبالي بأنني كنت مرة نازياً؟»

«لا، لا *أبالي*».

«- أسروني، اقتادونا عبر فرنسا في عربة نقل والأبواب مفتوحة، وقف الناس على طول الطريق ورموا علينا القنابل النتنة وصخوراً وكل أنواع القمامة: الحسك، والنباتات الميتة، والبراز، وكل شيء ممكن تخيله».

جلس الطبيب وحكى لي عن زوجته؛ كانت تحاول أن تسلبه، قحبة حقيقية، محاولة الحصول على أمواله كلها: المنزل، الحديقة، حديقة

المنزل، البستاني أيضاً، ربما إذا لم تكن قد فعلت بالفعل، والسيارة، النفقة، فضلاً عن قدر كبير من السيولة النقدية. امرأة فظيعة. لقد عمل بمشقة بالغة؛ خمسون مريضاً في اليوم بعشرة دولارات على الرأس، شفاؤهم مستحيل تقريباً، وتلك المرأة، النساء، نعم، النساء. لقد فسر لي الكلمة، نسيت إذا ما كانت امرأة أو أنثى أو أياً يكن؛ فهو شرحها باللاتينية ومن هناك يظهر الجذر باللاتينية: كانت النساء بشكل أساسي ممسوسات.

بدأت أشعر بالانبساط مع الطبيب وهو يتحدث عن جنون النساء، أومأتُ برأسي إشارة على الموافقة. فجأة طلب مني أن أصعد على الميزان ليعرف وزني، ثم أصغى إلى قلبي وصدري. خلع قفازيّ بقسوة، غسل يدي بشيء من الخراء وفتح البثور بالموسى، وهو ما يزال يتحدث عن الكراهية والثأر اللذين تحملهما النساء في قلوبهن. لقد كانت الغدد، فالنساء موجهات بغددهن، أما الرجال فبقلوبهم؛ لهذا السبب فقط الرجال هم من يعانون. طلب مني أن أغسل يدي بانتظام وأن أتخلص من القفازات اللعينة. لقد تحدث أكثر قليلاً عن النساء وزوجته ثم غادرت.

كانت مشكلتي التالية نوبات الدوار. كنت أصاب بها فقط عندما أقف في طابور. بدأت أصاب بهلع شديد من الوقوف في طابور، كان لا يطاق. أدركت أنه في أمريكا وربما في كل مكان يتعين عليك الوقوف في طابور، نفعلها في كل مكان، شهادة القيادة: ثلاثة أو أربعة طوابير، حلبة السباق: طوابير، الأفلام: طوابير، السوق: طوابير، كرهت الطوابير، شعرت بأنّه لا بدّ أن تكون هناك طريقة لتجاوزها. ثم أتاني الجواب؛ الحصول على مزيد من *الموظفين*. نعم، ذلك هو الحل؛ موظفون لكل شخص، *ثلاثة* موظفين، دع الموظفين يقفون في الطوابير.

كانت الطوابير تقتلني. لم أتمكن من تقبلها، لكن الجميع فعلوا. الآخرون جميعاً كانوا عاديين، والحياة جميلة بالنسبة إليهم. لقد استطاعوا الوقوف في الطابور من دون الشعور بالألم، استطاعوا الوقوف إلى الأبد حتى إنهم *أحبوا* الوقوف في الطابور. تحادثوا وكشروا وابتسموا وغازلوا بعضهم بعضاً، لم يكن لديهم شيء آخر يفعلونه. لم يستطيعوا التفكير بشيء آخر يفعلونه، وكان عليّ النظر إلى آذانهم وأفواههم ورقابهم وسيقانهم ومؤخراتهم وأنوفهم. استطعت أن أشعر بأشعة الموت ترشح من أجسادهم كالسم، وأستمع إلى محادثاتهم، شعرت كأنني أود أن أصرخ «*يا يسوع المسيح! ليساعدني أحدهم، هل ينبغي عليَّ أن أعاني كل هذا لأشتري فقط رطلاً من الهمبرجر أو رغيفاً من خبز الشوفان؟*».

سأشعر بالدوار، وسأمد ساقي كي لا أقع منهاراً؛ المتاجر الكبيرة سوف تدور، ووجوه موظفي المتاجر بشواربهم الذهبية أو البنية وعيونهم السعيدة الذكية، جميعهم سيصبحون مدراء متاجر يوماً ما بوجوههم البيضاء القانعة المدعوكة، يشترون منازل في أركاديا ويعتلون ليلاً بقضبانهم زوجات شقراوات ممتنات.

حدد لي الطبيب موعداً آخر، وصلت قبل نصف ساعة من الموعد، كان المرحاض قد أُصلح، والممرضة تنفض غبار المكتب، انحنت واستقامت وانحنت نصف انحناءة ثم مالت يمنة ويسرة، أدارت مؤخرتها نحوي ومالت ثانية. ارتفع الرداء الأبيض الرسمي وتسلق وعلا، كانت هناك نُقرة ركبة وفخذ وورك، كان هناك جسد كامل، جلست وفتحت عدداً من مجلة لايف. توقفتْ عن مسح الغبار وتقدمت برأسها نحوي مبتسمة وقالت: «لقد تخلصت من قفازيك يا سيد تشيناسكي».

«نعم».

أتى الطبيب، وقد بدا أقرب قليلاً إلى الموت، أومأ فنهضت وتبعته إلى الداخل.

جلس على مقعده.

«تشيناسكي، كيف الأمور؟».

«بخير أيها الطبيب..».

«مشاكل مع النساء؟».

«حسناً، بالطبع، لكن.».

لم يدعني أنهي كلامي، بدا وكأنه فقد المزيد من الشعر، أصابعه ترتعش، أنفاسه قصيرة، أنحف. كان رجلاً يائساً تنهبه زوجته. ذهبا إلى المحكمة وصفعته هناك، أعجبه ذلك فقد كان مفيداً في القضية. لقد عرفوا من خلاله تلك العاهرة. بأية حال، لم ينته الأمر بشكل بالغ السوء. لقد تركت له شيئاً. بالطبع، أنت تعرف أتعاب المحامين الأوغاد، هل لاحظت محامياً من قبل؟ إنهم بدناء دائماً، لا سيّما في منطقة الوجه، قال: «اللعنة، لقد فضحتني، لكنني حصلت على القليل، هل تريد أن تعلم كم ثمن مقص مثل هذا؟ انظر إليه، قصدير وله برغي. ٥٠.١٨ دولاراً. يا إلهي! وهم يكرهون النازيين، ماذ يكون النازيّ بالمقارنة مع هذا؟»

«لا أعرف يا دكتور. لقد قلت لك إنني رجل مشوش».

«هل حاولت مرة أن تذهب إلى طبيب نفسي؟».

«إنه لا يفيد؛ إنهم بلداء، ليس لديهم خيال، لا أحتاج إليهم، لقد سمعت أنهم ينتهون إلى التحرش الجنسي بمرضاهم من النساء. أتمنى لو

أكون طبيباً نفسياً لأتمكن من مضاجعة كل النساء، بعيداً عن ذلك إن عملهم لا نفع له».

انحنى طبيبي على مقعده. اصفرّ وازداد شحوبه قليلاً، سرت رعشة هائلة في جسده وكأنه على وشك أن يموت، ومع ذلك بدا رفيقاً لطيفاً.

قال: «حسناً، لقد تخلصت من زوجتي، انتهى كل شيء».

«جميل، حدثني عنك عندما كنت نازياً».

«حسناً، لم يكن لدينا خيارات كثيرة. أخذونا فحسب. كنت شاباً. اللعنة، ما الذي ستفعله؟ يمكنك فقط أن تعيش في بلد واحد في الوقت ذاته تذهب إلى الحرب، وإذا لم تمت فسينتهي بك الأمر في عربة نقل مع أناس يرمون القاذورات عليك..».

سألته إذا ما كان قد ضاجع ممرّضته اللطيفة، ابتسم بلطف، كانت الابتسامة تعني الإيجاب، ثم أخبرني أنه منذ الطلاق وهو يواعد واحدة من مريضاته، ويعرف أن فعله هذا لم يكن أخلاقياً.

«لا، أظن أن لا بأس به يا دكتور».

«إنها امرأة جميلة جداً، تزوجتها».

«حسناً».

«أنا الآن سعيد، لكن».

فرد يديه وفتح راحة كفه عالياً...

أخبرته عن خوفي من الطوابير. أعطاني وصفة تساعد على التوازن، ثم ظهرت دمامل على مؤخرتي. كنت ملتاعاً. ربطوني بأسوار جلدية، هؤلاء الأشخاص يمكنهم فعل أي شيء يريدونه معك. وضعوني وربطوا مؤخرتي، أدرت رأسي ونظرت إلى طبيبي وقلت: «هل هناك أي فرصة

لأغير رأيي؟»، كانت هناك ثلاثة وجوه تنظر إلي في الأسفل؛ هو واثنان آخران؛ هو ليقطع، وهي لتزوده بالقماش، والثالث لزرق الإبر.

«لا يمكنك أن تغير رأيك» قال الطبيب، وفرك يديه وكشر وبدأ...

آخر مرة رأيته كانت بسبب الصملاخ في أذني. استطعت أن أرى شفتيه تتحركان. حاولت أن أفهم لكنني لم أتمكن من السماع. استطعت أن أعرف من عينيه ووجهه أنه كان يمر بأوقات قاسية من جديد، وأومأت. كان الجو دافئاً، شعرت بالدوار قليلاً وفكرت، إنه رفيق جيد لكن لماذا لا يدعني أحكي له عن مشاكلي، هذا ليس عدلاً، لدي مشاكل أيضاً وعليَّ أن أدفع له.

أخيراً، أدرك طبيبي بأنني أصم. تناول شيئاً بدا مثل مطفأة الحريق وضغطه داخل أذني، لاحقاً أراني قطعاً ضخمة من الصملاخ، «لقد كان الصملاخ» قال وأشار إلى الدلو، بدا كحبوب فاصولياء مطبوخة.

نهضت عن الطاولة، دفعت له وغادرت، ومع ذلك لم أستطع سماع أي شيء، لم أشعر بسوء أو تحسن وتساءلت عن الداء الذي سأذهب بسببه إليه في المرة القادمة، ما الذي سيفعله معه؟ ما الذي سيفعله بابنته ذات السبعة عشر عاماً التي كانت تحب امرأة أخرى وإن كانت ستتزوج من المرأة؟ تبين لي أن الجميع عانى باستمرار، بما في ذلك هؤلاء الذين تظاهروا بأنهم لا يعانون، بدا لي هذا الأمر اكتشافاً حقيقياً. نظرت إلى موزع الجرائد وفكرت، همممم، ونظرت إلى الشخص التالي الذي عبر وفكرت، وإلى إشارة المرور بالقرب من المستشفى عبرت سيارة سوداء جديدة بالناصية وأنزلت فتاة شابة جميلة في فستان قصير أزرق، شقراء لها شرائط زرقاء في شعرها، جلست في الشارع تحت أشعة الشمس والدم القرمزي يسيل من أنفها.

المسيح على الزلاجات

كان مكتباً صغيراً يقع في الطابق الثالث من مبنى قديم بالقرب من سكيد رو[1]. جلس جو ماسون، رئيس شركة «رول وورلد»، خلف الطاولة الرثة التي استأجرها مع المكتب. كان منقوشاً على سطحها وجوانبها عبارات: «ولِد ليموت»، «يشتري بعض الرجال ما يشنق بسببه رجال آخرون»، «حساء براز»، «أكره الحب أكثر مما أحب الكراهية».

جلس نائب الرئيس كليفورد أندروود على الكرسي الوحيد الآخر، يوجد في المكتب جهاز هاتف واحد، ورائحة البول منتشرة فيه. تقع حجرة المستراح أسفل القاعة بـ ٤٥ قدماً، كانت هناك نافذة مقابل الممشى ونافذة صفراء سميكة يتخللها ضوء خافت. دخن الرجلان السجائر وانتظرا.

«في أي وقت قلت له؟» سأل أندروود.

«التاسعة والنصف» قال ماسون.

«ما من مشكلة».

---

(١) وسط مدينة لوس أنجلس وهي تعد بمثابة عاصمة المشردين في الولايات المتحدة الأمريكية.

انتظرا ثماني دقائق أخرى. أشعل كل منهما سيجارة. سُمع صوت طرقٍ على الباب.

«ادخل» قال ماسون. لقد كان مونستر تشونجاكي، ظهر ملتحياً، طوله ٦,٦ أقدام ووزنه ٣٩٢ رطلاً، تنبعث منه رائحة كريهة. بدأت تمطر. كان بإمكانك سماع صوت شاحنة تمر أسفل النافذة، كانت ٢٤ شاحنة متجهةً شمالاً ممتلئة بالمبادلات التجارية، ظلت الرائحة الكريهة تنبعث من تشونجاكي. لقد كان نجم فريق السُتَر الصفر وواحداً من أفضل المتزلجين على ضفتي المسيسبي، ٢٥ ياردة على كل جانب.

«اجلس» قال ماسون.

«لا يوجد كرسي» قال تشونجاكي.

«دعه يجلس يا كليف».

نهض نائب الرئيس متمهلاً وجميع ملامحه تشير أنه على وشك أن يخرج ريحاً، لم يفعل، تقدم وانحنى على المطر الذي يطرق النافذة الصفراء السميكة. أخفض تشونجاكي خديه، مد يده وأشعل سيجارة من نوع بول مول دون فلتر. اتكأ ماسون على مكتبه.

«أنت جاهل ابن عاهرة».

«انتظر دقيقة يا رجل!».

«تريد أن تكون بطلاً، أليس كذلك يا ولد؟ أصابك الهياج عندما صرخت باسمك فتيات صغيرات لم ينبت شعر فروجهن بعد؟ تحب الأحمر القديم الغالي الثمن، أبيض وأزرق؟ هل تحب الآيس كريم بطعم الفانيليا؟ أما تزال تخفق حلواكَ البالغة الصغر، أيها الغبي؟»

«اسمع هنا ماسون».

«اخرس! ثلاثمائة أسبوعياً! كنت أمنحك ثلاثمائة أسبوعياً! عندما وجدتك في تلك الحانة لم يكن لديك ما يكفي كي تدفع ثمن شرابك التالي، كنت مصاباً بالهذيان الرعاشي وتعيش على قدر الحساء والكرنب! لم تستطع أن تربط عقدة مزلاج! أنا صنعتك أيها الغبي، من لا شيء، يمكنني أن أعيدك إلى العدم الذي كنته! بقدر ما يتعلق بك الأمر، أنا إله لن يغفر أياً من آثام أمك المتخبطة!».

أغلق ماسون عِينيه واستند إلى الوراء على الكرسي الدوَّار. نفث دخان سيجارته، وقع القليل من الرماد الحار على شفته السفلى لكنه كان شديد الغضب فلم يكترث. ترك الرماد يحرقه. وعندما كفَّ الرماد عن حرقه أبقى عينيه مفتوحتين واستمع إلى صوت المطر. لقد أحب الاستماع إلى المطر، لا سيّما عندما يكون في مكان مدفوع الإيجار ولم تقده بعض النسوة إلى الجنون. لكن المطر اليوم لم يقدم العون. هو لم يشم رائحة تشونجاكي الكريهة فحسب لكنه شعر به هناك. كان تشونجاكي أسوأ من الإسهال والقمل. فتح ماسون عينيه، استقام في جلسته ونظر إليه. يا رب! كم على الرجل أن يتكبد من العناء ليبقى على قيد الحياة!

قال بلطف: «حبيبي، لقد كسرت ضلعين من أضلاع سوني ولبورن الليلة الماضية، أتسمعني؟»

«أسمع..». بادر تشونجاكي إلى القول.

«ليس ضلعاً واحداً، لا، ليس ضلعاً واحداً فحسب بل ضلعين، أتسمعني؟».

«لكن».

«اسمع، أيها الغبي! ضلعان! هل تسمعني؟ هل تسمعني؟».

«أسمعك».

أخرج ماسون سيجارته، نهض عن الكرسي الدوّار وسار نحو كرسي تشونجاكي. يمكن القول إن تشونجاكي يبدو ولداً وسيماً وظريفاً، ولا ينطبق هذا أبداً على ماسون المسن؛ فعمره تسعة وأربعون عاماً، أصلع تقريباً، له منكبان متهدلان، مطلّق، لديه أربعة أولاد، اثنان منهم في السجن. كانت ما تزال تمطر، أمطرت يومين وثلاث ليال، سيدرك نهر لوس أنجلس الحماس ويتظاهر بأنه نهر.

«انهض!» قال ماسون.

نهض تشونجاكي وغار ماسون بيسراه في أحشائه، وعندما انخفض رأس تشونجاكي وضعها هناك مدعومة بضربة قوية ثم شعر ببعض التحسن. كان مثل كوب من الأوفالتين[١] في صباح بارد من كانون الثاني، استدار وعاد إلى مجلسه من جديد. هذه المرة لم يشعل سيجارة بل سيجاره الذي سعره ١٥ سنتاً المخصص لفترة ما قبل الغداء. شعر بتحسن إلى هذا الحد. التوتر، لا يمكنك أن تدع ذلك الهراء يتنامى. مات ابن حميه السابق من قرحة نازفة فقط لأنه لم يعرف كيف يعفو عما سلف.

جلس تشونجاكي، نظر ماسون إليه.

«هذا يا بنيّ، عمل وليس رياضة. نحن لا نؤمن بالناس المؤذية، هل وصلت فكرتي؟»

جلس تشونجاكي يستمع إلى صوت المطر. تساءل إذا ما كانت

---

(١) علامة تجارية لمنتج من الحليب المنكه المضاف إليه مستخلص الشعير والسكر والكاكاو ومصل اللبن.

سيارته ستقلع؛ فهو يعاني دائماً من مشاكل في إقلاع سيارته عندما تمطر، فيما عدا ذلك كانت سيارة جيدة.

«سألتك حبيبي، هل استطعت أن أوصل فكرتي إليك؟»

«أوه، نعم، نعم..».

«ضلعان مكسوران، ضلعان من أضلاع سوني ويلبورن كُسرا، إنه أفضل لاعبينا».

«انتظر! إنه يلعب لصالح النسور، كيف يمكن له أن يكون أفضل اللاعبين؟».

«غبي! نحن نملك النسور!».

«أنتم تملكون فريق النسور؟».

«نعم أيها الغبي. والملائكة والذئاب والكانيبالز (أكلة لحوم البشر) وكل فريق آخر في الرابطة، إنهم جميعهم ملك لنا، كل هؤلاء الفتية..».

«يا يسوع!».

«لا، ليس يسوع، يسوع ليس له علاقة به! لكن لقد أعطيتني فكرة أيها الغبي».

استدار ماسون نحو أندروود الذي كان ما يزال منحنياً على المطر «إنه أمر يجب التفكير به» قال.

«أوه» قال أندروود.

«ارفع رأسك يا كليف، فكر فيه».

«بماذا؟».

«المسيح على الزلاجات، احتمالات لا تعد ولا تحصى».

«نعم، نعم، يمكننا إدخال الشيطان».

«هذا جيد، نعم، الشيطان».

«قد يكون بإمكاننا أيضاً إدخال الصليب».

«الصليب؟ لا، هذا سخيف جداً».

التفت ماسون إلى تشونجاكي الذي لم يُفاجأ، ولو كان الجالس قرداً فلن يفجَؤه الأمر أيضاً. كان ماسون هناك منذ وقت طويل لكنه لم يكن قرداً، لقد كان تشونجاكي. كان عليه أن يتكلم مع تشونجاكي، واجب، واجب... كله من أجل الإيجار، قطعة مناسبة من مؤخرة مدفونة في البلاد. الكلاب لديها براغيث والرجال لديهم مشاكل.

قال: «تشونجاكي، رجاءً دعني أشرح لك أمراً، هل تصغي؟ هل أنت قادر على الإصغاء؟»

«أنا أستمع».

«نحن أصحاب عمل؛ نعمل خمس ليال أسبوعياً، نشاهد التلفاز، ونعيل عائلات، وندفع الضرائب، ونصوِّت. تسجل الشرطة بحقنا مخالفات سير مثل سائر البشر. نعاني من ألم في الأسنان وأرق وأمراض جنسية. علينا أن نعيش أيام عيد الميلاد ورأس السنة مثل أي شخص آخر، هل تفهم؟»

«نعم».

«نحن أيضاً، بعض منا يكتئب أحياناً، نحن بشر، أنا أيضاً اكتأبت. أحياناً أشعر برغبة في البكاء ليلاً، أنا واثق كالجحيم بأني شعرت بذلك الليلة السابقة عندما كسرتَ ضلعي ويلبورن».

«لقد كان يهاجمني يا سيد ماسون!».

«تشونجاكي، ويلبورن لم يمس شعرة من إبط جدتك الأيسر. هو

يقرأ سقراط، وروبرت دونكان، وو.ه. أودن، هو في الرابطة منذ خمس سنوات ولم يتسبب بضرر جسدي يكفي ليحدث رضاً لعثة ارتياد الكنائس..».

«كان قادماً نحوي، كان يتأرجح، كان يصرخ».

«أوه، يا رب» قال ماسون بلين، وضع سيجاره في المنفضة «بنيّ، أقول لك، نحن عائلة، عائلة كبيرة. لا يؤذي أحدنا الآخر. لقد حصلنا على خيرة جمهور دون الطبيعيين في الرياضة، لقد سحبنا السلالة الأكبر من البلهاء الأحياء وقد وضعوا ذلك المال في جيوبنا؟ هل تفهم؟ لقد سحبنا البلهاء من أفضل الأنواع بعيداً عن المصارعين المحترفين، لاف لوسي، وجورج بوتنام. لدينا المال ولا نؤمن بالحقد والعنف. صحيح كليف؟»

«صحيح» قال أندروود.

«دعنا نريه واحدة من النمر» قال ماسون.

«حسناً» قال أندروود.

نهض ماسون عن مكتبه وتقدم نحو أندروود، وقال «يا ابن العاهرة، سأقتلك. أمك تزدرد ضراطها ومصابة بالسفلس».

«أمك تأكل براز القطة المنقوع» قال أندروود.

ابتعد عن النافذة واقترب من ماسون، تأرجح ماسون أولاً، تأرجح أندروود متراجعاً أمام المكتب، أمسك ماسون عنق أندروود بقبضة خانقة من يسراه وضربه باليمنى على رأسه قبضة وساعداً، وقال له: «حلمات أختك معلقة رأساً على عقب وتتدليان في الماء عندما تتغوط»، مد أندروود يده ونهش ماسون على رأسه، تدحرج ماسون أمام الحائط مصدراً صوت ارتطام ثم نهض ومشى نحو مكتبه، جلس على الكرسي

الدوار، التقط سيجاره ودخن. استمر المطر في الهطول، عاد أندروود وانحنى على النافذة.

«عندما يعمل رجل طوال خمس ليال أسبوعياً لا يمكنه أن يتحمل أن يكون مصاباً، أتفهم يا تشونجاكي؟».

«نعم سيدي».

«انظر الآن يا ولد، لدينا قاعدة عامة هنا، والتي هي، هل تسمع؟».

«نعم».

«التي هي: عندما يقدم أي شخص في الرابطة على إيذاء لاعبٍ آخر سيطرد من العمل والرابطة، في الواقع، قضي الأمر، إنه على القائمة السوداء في جميع مباريات التزلج في أمريكا، وربما في روسيا والصين وبولونيا أيضاً، هلاّ أبقيت هذا في بالك؟».

«نعم».

«نحن لن نحاسبك الآن على هذا؛ لأننا صرفنا الكثير من الوقت والمال كي نصل بك إلى هذه المرحلة. أنت مارك سبيتز[١] فريقنا، لكن يمكننا أن نسبب لك الفشل كما يمكنهم فعل ذلك معه إذا لم تفعل تماماً ما نقوله لك».

«نعم سيدي».

«لكن هذا لا يعني أن تتراخى، عليك أن تتصرف بعنف دون أن تكون عنيفاً، هل فهمت؟ خدعة المرآة، الأرنب يخرج من القبعة، طن كامل من بولونيا يحلو لهم أن يكونوا مخدوعين، إنهم لا يعرفون

---

(١) سباح أمريكي سابق مواليد عام ١٩٥٠.

الحقيقة، ولا يرغبون فيها أيضاً؛ إنها تجعلهم تعساء، نحن نجعلهم سعداء، نحن نقود سيارات جديدة ونرسل أولادنا إلى الكلية، صح؟»

«صحيح».

«حسناً، اخرج من هنا».

نهض تشونجاكي وغادر.

«ويا ولد..».

«نعم؟».

«لتأخذ حماماً بين الحين والأخر».

«ماذا؟».

«حسناً، ربما ليس هذا. هل تستعمل ما يكفي من المناديل الورقية عندما تمسح مؤخرتك؟»

«لا أعلم ما هو المقدار الكافي منها؟».

«ألم تخبرك أمك؟».

«ماذا؟».

«عليك أن تستمر بالمسح حتى تكف عن رؤية أي شيء».

وقف تشونجاكي هناك ونظر إليه.

«حسناً، بإمكانك الذهاب الآن. ورجاء تذكر كل ما قلته لك».

غادر تشونجاكي، تقدم أندروود وجلس على الكرسي الفارغ، أخرج سيجاره المخصص لفترة ما بعد الغداء والذي سعره ١٥ سنتاً وأشعله. جلس الرجلان خمس دقائق من دون أن يقولا شيئاً، ثم رن جرس الهاتف، تناول ماسون السماعة، أصغى، ثم قال: «أوه، جماعة الكشافين ٧٦٣؟ كم؟ بالتأكيد، بالتأكيد، سندخلهم بنصف السعر. ليلة

الأحد سنطوق القسم، بالتأكيد، بالتأكيد. أوه، هذا جيد..». أغلق الهاتف.

«أغبياء» قال.

لم يجب أندروود، جلسا يستمعان إلى صوت المطر، رسم دخان سيجاريهما أشكالاً مثيرة للاهتمام في الهواء. جلسا ودخنا وأصغيا إلى المطر وشاهدا الأشكال في الهواء. رن الهاتف ثانية فتجهّم ماسون، نهض أندروود عن كرسيه، تقدم وأجاب عليه، لقد كان دوره.

موظف الشحن ذو الأنف الأحمر

عندما قابلت راندال هاريس للمرة الأولى كان عمره اثنين وأربعين عاماً ويعيش مع امرأة شيباء، مارجي تومبسون. كانت مارجي في الخامسة والأربعين من العمر وليست على قدر كبير من الجمال. كنت أعمل محرراً للمجلة الصغيرة «ماد فلاي»، وحضرت في محاولة للحصول على بعض المواد من راندال.

كان راندال معروفاً بانعزاليته، سكّيراً، ورجلاً فظاً ولاذعاً، لكن قصائده كانت عميقة وصادقة وبسيطة وعنيفة. كان يكتب بخلاف الجميع في ذلك الحين. عمل موظف شحن في مخزن لقطع السيارات.

جلست قبالة راندال ومارجي. كانت الساعة السابعة والربع مساء، كان راندال ثملاً من البيرة. وضع الزجاجة أمامي. كنت قد سمعت عن مارجي تومبسون، فهي شيوعية قديمة، منقذة العالم، مصلحة ساذجة. يتساءل المرء ما الذي كانت تفعله مع راندال الذي لا يهتم بشيء وقد اعترف بذلك. فقد قال لي: «أحب أن أصور الهراء، هذا هو فني».

بدأ راندال الكتابة في عمر الثامنة والثلاثين، وفي عمر الثانية والأربعين، بعد كتيّبات صغيرة شعبية (*الموت كلب أشد قذارة من بلدي، أمي ضاجعت ملاكاً، وأحصنة الجنون البرية الغاضبة*) أصبح مهللاً نقدياً، لكنه لم يهلل لكتاباته وقال: «أنا لا شيء سوى موظف

شحن أرتدي القمصان الزرقاء الغامقة»، عاش مع مارجي في زقاق أمامي قديم في هوليود، كان شخصاً غريباً، قال: «أنا لا أحب الناس فحسب، أنت تعلم، قال ويل روجرز مرة «أنا لم أقابل قطّ رجلاً لم أحبه»، أما أنا فلم ألتق مطلقاً برجل أثار إعجابي».

كان راندال ظريفاً؛ قدرته على الضحك من نفسه وعند الألم تُعجبك. كان رجلاً قبيحاً، رأسه كبير ووجه مهشم، بدا أن الأنف فقط قد نجا من التهشم العام، قال شارحاً: «ليس لدي الكثير من العظام في أنفي، إنه مثل المطاط». كان أنفه طويلاً وشديد الاحمرار.

سبق لي أن سمعت قصصاً حول راندال. كان موهوباً في تحطيم النوافذ وتكسير الزجاجات على الحائط، كان سكيراً فاحشاً، وكان يمر بفترات لا يفتح فيها الباب ولا يرد على الهاتف. لا يملك تلفازاً، لديه مذياع صغير ولا يستمع إلا للسيمفونيات الموسيقية. أمر غريب من رجل فظ مثله. كان يمر أيضاً بفترات ينزع فيها أسفل الهاتف ويحشوه بالمناديل الورقية حول الجرس بحيث يتوقف عن الرنين. يبقى على ذلك الحال أشهراً. يتساءل المرء عن السبب الذي يجعله يقتني هاتفاً. كان تعليمه قليلاً لكن من الواضح أنه قرأ لأغلب خيرة الكتاب.

قال لي: «حسناً أيها اللعين، أظن أنك تتساءل عما أفعله معها؟» أشار إلى مارجي، لم أجب.

«إنها شريكة جيدة في المضاجعة، وهي تمنحني بعض أفضل ما في غرب سانت لويس من جنس».

كان راندال هو نفسه الذي كتب أربع أو خمس قصائد حب إلى امرأة تدعى آني، أنت تتعجب كيف اتفق له ذلك. جلست مارجي

مكشرة. كتبت الشعر أيضاً لكن لم يكن جيداً جداً. لقد حضرت ورشتي عمل في الأسبوع وبالكاد كانتا تقدمان العون.

«إذن أنت تريد بعض القصائد؟» سألني.

«نعم، أود النظر في بعض منها».

اتجه هاريس إلى الخزانة، فتح الباب والتقط بعض الأوراق الممزقة والمجعدة، ناولني إياها، وقال: «كتبتها الليلة الماضية»، ثم ذهب إلى المطبخ وعاد يحمل زجاجتي بيرة إضافيتين. لم تشرب مارجي.

بدأت قراءة القصائد، كانت جميعها قوية، لقد كتب بيد شديدة البأس والكلمات بدت منحوتة في الورقة. لطالما أذهلتني قوة كتابته، بدا كما لو أنه يقول كل الأمور التي علينا قولها لكن لم نفكر قطّ في ذلك.

«سآخذ هذه القصائد» قلت.

«حسناً، اشرب».

عندما تأتي لرؤية هاريس يكون الشراب واجباً عليك. دخن سيجارة بعد الأخرى. ارتدى بنطالاً من القطن الطري بني اللون من القياس العريض جداً وقميصاً قديماً كان دائماً مفتوقاً، طوله ستة أقدام ووزنه ٢٢٠ رطلاً. أغلب وزنه ناجم عن شرب البيرة، كان متهدل الأكتاف، يحدق بك من خلف جفون مشقوقة. شربنا قدراً كبيراً مدة ساعتين ونصف، امتلأت الغرفة بالدخان.

فجأة وقف هاريس وقال: «اذهب إلى الجحيم أيها اللعين، لقد أقرفتني!»

«هون عليك الآن هاريس..».

«قلت الآن أيها اللعين!».

نهضت وغادرت ومعي القصائد.

عدت إلى تلك الساحة الأمامية بعد شهرين لأوصل نسختين من مجلة *ماد فلاي* إلى هاريس، لقد نشرت قصائده العشرة كلها. فتحت لي مارجي، لم يكن راندال هناك.

«إنه في نيو أورليانز» قالت مارجي.

«أظن أنه يستريح. يود جاك تيلر أن ينشر كتابه التالي لكنه يرغب في أن يلتقي براندال أولاً، يقول تيلر إنه لا يستطيع أن يطبع كتاباً لشخص لا يعجبه، لقد دفع ثمن تذكرة الطيارة ذهاباً وإياباً».

«راندال ليس محبوباً كثيراً» قلت.

«سنرى» قالت مارجي.

«تيلر سكير وسجين سابق، ربما سيكونان زوجاً جميلاً».

أسس تيلر مجلة *ريفراف* ولديه مطبعته الخاصة، قام بعمل ممتاز جداً. ظهر على غلاف العدد الأخير وجه هاريس البشع وهو يشرب من زجاجة بيرة مظهراً عدداً من قصائده.

كانت **ريفراف** معروفة بأنها المجلة الأدبية رقم واحد، حصل هاريس على الشهرة أكثر فأكثر. كاد يكون صاحب حظ كبير لو لم يفسده بلسانه البذيء وسلوكه كسكير. قبل أن أغادر أخبرتني مارجي بأنها حامل من هاريس. كما قلت، كانت في الخامسة والأربعين من عمرها.

«ما الذي قاله عندما أخبرته؟».

«بدا غير مبالٍ».

غادرت.

صدر الكتاب في ٢٠٠٠ نسخة بطباعة فاخرة. كان الغلاف مصنوعاً

من لحاء مستورد من أيرلندا، كانت الصفحات من ورق جيد جداً، ملونة ومرتبة في نمط نادر ومرصعة ببعض مخطوطات هاريس بالحبر الهندي. لقي الكتاب الثناء على شكله ومضمونه. لكن تيلر لم يستطع أن يدفع الأتعاب. عاش هو وزوجته على هامش ضيق جداً. خلال عشر سنوات سيصبح ثمن الكتاب ٧٥ دولاراً في سوق الكتب النادرة. في هذه الأثناء عاد هاريس إلى عمله كموظف شحن في مخزن قطع السيارات.

عندما اتصلت ثانية بعد أربعة أو خمسة أشهر كانت مارجي قد رحلت.

«لقد رحلت منذ وقت طويل، اشرب بيرة».

«ما الذي حصل؟».

«حسناً، بعد أن عدت من نيو أورليانز، كتبت بعض القصص القصيرة وعندما كنت في العمل بحثث في أدراجي وقرأت بعض القصص واعترضت عليها».

«عمّ كانت؟».

«أوه، قرأت شيئاً عن صعودي إلى السرير دخولاً وخروجاً مع بعض النساء في نيو أورليانز».

«هل كانت القصص حقيقية؟» سألت.

«ما أخبار *ماد فلاي*؟» سأل.

أنجبت مارجي طفلة، نعومي لويس هاريس. عاشت هي وأمها في سانتا مونيكا وكان هاريس يسافر مرة في الأسبوع ليراهما. دفع نفقة الطفلة واستمر بشرب البيرة. علمت لاحقاً أنه يكتب عموداً أسبوعياً في

صحيفة مغمورة *ل. أ. لايفلاين*، عنونه بـ «مخطوطات مخبول من الطبقة الراقية». كان نثره يشبه شعره في العصيان والانطوائية والكسل.

ربّى هاريس سكسوكة وأطال شعره. في المرة التالية التي رأيته فيها كان يعيش مع فتاة عمرها خمسة وثلاثون عاماً، جميلة شعرها أحمر تدعى سوزان. تعمل سوزان في متجر للمواد الفنية، ترسم وتعزف على الغيتار عزفاً جميلاً، وهي أيضاً تشرب البيرة أحياناً مع راندال أكثر مما فعلته مارجي. بدت الساحة أكثر نظافة، عندما أنهى هاريس زجاجته رماها في كيس ورقي بدلاً من رميها على الأرض، كان ما يزال سكيراً فاحشاً مع ذلك.

قال لي: «أنا أكتب الرواية، وألقي الشعر بين الحين والآخر في جامعات قريبة، ولدي أمسيتان في ميشيجن ونيو مكسيكو، العروض جيدة جداً. لا أحب القراءة لكنني قارئ جيد، أقدم لهم عرضاً وبعض الشعر الجيد».

بدأ هاريس الرسم، هو لم يرسم بطريقة بالغة الجودة بل رسم مثل سكير فودكا عمره خمس سنوات. وقد استطاع أن يبيع واحدة أو اثنتين من رسوماته بأربعين أو خمسين دولاراً. قال لي إنه كان يفكر في ترك عمله بعد ثلاثة أسابيع ليذهب إلى ميشيجن لإلقاء الشعر. لقد استغل فترة إجازته لرحلة نيو أورليانز. أتذكّر مرة عندما تعهد لي: «لن ألقي الشعر أبداً أمام مصاصي الدماء هؤلاء يا تشيناسكي. سأذهب إلى قبري دون أن ألقي الشعر، إنه تكبر وغدر». لم أذكّره بهذا التصريح.

صدرت روايته *موت في حياة كل العيون على الأرض* عن مطبعة صغيرة لكنها ذات شأن فقد دفعت أتعاب معيارية. كانت المراجعات جيدة، بما فيها واحدة في صحيفة نيويورك رفيو أوف بوكس. لكنه كان

ما يزال سكيراً فاحشاً ولديه الكثير من المشاجرات مع سوزان بسبب شربه.

أخيراً، تركته سوزان بعد ثمالة فظيعة هذى فيها وشتم وصرخ طول الليل. رأيت راندال بعد عدة أيام من مغادرتها. كان هادئاً بشكل غريب، ولم يكن فاحشاً على الإطلاق.

«لقد أحببتها يا تشيناسكي، أنا لن أفعلها يا حبيبي».

«ستفعلها يا راندال، سترى ستفعلها، الكائن البشري أكثر صلابة مما تظن».

«هراء، آمل أن تكون على حق. لدي هذه الحفرة اللعينة في أحشائي. ـ نساء كثيرات أفلسنَ شرّدنَ رجالاً جيّدين. لا يشعرن به كما نشعر نحن».

«يشعرن به. هي فقط لم تستطع أن تحتمل ثمالتك».

«اللعنة يا رجل، أنا أكتب أكثر أشيائي عندما أكون ثملاً».

«هل هذا هو السرّ؟».

«اللعنة، نعم. أنا لست سوى موظف شحن ولا أجيدُ ذلك».

غادرته وهو منحنٍ على بيرته.

بعد ثلاثة أشهر قمت بجولات ثانية. كان هاريس ما يزال في الزقاق الأمامي. قدمني إلى سانتا، شقراء جميلة الشكل في عمر السابعة والعشرين، أبوها قاضٍ متفوق، وهي خريجة جامعة كارولينا الجنوبية، وإلى جانب جمالها كانت على قدر من الحنكة الظريفة المفتقدة في نساء راندال الأخريات، كانا يشربان زجاجة من النبيذ الإيطالي الجيد.

تحولت سكسوكة راندال إلى لحية وكان شعره أكثر طولاً وملابسه جديدة مسايرة الموضة. كان يرتدي حذاء ثمنه أربعون دولاراً، وساعة

معصم جديدة، وبدا وجهه أكثر نحافة، وأظافره نظيفة، لكن أنفه ما يزال أحمر وهو يحتسي النبيذ.

«سننتقل أنا وراندال إلى غرب لوس أنجلس في نهاية هذا الأسبوع، هذا المكان متدرن»، قالت لي.

«لقد أنجزت الكثير من الكتابات الجيدة هنا» قال.

قالت: «راندال، عزيزي، ليس المكان من قام بالكتابة، إنه أنت، أظن أننا قد نحصل لراندال على عمل في التعليم ثلاثة أيام أسبوعياً».

«لا يمكنني التعليم».

«عزيزي، بإمكانك أن تعلمهم كل شيء».

«هراء» قال.

«يفكرون بصنع فيلم عن كتاب راندال، لقد رأينا النص السينمائي، إنه نص ممتاز جداً».

«فيلم؟» سألت.

«ليس هناك الكثير من الحظ» قال هاريس.

«عزيزي، إنهم يعملون عليه، ليكن لديك القليل من الإيمان».

شربت كأساً أخرى من النبيذ برفقتهما، ثم غادرت. كانت ساندرا فتاة جميلة. لم يعطوني عنوان راندال في غرب لوس أنجلس ولم أحاول البحث عنه. بعد سنة قرأت مراجعة لفيلم *زهرة على ذيل الجحيم* المقتبس عن روايته. كانت مراجعة ممتازة وقد مثل هاريس دوراً بسيطاً في الفيلم. لقد قاموا بعمل جيد على الكتاب. ذهبت لأراه وهو يمثل، بدا هاريس أكثر صرامة بقليل، قررت أن أجده وبدأت بعض التحريات، ذات ليلة في الساعة التاسعة مساءً قرعت على باب مقصورته في ماليبو، فتح راندال الباب.

«تشيناسكي، أيها الرفيق القديم، ادخل».

جلست فتاة جميلة على الأريكة، بدت في التاسعة عشرة من عمرها. كانت ببساطة تشع جمالاً طبيعياً. «هذه كاريللا» قال، كانا يشربان زجاجة من نبيذ فرنسي غالي الثمن. جلست معهما وشربت عدة كؤوس، جاءت زجاجة أخرى وتحدثنا بهدوء. لم يثمل هاريس ولم يكن فظاً وبدا أنه لم يدخن كثيراً.

«أعمل على مسرحية لمسرح برودواي، يقولون إن المسرح يحتضر لكن لدي شيء ما من أجلهم. أبدى أحد المنتجين الرئيسين اهتماماً، أصوغ الآن الفصل الثالث، إنه بيئة جيدة، لقد كنت دائماً رائعاً في الحوارات، كما تعلم».

«نعم» قلت.

غادرت نحو الساعة الحادية عشرة والنصف. كانت المحادثة ممتعة، كان هاريس قد بدأ القيام بعروض حول المعابد، بدا أشيب شهيراً وهو لم يقل كلمة «هراء» أكثر من أربع أو خمس مرات. كانت مسرحية *اقتل أباك، اقتل إلهك، اقتل التفكيك* ناجحة، تعد واحدة من أكثر العروض استمرارية في تاريخ برودواي، لقد كان فيها كل شيء: شيء ما من أجل الثوريين، شيء ما من أجل الرجعيين، شيء ما من أجل عشاق الكوميديا، شيء من أجل عشاق الدراما، وأيضاً شيء من أجل المثقفين، ومع ذلك كانت معقولة، انتقل راندال هاريس من ماليبو إلى منزل كبير في تلال هوليود. تقرأ عنه الآن في أعمدة الثرثرة المتحدة.

ذهبت إلى عمل ووجدت مكان منزله في تلال هوليود، قصر مؤلف من ثلاث طبقات يطل على أضواء لوس أنجلس وهوليود. ركنت سيارتي وصعدت الممر إلى الباب الأمامي. كانت الساعة نحو الثامنة والنصف مساءً، الجو منعش يكاد أن يكون بارداً، والقمر بدر والهواء صاف.

قرعت الجرس، بدا كأنه انتظار طويل جداً. أخيراً فتح الخادم الباب.

«نعم يا سيد؟» سألني.

«هنري تشيناسكي لرؤية راندال هاريس» قلت.

«لحظة واحدة سيدي». أغلق الباب بهدوء وانتظرت مجدداً وقتاً طويلاً.

عاد الخادم: «أنا آسف يا سيدي، لكن لا يمكن مقاطعة السيد هاريس الآن».

«أوه، حسناً».

«هل تود أن تترك رسالة سيدي؟».

«رسالة؟».

«نعم، رسالة».

«نعم، قل له تهانينا».

«تهانينا؟ هذا كل شيء؟»

«نعم، هذا كل شيء».

«ليلة سعيدة سيدي».

«ليلة سعيدة».

عدت إلى سيارتي، انطلقت وبدأت رحلة طويلة في النزول من التلال. كان معي النسخة السابقة من *ماد فلاي* التي أردت أن يوقعها لي؛ كانت نسخة تحتوي على عشر قصائد لراندال. ربما كان مشغولاً. فكرت، إذا أرسلت المجلة إليه في مغلف مدفوع ثمن إعادته، فسيوقع. لقد كانت الساعة نحو التاسعة مساء ولدي وقت كاف للذهاب إلى مكان آخر.

الشيطان كان مهتاجاً

بعد شجاري مع فلو لم أشعر برغبة في الشرب أو الذهاب إلى صالون التدليك؛ لذا ركبت سيارتي وانطلقت قبل حلول المساء غرباً نحو الشاطئ. قدت ببطء، وصلت إلى الرصيف البحري، ركنت السيارة ومشيت على الرصيف. توقفت عند تجمع آلات اللعب(١)، لعبت بعض الألعاب، كانت تفوح في المكان رائحة البول فخرجت. كنت كبيراً جداً على ركوب الدوارة المرحة فتجاوزتها. سارت على الرصيف نماذج عادية؛ حشد من أناس غير مبالين نعِسين.

فيما بعد صدر صوت هادر من مبنى قريب، بدا أنه صادر عن شريط أو مسجل. كان هناك مناد في الجهة المقابلة: «نعم، سيداتي سادتي، في الداخل، في الداخل هنا... أمسكنا بالشيطان فعلاً! معروضاً لترونه بأعينكم! فكر، فقط بربع، بخمسة وعشرين سنتاً، يمكنكم بالفعل أن تروا الشيطان الخاسر الأكبر في كل الأزمنة! خاسر الثورة الوحيدة التي شهدتها السماء!»

كنت جاهزاً لكوميديا صغيرة تعوضني عما ورطتني به فلو. دفعت الربع ودخلت مع مجموعة من ستة أو سبعة سذج آخرين. كان هناك

---

(١) the penny arcade: منطقة مغطاة تحتوي على آلات تعمل من خلال وضع القطع النقدية فيها، تستعمل للترفيه واللعب.

رجل في القفص مرشوش باللون الأحمر، لديه شيء في فمه جعله ينفث دوائر صغيرة من الدخان ويتدفق اللهب. لم يكن مكرساً لعرض جيد، كان يمشي في دوائر فقط ويقول مراراً وتكراراً: «عليه اللعنة، عليَّ الخروج من هنا! كيف تورطت في هذه الورطة الملعونة؟» حسناً، سأقول لك إنه بدا خطيراً. فجأة قام بست قلبات سريعة إلى الخلف. استقر على قدميه في قلبته الأخيرة، نظر حوله وقال: «أوه، اللعنة، أشعر بالفظاعة!»

عندما رآني، مشى مباشرة نحو المكان الذي كنت أقف فيه بالقرب من الحبل. كان دافئاً كسخان. لا أعرف كيف يفعلون ذلك.

قال: «بنيّ، لقد أتيت أخيراً! لقد كنت أنتظر اثنين وثلاثين يوماً في هذا القفص اللعين».

«لا أعرف عما تتحدث».

«بنيّ، لا تتلاعب معي، عد في وقت متأخر الليلة ومعك مقص للأسلاك وحررني».

«لا تقل لي أي هراء يا رجل» قلت.

«اثنان وثلاثون يوماً وأنا هنا يا بنيّ! أخيراً سأنال حريتي!».

«هل تعني بأنك الشيطان كما تدعي؟».

«سأغتصب مؤخرة قطة لو لم أكن» أجاب.

«لو كنت الشيطان يمكنك إذن أن تستعمل قدراتك الفائقة لتخرج من هنا».

«قدراتي تلاشت بشكل مؤقت، هذا الرجل المنادي كان في سجن السكيرين معي، قلت له إنني الشيطان وأنقذني. خسرت قدراتي في ذلك

السجن وإلا لم أكن أحتاجه، جعلني أثمل ثانية وعندما صحوت كنت في هذا القفص. الوغد الرخيص، إنه يطعمني طعام الكلاب وشطائر زبدة الفستق. بنيّ، ساعدني، أرجوك!».

«أنت مجنون، أنت معتوه».

«عد الليلة فحسب يا بنيّ، مع مقص الأسلاك».

دخل المنادي وأعلن أن الجلسة مع الشيطان انتهت، وإذا أردنا أن نراه فسيكون علينا أن ندفع خمسة وعشرين سنتاً أخرى. لقد رأيت ما يكفي، خرجت مع ستة أو سبعة سذّج منوعين.

قال الرجل المسن الذي يمشي بمحاذاتي: «هيه، لقد تحدث إليك، أراه كل ليلة وأنت أول شخص يتحدث إليه».

«شجاعة» قلت.

أوقفني المنادي: «ماذا قال لك؟ رأيته يتحدث إليك، ما الذي قاله لك؟».

«لقد قال لي كل شيء» قلت.

«حسناً، ارفع يديك عنه، يا رفيق، إنه ملكي لم أجنِ الكثير من المال منذ أن كانت لدي السيدة الملتحية ذات ثلاث الأرجل».

«ما الذي حصل لها؟».

«هربت مع الرجل الأخطبوط، إنهما يديران مزرعة في كنساس».

«أظن أنكم جميعاً مجانين».

«أنا فقط أقول لك، وجدت هذا الرجل، ابتعد عنه!».

مشيت إلى سيارتي، ركبتها وعدت إلى فلو. عندما وصلت، كانت تجلس في المطبخ تشرب الويسكي. جلستُ ورددتُ على مسامعي مئات

المرات بأنني رجل ضخم عديم الفائدة، شربت معها بعض الوقت ولم أقل الكثير عن نفسي، ثم نهضت وذهبت إلى الكراج، جلبت مقص الأسلاك، وضعته في جيبي، ركبت السيارة وعدت إلى الرصيف. خضت طريق العودة، كان القفل صدئاً ونتر في الحال. كان نائماً على أرض القفص، حاولت قطع السلك لكنني لم أستطع. كان السلك شديد السماكة، ثم استيقظ.

«بنيّ، ها قد عدت! عرفت أنك ستفعل!».

«انظر يا رجل، لم أستطع قطع السلك بهذا المقص؛ السلك سميك جداً».

وقف وقال: «ناولني المقص».

«يا إلهي! يداك حارتان! لا بد أن لديك نوعاً من الحمى».

«لا تنادني بالله» قال.

نتش السلك بالمقص كما لو كان خيطاً وخرج. «والآن، يا بني، إلى بيتك، عليَّ أن أستعيد قوتي. بعض شرائح اللحم وسأكون منتصباً، لقد أكلت الكثير من طعام الكلاب، أخشى من أنني سأنبح في أي دقيقة»، عدنا إلى سيارتي وأخذته إلى بيتي. عندما دخلنا كانت فلو ما تزال جالسة في المطبخ تشرب الويسكي، قليتُ له لحم الخنزير والبيض، وجلسنا مع فلو.

«صديقك شيطان وسيم الطلعة». قالت لي.

«هو يدعي بأنه شيطان». قلت.

قال: «مر وقت طويل منذ أن كنت مع امرأة جميلة».

انحنى وقبّل فلو قبلة طويلة، بدت مصدومة عندما تركها، قالت: «كانت تلك القبلة الأكثر حرارة، ولقد حصلت على الكثير من القبل».

«حقاً؟» سأل.

«إذا كنت تمارس الحب بالطريقة التي تقبّل بها، فسيكون كثيراً ببساطة».

«أين غرفة نومك؟» سألني.

«اتبع السيدة». قلت.

تبع فلو إلى غرفة النوم وسكبتُ الكثير من الويسكي.

لم أسمع قط مثل هذه الصرخات والتأوهات التي استمرت خمساً وأربعين دقيقة، ثم خرج وحيداً، جلس وصب لنفسه شراباً.

«بنيّ، لقد نلتَ امرأة جيدة هناك».

مشى نحو الأريكة في الغرفة الأمامية، تمدد وغط في النوم. دخلت إلى غرفة النوم، خلعت ثيابي، واعتليت السرير مع فلو.

«يا إلهي! لا أصدق، لقد وضعني بين الجنة والجحيم». قالت

«آمل ألا يحرق الأريكة» قلت.

«أنت تعني أنه يدخن السجائر وينام؟».

«انسي الأمر» قلت.

بدأ يستحوذ، كنت أنام على الأريكة وأستمع إلى صرخات فلو وتأوهاتها كل ليلة. في أحد الأيام كانت فلو في السوق، جلسنا نشرب البيرة في ركن الفطور، تحدثت إليه: «اسمع، لا أمتنع عن مساعدة أي شخص، لكن الآن وقد خسرت سريري وزوجتي سأطلب منك أن تغادر».

«أظن أنني سأبقى فترة يا بنيّ، سيدتك الكبيرة واحدة من أفضل القطع التي حصلت عليها على الإطلاق».

«اسمع يا رجل، قد أتخذُ أقصى الوسائل لأتخلص منك».

«فتى قاس، إيه؟ تبدو قاسياً، حصلت على القليل من الأخبار عنك، فقدراتي الفائقة قد عادت، وإذا حاولت أن تتلاعب معي قد تحترق، انظر».

لدينا كلب، Old Bones، لا يساوي الكثير لكنه ينبح ليلاً، إنه كلب حراسة جيد، أشار بإصبعه إلى أولد بونز، أحدث صوت عطاس ثم أزيزاً وانطلق خط رفيع من اللهب ومس الكلب. تجمد الكلب واختفى، لم يعد موجوداً، لا عظم، ولا فراء، ولا نتن، فراغ فقط.

قلت له: «حسناً يا رجل، يمكنك البقاء بضعة أيام لكن بعد ذلك عليك الرحيل».

«اقلِ لي شرائح اللحم، أنا جائع، وأخشى أن يتناقص عدد نطافي».

نهضت ورميت شريحة في المقلاة.

قال: «وبعض البطاطا المقلية وشرائح البندورة، لا أحتاج إلى أي قهوة، فأنا أعاني من الأرق، سأشرب زجاجتي بيرة فقط».

بعد قليل وضعت الطعام أمامه، كانت فلو قد عادت.

قالت: «مرحباً حبيبي، كيف حالك؟».

قال: «بخير، أليس لديك كاتشاب؟».

خرجت، ركبت سيارتي وذهبت إلى الشاطئ. كان لدى المنادي شيطان آخر، دفعت الربع ودخلت. لم يكن الشيطان على قدر كبير من الأهمية، فاللون الأحمر المرشوش عليه يقتله وكان يشرب كي لا يُجن،

كان رجلاً ضخماً لكن لم يكن لديه أي خصال إطلاقاً. كنت واحداً من الزبائن القلة هناك والذباب أكثر من الناس.

تقدم المنادي نحوي: «أنا أتضور جوعاً منذ أن سرقت الشيء الحقيقي مني. أظن أن لديك عرضك الخاص؟».

«اسمع، سأدفع أي شيء لأعيده إليك، كنت أحاول فقط أن أكون رجلاً طيباً».

«أنت تعلم ما الذي حصل للرجال الطيبين في هذا العالم، أليس كذلك؟».

«نعم، لقد انتهى بهم الأمر واقفين في الشارع السابع وشارع برودواي يبيعون نسخاً من ووتشتاور (المرقب)».

«اسمي إرني جيمستون، حدثني عن كل شيء. لدينا مكان في الخلف».

مشيت مع إيرني إلى الغرفة في الخلف حيث زوجته جالسة إلى طاولة تشرب الويسكي. رفعت بصرها وقالت: «اسمع إيرني، إذا كان هذا الوغد سيكون شيطانك الجديد، فانسَ. قد نعرض أيضاً انتحاراً ثلاثياً».

قال: «هوني عليك» ومرّر الزجاجة.

حدثتُ إيرني عما حصل معي، أصغى باهتمام وقال: «يمكنني أن أخلّصك منه، لديه نقطتا ضعف: الشرب والنساء، وهناك أمر آخر لا أعلم سببه لكن عندما يحتجز، كما كان في سجن السكيرين أو في ذلك القفص هناك، يفقد قدراته الفائقة. حسناً، يمكننا أن ننال منه».

ذهب إيرني إلى الخزانة وسحب كمية من السلاسل والأقفال ثم ذهب إلى الهاتف وطلب إدنا هيملوك، ستلاقينا إدنا خلال عشرين دقيقة

عند تلك الزاوية في حانة وودي. ركبنا أنا وإيرني سيارتي، توقفنا لشراء خمسيتين من متجر للمشروبات، التقينا إدنا، ركبت معنا وانطلقنا إلى بيتي.

كانا ما يزالان في المطبخ يتعانقان كالمخابيل. لكن حالما رأى إدنا نسي الشيطان أمر سيدتي الكبيرة، رماها كما يرمي سروالاً تحتياً متسخاً. تملك إدنا كل شيء، لم يرتكبوا أي أخطاء عندما صنعوها.

«لماذا لا تشربان أنتما الاثنان وتتعارفان؟» قال إيرني ووضع كأساً كبيرة من الويسكي أمام كل منهما.

نظر الشيطان إلى إيرني وقال: «هيه، أمي، أنت الرجل الذي وضعني في القفص، أليس كذلك؟»

قال إيرني: «انسَ، عفا الله عما سلف».

«كالجحيم!» أشار بإصبعه إلى إيرني وانطلق خط من اللهب واختفى إيرني.

ابتسمت إدنا ورفعت كأس الويسكي، كشر الشيطان، رفع كأسه وازدردها، قال: «شيء رائع! من اشتراه؟».

«ذلك الرجل الذي غادر الغرفة منذ لحظة» قلت.

«أوه».

شرب هو وإدنا كأساً أخرى ونظرا إلى بعضهما، ثم تحدثت سيدتي الكبيرة إليه:

«أبعد عينيك عن تلك المتسكعة!».

«أي متسكعة؟».

«هي!».

«اشربي شرابك واخرسي فحسب!».

أشار بإصبعه إلى سيدتي الكبيرة، صدر صوت قرقعة بسيط واختفت، ثم نظر إليّ:

«وماذا لديك لتقوله؟».

«أوه، أنا الرجل الذي أتى بمقص الأسلاك، ألا تذكر؟ أنا هنا لتوصيل رسائل صغيرة وجلب المناشف، وغير ذلك..».

«بالتأكيد تشعر شعوراً جيداً لاستعادتي قدراتي الفائقة».

قلت: «أصبحوا في متناول اليد، لدينا مشكلة انفجار سكاني بأية حال».

كان يحدق بإدنا، كانت عيناهما مغلقتين حتى إنني كنت قادراً على رفع واحدة من خمسيتي الويسكي. أخذت الخمسية وركبت سيارتي وعدت إلى الشاطئ ثانية. كانت زوجة إيرني ما تزال جالسة في الغرفة الخلفية، فرحت لرؤية الخمسية الجديدة صببت كأسين من الشراب.

«من هو الولد الذي حبسته في القفص؟» سألت.

«أوه، إنه ظهير يلعب في الدرجة الثالثة في واحدة من الكليات المحلية، يحاول أن يلتقط بعض الفكة».

«أنت بالتأكيد لديك نهدان لطيفان» قلت.

«أتظن ذلك؟ لم يقل إيرني شيئاً عن نهدي».

«اشربي، هذه ويسكي جيدة».

انزلقت بجانبها، لديها أشياء بدينة جيدة، عندما قبلتها، لم تقاوم.

«لقد تعبت من هذه الحياة، لطالما كان إيرني مخادعاً رخيصاً. هل لديك عمل جيد؟» قالت.

«أوه نعم. أنا رئيس موظفي الشحن في درومبو ويسترن».

«قبّلني ثانية» قالت.

اقتربت بيسر وغطيت نفسي بالغطاء.

«إذا عرف إيرني، فسيقتلنا» قالت.

«لن يعرف، لا تقلقي».

«أنت تضاجع بطريقة عظيمة، لكن لمَ أنا؟».

«لا أفهم».

«أقصد ما الذي جعلك تفعلها؟».

«أوه، الشيطان جعلني أفعلها».

أشعلت سيجارة واستندت إلى الوراء، نفثت ونفخت حلقات كاملة من الدخان. نهضت وذهبت إلى الحمام وخلال دقيقة سمعت صوت الماء في المرحاض.

سطو

كانت واحدة من الغرف الخارجية في الطابق الأول. تعثرت بشيء أظن أنه كان مسنداً للقدمين، ارتطمت بطاولة كي لا أقع.

قال هاري: «هذا صحيح، أيقظ سكان المنزل برمتهم».

قلت: «انظر، ما الذي نفعله بالدخول إلى هنا؟».

«أخفض صوتك اللعين!».

«هاري، هل عليك أن تستمر بإطلاق الشتائم؟».

«من أنت؟ لغوي لعين؟ نحن هنا من أجل المال والجواهر».

لم يعجبني هاري؛ كان مجنوناً يدخل ويخرج من مستشفى المجانين. بين ذلك وزمن العمل أمضى ثلاثة أرباع أعوام نضجه في الاحتجاز. هو أخبرني بذلك، لم يكن لدي الكثير من المقاومة.

قال: «هذا البلد اللعين، هناك الكثير من الخُرق الأغنياء يحصلون على لمال بسهولة بالغة»، ثم اصطدم بشيء ما وقال: «اللعنة!».

«مرحباً؟ ما هذا؟» سمعنا صوت رجل قادم من الأعلى.

«نحن في ورطة»، قلت. شعرت بالعرق يتقاطر من تحت إبطي.

قال هاري: «لا، هو في ورطة».

«مرحباً» قال الرجل في الأعلى.

«من هناك تحت؟».

«هيّا» قال لي هاري.

تبعته وهو يصعد الدرج، كان هناك رواق، وضوء قادم من إحدى الغرف، تحرك هاري بسرعة صامتاً ثم دخل الغرفة، كنت خلفه. كانت غرفة نوم، رجل وإمرأة في سريرين منفصلين.

وجه هاري مسدسه الماجنوم ٣٨ على الرجل وقال: «حسناً يا رجل، إذا كنت لا تريد أن تطير خصيتاك، فابق هادئاً، أنا لا أمزح».

كان الرجل في الخامسة والأربعين من العمر، وجهه قوي وضخم، ملامحه تنبي بأنه شق طريقه منذ وقت طويل، أما زوجته فهي في الخامسة والعشرين تقريباً، شقراء، شعرها طويل، جميلة، بدت مثل إعلان لشيء ما.

«اخرج من بيتي» قال الرجل.

قال لي هاري: «هيه، هل تعرف من يكون؟».

«لا».

«إنه توم ماكسون؛ مذيع النشرة الجوية الشهير، القناة السابعة. مرحباً توم».

«اخرج من هنا **الآن**» صاح ماكسون.

مد يده والتقط الهاتف. «أيها العامل».

هرع هاري وصفعة على صدغه بعقب مسدسه الـ ٣٨، سقط ماكسون على السرير. أعاد هاري الهاتف إلى الخطاف.

«أيها الأوغاد، لقد آذيته! أيها الأوغاد الجبناء الحقراء!» صاحت الشقراء.

كانت ترتدي قميص نوم أخضر فاتحاً. مشى هاري وقطع واحدة من شيالات الكتف، اختطف واحداً من نهدي المرأة وأخرجه، «لطيف، أليس كذلك؟» قال لي، ثم صفعها على وجهها بقسوة.

«خاطبيني باحترام أيتها العاهرة» قال هاري، مشى وجلس مديراً ظهره لتوم ماكسون وقال: «وأنت، قلت لك إني لا أمزح».

استعاد ماكسون وعيه، قال: «لديك المسدس، هذا كل ما لديك».

«أيها الأحمق، هذا كل ما أحتاج إليه، سأحصل الآن على بعض المساعدة منك ومن عاهرتك أو فالأمر سيزداد سوءاً».

«أيها الغلام الرخيص!» قال ماكسون.

«فقط ثابر على ذلك، ثابر على ذلك. سترى» قال هاري.

«أنت تظن أنني خائف من زوج من الرؤوس الرخيصة؟».

«إذا لم تكن كذلك، فعليك أن تكون».

«من هو صديقك؟ ماذا يفعل؟».

«هو يفعل ما أقول له».

«مثل ماذا؟».

«مثل، إيدي، اذهب وقبّل تلك الشقراء».

«اسمع، دع زوجتي جانباً».

«وإذا صرخت، فسأضع رصاصة في أحشائك. لا أمزح. هيّا إيدي، قبّل الشقراء».

كانت الشقراء تحاول أن تمسك بشريطة الكتف المقطوعة بإحدى يديها، قالت: «لا... أرجوك».

«أنا آسف يا سيدتي، عليّ أن أفعل ما يقوله لي هاري».

أمسكت بها من شعرها ووضعت شفتي على شفتيها. دفعتني، لكنها لم تكن قوية. لم أقبّل امرأة بهذا الجمال من قبل.

«حسناً إيدي، هذا يكفي».

ابتعدت، مشيت ووقفت بالقرب من هاري، قال: «لماذا إيدي؟ ما هو هذا الشيء الذي يبرز من مقدمتك؟»، لم أجب.

تابع هاري: «انظر يا ماكسون، زوجتك منحت رجلي انتصاباً! كيف بحق الجحيم سنتمكن من القيام بأي عمل هنا؟ لقد أتينا من أجل المال والجواهر».

«أنتما أيها الغلامان تتسببان لي بالغثيان. أنتما لستما بأفضل من يرقتين».

«وماذا لديك؟ أخبار الساعة السادسة، ما هو الأمر العظيم في ذلك؟ جذب سياسي وجمهور غبي، أي شخص يمكنه أن يقرأ الأخبار، أنا أصنع الأخبار».

«أنت تصنع الأخبار؟ ما الذي يمكنك فعله؟».

«أي قدر من الأرقام. آه، دعني أفكر. ماذا عن مذيع أخبار يشرب بولَ لصّ. كيف يبدو لك هذا؟».

«سأموت أولاً».

«لن تموت إيدي، اذهب وأعطني كأساً، هناك واحدة على الطاولة الجانبية، أعطني إياها».

قالت الشقراء: «اسمع، رجاء خذ نقودنا وجواهرنا، اذهب من فورك، ما حاجتنا إلى كل ذلك؟»

«إنه زوجك المدلل كثير الكلام يا سيدة، إنه يثير أعصابي».

جلبت لهاري الكأس فتح سحاب بنطاله وبدأ يتبول فيه. كانت كأساً طويلة لكنه ملأها حتى الحافة، أغلق السحاب وتوجه نحو ماكسون.

«الآن ستشرب بَولي يا سيد ماكسون».

«مستحيل أيها الوغد، سأموت قبل أن أفعل».

«لن تموت، ستشرب بولي كله».

«أبداً يا غلام».

أومأ هاري لي وقال: «إيدي، انظر إلى ذلك السيجار على الخزانة؟».

«نعم».

«اجلبه وأشعله، يوجد ولاعة هناك».

أخذت الولاعة وأشعلت السيجار، كان سيجاراً جيداً، نفخت عليه، إنه سيجاري الأفضل لم أحصل قط على مثيل له.

«يعجبك السيجار يا إيدي؟» سألني هاري.

«إنه عظيم يا هاري».

«حسناً، اقترب الآن من العاهرة وأخرج ذلك الثدي من تحت شريطة الكتف المحلولة. سأناول هذا المستمني الكأس المليئة ببَولي، ضع السيجار قرب حلمة ثدي السيدة، وإذا لم يشرب هذا المستمني كامل البول حتى آخر قطرة، أريدك أن تحرق الحلمة بذلك السيجار، أتفهم؟».

«فهمت».

مشيت وأخرجت ثدي السيدة ماكسون، شعرت بالدوار من النظر إليه، لم أرَ قطّ شيئاً مثل ذلك. ناول هاري توم ماكسون كأس البول،

نظر ماكسون إلى زوجته وأمال الكأس وبدأ يشرب، كانت الشقراء ترتجف، انتابني شعور جيد لدى إمساكي بثديها، كان البول الأصفر ينزل في حلق مذيع الأخبار، توقف لحظة عند المنتصف، بدا عليه الإعياء.

قال هاري: «اشربه كلّه، هيّا، إنه جيد حتى آخر قطرة».

وضع ماكسون الكأس على شفتيه وشرب الباقي، سقطت الكأس من يده.

«ما زلت أظن أنكما زوج من الأوغاد» قال ماكسون لاهثاً.

ما زلت واقفاً هناك ممسكاً بثدي الشقراء، انتزعته مني وقالت: «توم، هلاّ تتوقف عن مقاومة هؤلاء الرجال؟ أنت تفعل أكثر الأمور حماقة».

«أوه، لاعبي الرابحين، إيه؟ هل لهذا السبب تزوجتني؟ لأني كنت الرابح؟».

«بالطبع تزوجتكَ لهذا السبب أيها الغبي».

قال هاري: «أاظر إلى بطنك السمين، هل تظن أنها تزوجتك من أجل جسدك؟».

«لدي شيء ما؛ لهذا أنا الأول بين مذيعي الأخبار، أنت لا تفعل هذا مصادفة».

قال هاري: «لكنها لو لم تتزوج الأول، لكانت تزوجت الثاني».

«لا تستمع إليه يا توم» قالت الشقراء.

قال ماكسون: «حسناً، أعرف أنك تحبيني».

«شكراً يا أبتِ» قالت الشقراء.

«حسناً يا نانا».

قال هاري: «نانا، يعجبني هذا الاسم؛ أنيق أناقة مؤخرة، هذا ما يناله الأغنياء في حين ننال نحن الحقيرات من النساء».

«لماذا لا تنضم إلى الحزب الشيوعي؟» سأل ماكسون.

«يا رجل، أنا لا أهتم بالانتظار قروناً من أجل شيء لن ينجح في النهاية، أريده الآن».

قلت: «اسمع يا هاري، كل ما نفعله هو الوقوف وإجراء المحادثات مع هؤلاء الناس، هذا لا يفيدنا في أي شيء، لا أهتم بما يفكرون به، دعنا نحصل على الغنيمة ونهرب. كلما أطلنا البقاء فقدنا الحماس».

أجاب: «الآن إيدي، هذا أول شيء مفيد أسمعك تقوله منذ خمس أو ست سنوات».

قال ماكسون: «لا أهتم، أنت سيئ التغذية وعديم القوة، لو لم أكن هنا لكنتم بالكاد موجودين. إنك تذكرني بالناس الذين يغتالون السياسيين والقادة الروحيين، إنهم أسوأ أنواع الجبناء، أسهل شيء يمكن فعله مع أدنى موهبة متاحة يأتي من الكراهية والحسد والضغينة والمرارة والحماقة، يأتي من الدرك الأسفل في سلم الإنسانية، إنه نتن وتنبعث منه رائحة كريهة ويجعلني أشعر بالعار لانتمائي إلى السلالة نفسها».

قال هاري: «يا فتى، كان ذلك خطاب، حتى البول لم يستطع منع تدفق الهراء منك، أنت روث مدلل. أنت تدرك كم من البشر على هذه الأرض من دون حظ! بسبب مكانهم وطريقة ولادتهم؛ لأنهم لم يتلقّوا تعليماً ولم يملكوا أي شيء ولن يملكوا مستقبلاً وما من أحد يهتم، وأنت تتزوج أفضل جسد يمكنك إيجاده، جيلك ملعون».

قال ماكسون: «خذ غنيمتك واذهب، لديكم أنتم الأوغاد جميعاً بعض الأعذار».

قال هاري: «أوه انتظر، كل شيء محسوب، نحن نفعل الآن. أنت لا تفهم».

قالت الشقراء: «توم، أعطهما المال والجواهر، دعهما يذهبان، رجاء اترك القناة السابعة».

«ليس موضوع القناة السابعة، نانا، الموضوع هو أن أجعلهم يعرفون، عليَّ أن أجعلهما على علم».

قال هاري: «إيدي، تفحص الحمام، اجلب شريطاً لاصقاً».

نزلت إلى الصالة ووجدت الحمام، يوجد في الصيدلية بكرة عريضة من الشريط اللاصق، كنت متوتراً لا أعرف ما الذي كان ينوي هاري فعله، جلبت الشريط إلى غرفة النوم، كان هاري ينزع شريط الهاتف من الجدار، قال لي: «حسناً، أغلق القناة ٧».

فهمت. أغلقت فمه جيداً.

«الآن، شدّ اليدين إلى الخلف» قال هاري.

توجه نحو نانا، أخرج ثدييها الاثنين ونظر إليهما وبصق في وجهها، مسحت البصاق بغطاء السرير.

قال: «حسناً، أغلق الآن فمها ودع اليدين حرتين، يعجبني القليل من القتال».

ثبّتُها، قلب هاري توم ماكسون على جنبه في سريره وجعله بمواجهة نانا. ذهب وأشعل سيجار ماكسون وقال: «أظن أن ماكسون على حق، نحن سمكة مصاصة ويرقات، نحن الوحل وربما الجبناء».

سحب من السيجار سحبة جيدة، وقال: «إنها لك إيدي».

«هاري، لا أستطيع».

«يمكنك، أنت لا تعرف كيف؛ لأنك بلا تعليم، أنا معلمك، إنها لك، الأمر بسيط».

«افعلها أنت يا هاري».

«لا. ستعني لك أكثر».

«لماذا؟».

«لأنك الغبي البسيط».

تقدمت نحو سريرها. كانت جميلة جداً وأنا شديد القبح كما لو أن جسدي كان مطلياً بطبقة من الخراء.

قال هاري: «هيا، نلها أيها الغبي».

«هاري، أنا خائف، هذا ليس صحيحاً، إنها ليست لي».

«إنها لك».

«لماذا؟».

«لنعدّها حرباً، لقد ربحنا الحرب ويجب أن نقتل رجالهم ومؤرخيهم الكبار وأبطالهم كلهم. لم يبق سوى النساء والأطفال، نقتل الأطفال ونرسل العجائز إلى الطريق. نحن الجيش القاهر، نساؤهم كل ما بقي وهنّ الأكثر جمالاً، كلهن ملك لنا، إنها لك، إنها عاجزة، خذها».

تقدمت وسحبت الأغطية كما لو أنني تقدمت وكنت فجأة في السماء وأمامي هذا المخلوق السحري، نزعت قميص نومها.

«ضاجعها يا إيدي».

كانت الثنيات كلها قطعاً هناك وفي الخلف مثل سماوات وأنهار

جميلة تتدفق، أردت فقط أن أنظر، كنت خائفاً. وقفت، قرن الشيء هذا قدامي. لم يكن لدي أي حق.

قال هاري: «هيّا، ضاجعها مثلها مثل أي امرأة؛ إنها تلعب الألعاب وتكذب وستصبح عجوزاً يوماً ما، وستحل محلها فتيات شابات وستموت أيضاً. ضاجعها وهي ما تزال هنا».

انجذبت عند أكتافها محاولاً ضمها، كانت تستجمع القوة من مكان ما، دفعتني وأعادت رأسها إلى الخلف، كانت يائسة تماماً.

«اسمعي يا نانا، أنا حقاً لا أريد أن أفعل هذا لكنني أفعله. أنا آسف، لا أعرف ما الذي عليَّ فعله، أريدك وأشعر بالخزي».

أخرجت صوتاً من خلال اللاصق الذي على فمها ودفعتني؛ كانت جميلة جداً وأنا لا أستحق ذلك نظرت في عيني وقالت ما كنت أفكر به: ليس لدي حق إنساني.

قال هاري: «هيا، أقحمه فيها ستحبه».

«لا يمكنني فعله هاري».

«حسناً، شاهد القناة السابعة إذن».

مشيت وجلست بجانب توم ماكسون على سريره، كان يصدر أصواتاً صغيرة من خلال اللاصق. تقدم هاري نحو السرير الآخر وقال: «حسناً، أيتها العاهرة، أظن أن عليَّ تلقيحك».

قفزت نانا من السرير وركضت نحو الباب، أمسك بها هاري من شعرها، أدارها وصفعها بقسوة على وجهها، سقطت أمام الجدار وانزلقت، جذبها إلى الأعلى من شعرها وضربها ثانية. أصدر ماكسون صوتاً أعلى من خلال شريطه اللاصق وقفز، ركض ونطح هاري برأسه. لطمه هاري على ظاهر رقبته، ووقع ماكسون.

«ألصق كاحلَي البطل» قال لي.

ربطت قدمي ماكسون ودفعته إلى سريره.

قال هاري: «أجلسه، أريده أن يرى».

«اسمع يا هاري، لنخرج من هنا، كلما أطلنا البقاء...».

«اخرس!».

جر هاري الشقراء إلى السرير خلع سروالها ورماه على ماكسون، وقع السروال عند قدميه، تأوه وبدأ يناضل. لكمته لكمة قوية في بطنه.

خلع هاري بنطاله وسرواله التحتي، وقال للشقراء: «عاهرة، سأغرق هذا الشيء عميقاً فيك وستشعرين به ولن يكون باستطاعتك فعل شيء، ستأخذينه كله وسأقذف عميقاً في داخلك!»، أمسك بها من ظهرها وهي تقاوم، ضربها مجدداً بشدة وقع رأسها إلى الخلف. فرد ساقيها وحاول أن يدخل قضيبه بصعوبة.

«استرخي أيتها الكلبة، أعلم أنك تريدينه! ارفعي ساقيك!».

ضربها بقسوة مرتين، ارتفعت الساقان.

«هذا أفضل أيتها العاهرة!».

وكز وواصل الوكز، وأخيراً ولج، أدخله وأخرجه ببطء، تأوه ماكسون وتحرك ثانية، أغمدت لكمة أخرى في بطنه، بدأ هاري يمسك الإيقاع، تأوهت الشقراء من الألم.

«تحبينه، أليس كذلك أيتها العاهرة؟ إنه عنق ديك رومي أفضل بكثير مما منحك رجلك العجوز أليس كذلك؟ أتشعرين به يكبر؟».

لم أستطع تحمله، وقفت وأخرجت قضيبي وبدأت أستمني. كان

هاري يدك الشقراء بقوة كبيرة حتى رأسها كان يتنطط، ثم صفعها وأخرجه.

«ليس بعد أيتها العاهرة. أنا آخذ وقتي».

ذهب إلى حيث يجلس ماكسون.

«انظر إلى حجم ذلك الشيء، سأعود وأضعه فيها الآن وأقذف في داخلها، أيها الفتى تومي لن تكون قادراً على الممارسة مع نانا مندون التفكير بي، من دون التفكير بهذا».

وضع هاري قضيبه تماماً في وجه ماكسون، «وقد أدعها تمصه لي بعد أن أنتهي!»

عاد إلى السرير الآخر واعتلى الشقراء، صفعها ثانية وبدأ يضخ بوحشية.

«أنت أيتها الرخيصة العاهرة النتنة، سأقذف».

«أوه، اللعنة! أوه يا إلهي! أوه، أوه، أوه!».

سقط على نانا واضطجع، بعد لحظة أخرجه، ونظر إليّ قائلاً: «أنت واثق من أنك لا تريد القليل؟»

«لا شكراً هاري».

«انظر إلى نفسك أيها الأحمق، لا بد أنك متعب!».

ارتدى بنطاله ضاحكاً، وقال: «حسناً، أزل اللاصق عن يديها وكاحليها، سنخرج من هنا». ففككت وثاقها.

«لكن هاري، ماذا عن المال والجواهر؟».

«سنأخذ محفظته، أريد أن أخرج من هنا، أنا متوتر».

«لكن هاري، لنأخذ كل شيء».

«لا، المحفظة فقط، تفحص بنطاله وخذ المال فقط».

وجدت المحفظة، «يوجد فقط ٨٣ دولاراً هاري».

«نأخذها ونذهب. أنا متوتر، أشعر بشيء ما في الجو، علينا الذهاب».

«هراء، هاري، هذه ليست غنيمة يمكننا أن نأخذ كل شيء».

«قلت لك أنا متوتر. أشعر بأن هناك مشكلة قادمة، يمكنك البقاء، أنا سأغادر».

تبعته وهبطنا الدرج.

«ابن العاهرة سيفكر مرتين قبل أن يشتم أحداً ثانية» قال هاري.

وجدنا النافذة التي خلعناها كما هي، مشينا عبر الحديقة وخرجنا من البوابة الحديدية.

قال هاري: «امشِ مشية عادية، أشعلْ سيجارة وحاول أن تبدو طبيعياً».

«لِمَ أنت شديد التوتر، هاري؟».

«اخرس!».

مشينا مسافة أربع كتل بناء. كانت السيارة في مكانها، أخذ هاري العجلة وابتعدنا.

«إلى أين نحن ذاهبان؟» سألت.

«إلى مسرح النقابة».

«ما الذي يعرض؟»

«*جوارب حريرية سوداء*، مع آنيت هافن».

كان المكان في لانكيرشيم، ركنّا السيارة وخرجنا، اشترى هاري بطاقتين ثم دخلنا.

«فشار؟» سألت هاري.

«لا».

«أريد القليل».

«اشتر».

انتظر هاري إلى أن اشتريت بعض الفشار من الحجم الكبير. وجدنا بعض المقاعد بالقرب من الخلفية، كنا محظوظين فالفيلم على وشك أن يبدأ.

ظهرت في الأصل في مجلة هسلر، آذار ١٩٧٩.

شجاعة

مثل أي شخص يمكنني أن أقول لك: أنا لست رجلاً شديد الظرف. لا أعرف الكلمة، لطالما أعجبت بالنذل والمجرم وابن العاهرة، لا يعجبني الفتى الحليق ذو ربطة العنق والعمل جيد. أحبُّ الرجال اليائسين أصحاب الأسنان المكسورة والعقول المحطمة والسبل المعطلة. إنهم يثيرون اهتمامي. هم مفعمون بالمفاجآت والانفجارات، أحب أيضاً النساء الحقيرات، عاهرات يشتمن ويسكرن، بجوارب سائبة ووجوه ملطّخة بالماسكارا. أهتم بالشواذ أكثر من القديسين. أشعر بالاطمئنان مع المتبطلين؛ لأنني منهم. لا أحب القوانين والأخلاق والديانات والقواعد. لا أحب أن أكون صنيعة المجتمع.

ذات ليلة كنت أشرب مع مارتي، سجين سابق، في غرفتي. لم يكن لدي عمل ولست راغباً فيه. كل ما أردته هو أن أجلس بلا حذاء وأشرب النبيذ وأتحدث وأضحك إن أمكن ذلك. كان مارتي بليداً بعض الشيء، له يدا عامل، وأنف مكسور، وعينا خلد لا يرى بهما كثيراً لكنه كان يتدبر أمره.

قال مارتي: «تعجبني يا هانك، أنت رجل حقاً، أنت واحد من الرجال الحقيقيين القلة الذين أعرفهم».

«نعم» قلت.

«لديك الشجاعة».

«نعم».

«كنت مرة عامل منجم شديد البأس..».

«نعم؟».

«نشب شجار بيني وبين رجل، استعملنا مقابض الفؤوس، كسر ذراعي اليسرى بأولى تلويحاته، تقدمت وضربته على رأسه اللعين، وعندما عاد إلى وعيه من تلك الضربة، كان قد فقد عقله؛ كنت قد سحقت دماغه، لقد وضعوه في مستشفى المجانين».

«هذا صحيح» قلت.

«اسمع، أود مقاتلتك».

«لك الضربة الأولى. هيّا، اضربني».

كان مارتي جالساً على كرسي أخضر ذي مسند مستقيم. مشيت نحو المغسلة لأصب كأساً أخرى من زجاجة النبيذ، التفت وسحقته على وجهه بيمناي، انقلب إلى الوراء في الكرسي، نهض وتقدم نحوي، لم أكن أتطلع إلى الجهة اليسرى. نال مني على الجبهة وأوقعني أرضاً، ملأت كيساً ورقياً بالقيء والاستفراغ، خرج مع قنينة وقام إلى ركبتي وقذفها. انحنى مارتي وظهر مع الكرسي خلفي. كان على رأسي عندما فتحت صاحبة البيت الباب؛ شقراء شابة حسنة الشكل في عشرينياتها. لم أستطع قطّ أن أفهم ما الذي كانت تفعله في إدارة مكان مثل ذلك، وضعت الكرسي أرضاً.

«اذهب إلى غرفتك مارتي».

بدا مارتي خجلاً كفتى صغير، عبر الصالة نحو غرفته، دخلها وأغلق الباب.

قالت لي: «سيد تشيناسكي، أريدك أن تعرف..».

قلت: «أريدك أن تعرف، هذا تافه».

«ما هو التافه؟».

«أنت لست من صنفي، لا أريد مضاجعتك».

قالت: «اسمع، أودّ أن أخبرك شيئاً، رأيتك الليلة الماضية تتبول في الساحة المجاورة، وإذا فعلت ذلك ثانية فسأرميك خارجاً، أحدهم كان يتبول في المصعد أيضاً؟ هل كان أنت؟»

«أنا لا أتبول في المصاعد».

«حسناً، رأيتك في الساحة الليلة الماضية. كنت أراقبُ، كنتَ أنت».

«الجحيم كان أنا».

«كنت ثملاً جداً فلم تعرف، لا تفعلها ثانية».

أغلقت الباب ورحلت، بعد بضعة دقائق كنت جالساً بهدوء أشرب نبيذاً، أحاول تذكر إذا ما تبولت في الساحة، وإذ يُقرع على الباب.

«ادخل» قلت.

كان مارتي: «عليَّ أن أخبرك شيئاً».

«بالتأكيد، اجلس».

سكبت لمارتي كأساً من النبيذ الحلو وجلس.

«أنا عاشق» قال.

لم أجب، لففت سيجارة.

«هل تؤمن بالحب؟» سأل.

«ينبغي عليّ ذلك، حصل لي مرة».

«أين هي؟».

«رحلت، ماتت».

«ماتت؟ كيف؟»

«من الشراب»..

«هي أيضاً تشرب كثيراً، إنها تثير قلقي؛ ثملة طوال الوقت لا يمكنها أن تتوقف».

«لا أحد منا يمكنه ذلك».

«أذهب إلى رابطة الفنون بصحبتها وهي ثملة، نصف الموجودين في رابطة الفنون في حالة من السكر، يمكنك أن تشم رائحة الدخان».

لم أجب.

«يا إلهي! إنها شابة! وأي جسد لها! أحبها يا رجل، أحبها حقاً».

«أوه، يا للجحيم! مارتي، إنه الجنس فحسب».

«لا، أحبها يا هانك، أنا أشعر بذلك بصدق».

«أظن أنه ممكن».

«يا رب! لقد أنزلوها إلى القبو، لا يمكنها أن تدفع الإيجار».

«القبو؟».

«نعم، يوجد غرفة هناك مع كل المراجل والهراء».

«من الصعب تصديق ذلك».

«نعم، إنها في الأسفل هناك. وأحبها يا رجل، ولا أملك أي مال لأساعدها به».

«هذا محزن، لقد عشت حالة مشابهة، إنه مؤلم».

«لو أستطيع أن أقف على قدمي، إذا قيّض لي أن أبقى في العربة عشرة أيام وأستعيد صحتي يمكنني الحصول على عمل في مكان ما، يمكنني مساعدتها؟».

«حسناً، أنت تشرب الآن، لو كنت تحبها، فستتوقف عن الشراب الآن حالاً».

«قسماً بالله سأفعل، سأسفح هذا الشراب في الحوض».

«لا تبالغ، مرر تلك الكأس إلى هنا فقط».

نزلت بالمصعد إلى الطابق الأول مع خمسية ويسكي رخيصة سرقتها من متجر سام للمشروبات قبل أسبوع، ثم نزلت الدرج نحو القبو حيث يوجد مصباح صغير يضيء في الأسفل. مشيت أبحث عن باب. أخيراً وجدت واحداً، لا بد أنها كانت الساعة الواحدة أو الثانية صباحاً، قرعت، فتح الباب قليلاً ووقفت امرأة رائعة، لم أكن أتوقع ذلك؛ شابة شقراء، شعرها ضارب إلى الحمرة، أقحمت قدمي بالباب، ثم دخلت، أغلقت الباب وتأملت المكان، لم يكن سيئاً على الإطلاق.

سألتني: «من أنت؟ اخرج من هنا».

«لقد حصلت على مكان ظريف هنا، يعجبني أكثر من مكان سكني».

«اخرج من هنا! اخرج! اخرج!».

أخرجت خمسية الويسكي من الكيس الورقي، نظرتُ إليها.

«ما اسمك؟» سألتها.

«جيني».

«اسمعي يا جيني، أين تضعين كؤوس الشراب؟».

أشارت إلى رفّ جداري، تقدمت وجاءت بكأسي ماء طويلتين، كان هناك مغسلة، وضعت القليل من الماء في كل منهما ثم تقدمت ووضعتهما. فتحت الويسكي ومزجتهما. جلسنا على حافة سريرها وشربنا. كانت صغيرة في السنّ وجذابة، لم أستطع تصديق ذلك. انتظرت الانفجار العصابي وشيئاً ذهانياً. بدت جيني طبيعية ومعافاة، لكنها أحبت الويسكي وشربت معي. عندما نزلت إلى هناك كنت مندفعاً بالحماس، ولم أعد أشعر بتلك الحماسة. أقصد، لو كانت امرأة مستهترة أو فيها شيء ما خلاعي أو كريه (شفة الأرنب أو شيء آخر)، لكنت شعرت بالإثارة أكثر. تذكرت قصة قرأتها مرة في مجلة ريسينغ عن حصان أصيل لم يتمكنوا من جعله يتزاوج مع إناث الخيل، فجلبوا له ما استطاعوا إيجاده من أجمل إناث الخيل. لكن الحصان كان يجفل مبتعداً، ثم خطرت فكرة لأحدهم بأن يلوث الفرس الجميلة بالطين فما كان من الحصان إلا أن اعتلاها في الحال، تفيد هذه النظرية بأن الحصان شعر بالوضاعة نحو الجمال برمته، وعندما كانت ملوثة بالطين، شعر على الأقل أنّه يساويها أو ربما يتفوق عليها. يمكن لعقول الأحصنة وعقول الرجال أن تكون متشابهة إلى حد كبير.

صبت جيني الكأس التالية وسألتني عن اسمي ومكان إقامتي. أخبرتها بأنني أسكن في الطوابق العليا من مكان ما ورغبت في تقاسم الشراب مع أحدهم فقط.

«رأيتك ذات ليلة في الـ Clamber-In منذ أسبوع، لقد كنت مسلياً جداً، جعلت الجميع يضحك، ودعوتهم إلى الشراب على حسابك».

«لا أتذكر».

«أنا أتذكر. هل يعجبك قميص نومي؟».

«نعم».

«لماذا لا تخلع بنطالك وتريح نفسك؟».

فعلت واستندت إلى السرير معها وبدأ يتهيّج ببطء شديد. أتذكر أنني أخبرتها بأن نهديها جميلان ومن بعدها لعقتهما ثم اعتليتُها. لكن شيئاً ما لم ينجح.

«أنا آسف» قلت.

«لا بأس، ما زلت معجبة بك». جلسنا نتحدث بغموض ونشرب الويسكي.

ثم نهضت وأطفأت الأنوار. شعرت بحزن شديد. تسلقت السرير واستلقت على ظهرها. كانت جيني دافئة مفعمة، استطعت أن أشعر بأنفاسها وشعرها على وجهي. أخذ قضيبي ينتصب ولكزتها به. شعرت بها تتناوله وترشده.

«الآن، الآن، ها هنا..». قالت.

كان جيداً وطويلاً بتلك الطريقة، انتهينا ونمنا. عندما استيقظت كانت ما تزال نائمة. نهضت كنت قد أنهيت ارتداء ملابسي عندما التفتت ونظرت إلي: «مرة أخرى قبل أن تذهب».

«حسناً».

خلعت ثيابي مجدداً وفعلتها معها. أدارت ظهرها لي وفعلناها ثانية بالطريقة نفسها، بعد أن بلغت الذروة اضطجعت مديرة لي ظهرها.

«هل ستأتي لرؤيتي ثانية؟» سألت.

«بالطبع».

«هل تعيش في الطابق الأعلى؟».

«نعم، ٣٠٩، يمكنني أن آتي لرؤيتك أو تأتين أنت».

«أفضّل أن تأتي أنت لتراني». قالت.

«حسناً» قلت. ارتديت ملابسي، فتحت الباب، أغلقته، صعدت الدرج، دخلت المصعد، وضغطت على الزر رقم ٣.

بعد أسبوع، كنت أحتسي النبيذ مع مارتي مساءً. تحدثنا عن عدة أمور غير مهمة، ثم قال: «يا مسيح! أشعر بالفظاعة».

«ماذا ثانية؟».

«نعم، فتاتي جيني. أخبرتك عنها».

«نعم، تلك التي تعيش في القبو، أنت تحبها».

«نعم، لقد طردوها من القبو؛ فهي لم تستطع أن تؤمن أجرة القبو».

«أين ذهبت؟».

«لا أعرف، لقد رحلت. سمعت أنهم طردوها وما من أحد يعلم ماذا فعلت وإلى أين ذهبتْ. ذهبتُ إلى لقاء الرابطة الفنية ولم أجدها. أنا مريض هانك، أنا مريض حقاً. أحببتها. أكاد أفقد عقلي».

لم أجب.

«ماذا يمكنني أن أفعل يا رجل؟ أنا ممزق حقاً».

«لنشرب نخب حظها يا مارتي، نخب حظها الحسن».

شربنا جرعة طويلة من أجلها.

«لقد كانت جيدة هانك، عليك أن تصدقني، لقد كانت رائعة».

«أصدقك مارتي».

بعد أسبوع طرد مارتي لأنه لم يدفع إيجاره، وحصلت على عمل في مصنع لتغليف اللحوم، ثمة حانتان مكسيكيتان في الشارع، أحببت تلك الحانات. بعد العمل، كانت تصدر عني رائحة الدم، لكن ما من أحد كان ليهتم. ما إن أستقل الحافلة عائداً إلى غرفتي حتى تبدأ تلك الأنوف بالانتصاب وتصير لي سحنة القذر، وبذلك يعود لي الشعور بالوضاعة ثانية، ذلك ما أعانني.

قاتل مأجور

كان روني على موعد مع الرجلين في تلك الحانة الألمانية في منطقة البحيرة الفضية. كانت الساعة السابعة والربع مساءً. جلس على الطاولة يشرب البيرة الغامقة بمفرده. كانت النادلة شقراء، لها مؤخرة جميلة، وبدا نهداها كما لو أنهما سيندلقان من قميصها.

أحب روني الشقراوات. كان الأمر أشبه بالتزحلق على الجليد أو التزلج؛ الشقراوات كن التزحلق والبقية كن التزلج. كما أن للشقراوات رائحة مختلفة، لكن النساء كن مصدراً للإزعاج، وبالنسبة إليه غالباً ما فاق الإزعاج الفرح. بكلمات أخرى، كان الثمن غالياً جداً.

يحتاج الرجل إلى امرأة بين الحين والآخر لإثبات أن بإمكانه الحصول على واحدة إذا لم يكن لأي سبب آخر. الجنس كان أمراً ثانوياً، لم يكن عالَم العاشق ولن يكون أبداً.

٢٠:٧. لوّح لها طالباً بيرة أخرى. أتت مبتسمة تحمل البيرة قبالة نهديها، لا يمكنك إلا أن تقع في حبها بهذا الشكل.

«هل يعجبك العمل هنا؟» سألها.

«أوه، نعم، ألتقي بالكثير من الرجال».

«رجال ظرفاء؟».

«ظرفاء وأنواع أخرى من الرجال».

«كيف يمكنك التمييز بينهم؟».

«يمكنني ذلك من نظرة».

«أي نوع من الرجال أنا؟».

ضحكت: «أوه، ظريف، بالطبع».

«لقد فزت ببقشيشك». قال روني.

٧:٢٥. لقد قالوا عند الساعة السابعة، حينئذٍ جال ببصره، قدم كيرت ومعه رجل، جلسا، لوح كيرت طالباً إبريقاً، قال: «الكباش لا تستحق هذا القرف، أنفقت عليها أكثر من خمسمائة دولار هذا الموسم».

«هل تظن أن بروثرو انتهى؟».

«نعم، إنها النهاية بالنسبة إليه» تابع كيرت: «أوه، هذا بيل. بيل، هذا روني».

تصافحا. وصلت النادلة ومعها القنينة.

قال روني: «يا سادة، إنها كاثي».

«أوه» قال بيل.

«أوه، نعم» قال كيرت.

ضحكت الساقية وتمايلت.

قال روني: «بيرة جيدة. أنا هنا أنتظر منذ الساعة السابعة، كان لا بد أن أعلم».

قال كيرت: «ليس عليك أن تسكر».

سأل بيل: «هل هو موثوق؟».

أجاب كيرت: «لقد حظي بأفضل التوصيات».

قال بيل: «انظر، لا أريد مهزلة، إنها نقودي».

سأل روني: «كيف لي أن أعلم بأنك لست قذراً؟».

«كيف لي أن أعلم بأنك لن تهرب بالـ ٢٥٠٠ دولار؟».

«*ثلاثة آلاف*».

«قال كيرت ألفين ونصف».

«أنا رفعتها للتو، لا تعجبني».

«لا أهتم كثيراً بمؤخرتك أيضاً، لدي رغبة كبيرة بإلغائه».

«لن تفعل. أنتما لن تفعلا أبداً».

«هل تفعله بانتظام؟».

«نعم، وأنت؟».

قال كيرت: «حسناً يا سادة، لا أهتم بما تقبلون به، لقد حصلت على ألف دولار مقابل العقد».

قال بيل: «أنت المحظوظ، كيرت».

قال روني: «نعم».

«كل واحد خبير في ما يخصه». قال كيرت وهو يشعل سيجارة.

«كيرت، كيف لي أن أعرف أن هذا الرجل لن يهرب بالثلاثة آلاف؟».

«لن يفعل أو إنه سيكون بلا عمل؛ هذا العمل الوحيد الذي يستطيع القيام به».

«هذا رهيب». قال بيل.

«ما هو الرهيب في ذلك؟ أنت في حاجة إليه أليس كذلك؟»

«حسناً، نعم».

«هناك أناس آخرون في حاجة إليه أيضاً، يقولون إن كل رجل يجيد أمراً ما. وهو يجيد هذا».

وضع شخص بعض النقود في صندوق الموسيقى، جلسوا يستمعون إلى الموسيقى ويحتسون البيرة.

قال روني: «من المحتمل أن أعطيه لتلك الشقراء، أود لو أمنحها قضيبي لتمصه ست ساعات».

قال كيرت: «أنا كنت سأفعل أيضاً لو كنت أملكه».

قال بيل: «لنحصل على إبريق آخر، أنا متوتر».

«ليس هناك ما تقلق بشأنه» قال كيرت، لوح طالباً إبريقاً آخر من البيرة.

«تلك الخمسمائة دولار التي رميتها على الكباش، سأستعيدها عند آنيتا، هم يفتحون في ٢٦ كانون الأول، سأكون هناك».

سأل بيل: «وهل سيشارك شو في اللقاء؟».

«لم أقرأ الأوراق لكني أتخيل بأنه سيفعل، لا يمكنه التوقف؛ إنه مدمن».

قال روني: «توقف لونجدن».

«حسناً، عليه ذلك، كان عليهم أن يربطوا العجوز إلى السرج».

«لقد ربح آخر سباق».

«كامبوس جر الحصان الآخر».

قال بيل: «لا أظنك تستطيع التغلب على الأحصنة».

«الذكي يمكنه التغلب على أي شيء يضعه في باله» قال كيرت. «لم أعمل قط في حياتي».

قال روني: «نعم، لكنني سأعمل الليلة».

قال كيرت: «كن على ثقة بأن تعمل عملاً جيداً حبيبي».

«أنا دائماً أعمل جيداً».

كانوا هادئين يشربون البيرة عندما قال روني: «حسناً أين المال اللعين؟».

قال بيل: «ستحصل عليه، ستحصل عليه، من حسن حظك أني جلبت معي خمسمائة دولار إضافية».

«أريده الآن كله».

«أعطه المال يا بيل، وأعطني مالي».

كانت النقود جميعها من فئة المئة، عدّها بيل تحت الطاولة، حصل روني على حصته أولاً ثم كيرت وعدّها.

سأل روني: «أين هو؟».

«هنا» قال بيل، مسلماً إياه مغلفاً «العنوان والمفتاح في الداخل».

«كم يبعد؟».

«ثلاثين دقيقة، اسلك طريق فينتورا السريع».

«هل لي أن أسأل سؤالاً؟».

«طبعاً».

«لم؟».

«لم؟».

«نعم، لم؟».

«هل يهمك؟».

«لا».

«إذن لماذا تسأل؟».

«الكثير من البيرة، أظن».

قال كيرت: «ربما من الأفضل أن ترحل».

قال روني: «أريد إبريقاً آخر».

«لا، ارحل».

«حسناً، اللعنة، حسناً».

دار روني حول الطاولة وخرج في حين كان كيرت وبيل ينظران إليه. مشى في الخارج كانت ليلة مقمرة مليئة بالنجوم، اتجه إلى سيارته وقادها، تفحص الطريق بحذر والعنوان بحذر أكبر، توقف بعد مسافة كتلة سكنية ونصف ثم عاد. نجح في فتح المفتاح بقفله ودخل، كان هناك جهاز تلفاز يعمل في الغرفة الأمامية. مشى على السجادة.

«بيل؟» سأل أحدهم، كان الصوت قادماً من الحمام، «بيل؟» قالت ثانية، دفع الباب حيث كانت تجلس في البانيو؛ شابة، شديدة الشقرة والبياض. صرخت، وضع يديه حول رقبتها ودفعها تحت الماء، تبللت أكمامه، رفسته وكافحت بعنف. كان الأمر سيئاً جداً؛ لأنه كان ينال منها في الحوض وهي ترتدي ثيابها. كان عليه أن يمسك بها في الأسفل، أخيراً سكنَت وتركها. ثيابه لم تكن ملائمة تماماً لكنها على الأقل كانت جافة، احتفظ بالمحفظة رغم أنها رطبة وخرج من هناك، مشى نحو سيارته وقادها.

هذا ما قتل ديلان توماس

ركبت الطائرة مع صديقتي وبرفقتنا مهندس الصوت والمصور والمنتج. آلة التصوير تعمل. علق مهندس الصوت ميكروفونات صغيرة لي ولصديقتي. كنت في طريقي إلى سان فرانسيسكو لإلقاء الشعر؛ أنا الشاعر هنري تشيناسكي؛ أنا عميق وعظيم وشجاع. نعم، لدي شجاعة عظيمة.

تفكر القناة رقم ١٥ في إنتاج فيلم وثائقي عني. ارتديت قميصاً نظيفاً جديداً، صديقتي الرائعة نشيطة، في بداية ثلاثينياتها، نحاتة، وشاعرة، ومدهشة في الحب. تظاهرت بعدم الاكتراث عندما وجهت آلة التصوير إلى وجهي في حين كان المسافرون يراقبون والمضيفون يبتهجون. كانت الأرض مستلبة من الهنود وتوم ميكس ميت. تناولت فطوراً ممتازاً.

لم أستطع التوقف عن التفكير بالسنوات التي قضيتها في غرف مفردة. لم يكن يقرع بابي الإف. بي. أي. أو مالكات البيوت لمطالبتي بإيجار الشهر السابق. عشت مع الجرذان والفئران. زحف دمي والنبيذ على الجدران في عالم لم أستطع فهمه وما زلت. فبدلاً من أن أعيش حياتي مثلهم، تضورت جوعاً وهرعت إلى عقلي واختبأت. أنزلت الستائر كلها وحدقت بالسقف. كنت أخرج إلى الحانة لأتسول الشراب. أوصلت الرسائل، تعرضت للضرب في الأزقة من قبل رجال أصحاء وآمنين، من قبل رجال أغبياء ومرتاحين. فزت ببعض المشاجرات لأنني

كنت مجنوناً. أمضيت سنوات من دون نساء، عشت على زبدة الفستق والخبز البائت والبطاطا المسلوقة. كنت الأحمق، المغفل، الأبله. أردت أن أكتب لكن الآلة الكاتبة كانت دائماً مرهونة، استسلمت وسكرت.

أقلعت الطائرة وبدأ التصوير. تحدثت مع صديقتي. وصلت المشروبات. كان بحوزتي الشّعر، وامرأة رائعة، بدأت الحياة تتعافى، لكن احترس من الفخاخ، يا تشيناسكي، احترس من الفخاخ. قاتلتَ قتالاً طويلاً لتضع العالم على السكة التي أردتها، لا تسمح لمتزلفين تافهين ولآلة تصوير أن يجعلوك تحيد عن الطريق. تذكر ما قاله جيفرز: حتى أقوى الرجال يمكنهم أن يقعوا في الشرك، كما مشى الله مرة على الأرض.

حسناً، أنت لست الله ياتشيناسكي. استرخ واشرب شراباً آخر، ربما كان عليك أن تقول شيئاً ما لمهندس الصوت؟ لا، دعه يتعرق، دعهم جميعهم يتعرقون. إنه فيلمهم الذي يحترق. تحققْ من حجم السحاب فأنت تطير مع مديرين تنفيذيين من شركة IBM، من تكساكو، من... أنت تركب مع العدو، في المصعد خارج المطار سألني رجل: «لم هذه الكاميرات كلها؟ ماذا يحدث؟».

«أنا شاعر».

«شاعر؟..ما اسمك؟».

«جارسيا لوركا» قلت...

يبدو الشاطئ الشمالي مختلفاً؛ هم شبان يلبسون الجينز وينتظرون هنا وهناك في حين أنا رجل مسن، أين ذلك الشاب الذي كان منذ عشرين سنة؟ أين جولتين جو؟ كنت في سان فرانسيسكو منذ ثلاثين سنة وتجنبت الشاطئ الشمالي وأنا الآن أتحدث منه. أرى وجهي على

الملصقات في كل مكان. كن حذراً؛ بدؤوا امتصاصك، إنهم يطلبون دمك.

ها نحن هنا نمشي أنا وصديقتي مع ماريونيت. إنه لأمر لطيف أن تكون مع ماريونيت؛ لديه عينان في غاية الرقة والفتيات الصغيرات أوقفنه في الشارع وتحدّثن إليه. الآن، أظن أن بإمكاني البقاء في سان فرانسيسكو لكن أعرف أنه من الأفضل العودة إلى لوس أنجلس مع البندقية المعلقة على النافذة الأمامية للدار. هم ربما اصطادوا الله لكن تشيناسكي حصل على نصيحة من الشيطان.

غادر ماريونيت. دخلت مع صديقتي مقهى البيت، لم يسبق لي أن دخلته. حصلنا على فنجان بستين سنتاً، إحراز كبير. لا يستحقه. الأولاد يجلسون يرشفون قهوتهم وينتظرون حدوثه لكنه لن يحدث.

مشينا في الشارع إلى المقهى الإيطالي، عاد ماريونيت مع صحافي من *سان فرانسيسكو كرونيكل*، ذكر في مقالته الصحفية بأنني أفضل كاتب قصة قصيرة بعد همنجواي. قلت له إنه مخطئ، لا أعلم من هو الأفضل من أيام هيمنجواي لكن بالتأكيد ليس ه. تش، أنا لست مبالياً ولم أبذل قصارى جهدي، إنني متعب.

قدمت السيدة الحساء والسلطة وطبقاً من الرافيولي وزجاجة أخرى من النبيذ السيئ. لم نطلب وجبة أساسية لأننا لم نكن جائعين، الكلام غير دقيق، نحن لم نرهق أنفسنا لنكون رائعين، ربما لا نستطيع أن نكون، غادرنا المقهى.

مشيت خلفهم صاعداً التلة وبرفقتي صديقتي الجميلة. تقيأت النبيذ الأحمر السيئ والسلطة والحساء والرافيولي. أنا دائماً أتقيأ قبل القراءة. إنها إشارة حسنة. وصلنا الحافة، شعرت وكأن السكين في أحشائي وأنا

أصعد التلة. وضعونا في غرفة وتركوا لنا بعض زجاجات البيرة. ألقيت نظرة على قصائدي؛ أنا رهيب. استفرغت في المغسلة، استفرغت في الحمام، استفرغت على الأرض. أنا جاهز.

الجبان الأكبر منذ يفتوشينكو. أمشي على المنصة والجو حار مقرف تشيناسكي. فتحت الثلاجة خلفي وتناولت زجاجة بيرة. وضعتها وبدأت القراءة، يجب عليهم دفع دولارين مباشرة، إنهم أناس رائعون، بعض منهم عدائيون منذ البداية: ثلث منهم يكرهونني، وثلث يحبونني، والثلث الباقي لا يعلمون ما الذي يجري. في جعبتي قصائد أعلم أنها ستزيد العداء، إنه من الجيد أن يكون لديك عداوات؛ فهي تبقي الرأس منتشياً.

«حسناً لورا داي، رجاءً هلاّ وقفت؟ هلاّ وقفت يا حبيبتي رجاء؟» فعلت وهي تلوح بيديها.

بدأت أهتم بالبيرة بدلاً من الشعر وأتحدث بين القصائد أشياء تافهة وجافة ورتيبة. أنا ه. بوجارت، أنا هيمنجواي، أنا حرٌّ مثير للغثيان.

«اقرأ القصائد يا تشيناسكي!» صرخوا.

إنهم على حق. أحاول أن أبقى مع القصائد لكنني كنت عند باب الثلاجة أغلب الوقت أيضاً، هذا ما يجعل العمل أسهل، وهم قد دفعوا ثمنها أصلاً. أخبروني مرة أن جون كيج صعد إلى المنصة، أكل تفاحة ومضى، وحصل على ألف دولار. حسبت أنه سيكون عندي بعض البيرة القادمة.

عندما انتهيت أحاطوا بي وبيديهم أتوجرافات، لقد أتوا من أوريغون ولوس أنجلس وواشنطن. فتيات صغيرات جميلات؛ هذا ما قتل ديلان توماس.

عدت إلى الطابق العلوي، شربت البيرة وتحدثت إلى لورا وجو كريسياك. قرعوا على باب الطابق السفلي. «تشيناسكي! تشيناسكي!» نزل جو ليوقفهم. أنا نجم روك، أخيراً أنزل وأتعرف إليهم، كان بينهم شعراء جوعى ومحررون، بعضهم دخل غرفتي من دون علمي. حسناً، حسناً، أقفل الباب!

نحن نشرب، أ. ل. ماسانتيك سقط في الحمام وجرح رأسه. شاعر رائع جداً، هذا الـ أ. ل.

كلهم يتحدثون. إنها حالة سكر قذرة، ضرب محرر مجلة صغيرة أحدهم. لم يعجبني، حاولت فصلهم، انكسرت النافذة، دفعت الجميع نحو الدرج ما عدا لورا. انتهت الحفلة لكننا أنا وحبيبتي لورا ما زلنا فيها، انفعلنا كعادتنا على أمور تافهة، طلبت منها أن تهدأ، وفعلت.

نهضت بعد ساعات كانت واقفة في منتصف الغرفة، قفزت من السرير ولعنتها.

«سأقتلك، يا ابن العاهرة!».

كنت سكران وهي فوقي على أرضية المطبخ، يسيل الدم على وجهي، عضتني محدثة ثقباً في ذراعي، لا أريد أن أموت، لا أريد أن أموت! اللعنة على العشق! ركضت إلى المطبخ سكبت نصف زجاجة يود على يدي. رمتْ بناطيلي وقمصاني من الحقائب، أخذت بطاقة طيارتها، هي في طريقها ثانية، انتهينا إلى الأبد ثانية. عدت إلى سريري واستمعت إلى صوت كعبيها وهي تنزل التلة.

في طيارة العودة يبدأ التصوير، سيتعلم هؤلاء الرجال من القناة ١٥ درساً عن الحياة. ركزت آلة التصوير عدستها على الفجوة في ذراعي مع لقطة مضاعفة على يدي، قلت: «أيها السادة، لا يمكن فعل هذا من

دون أنثى، قطعاً لا يمكننا»، هزوا رؤوسهم موافقين جميعاً: مسؤول الصوت، والمصور، والمنتج، وبعض المسافرين. شربت برصانة طوال الطريق متلذذاً بحزني، كما يقولون. ماذا يمكن لشاعر أن يفعل دون الألم؟ هو يحتاج إليه كما يحتاج إلى الآلة الكاتبة.

بالطبع، صنعت حانة في الطائرة، لا بد أن أفعل ذلك بأية طريقة. لحقت بي آلة التصوير إلى الحانة. تفرق الفتية في الحانة تاركين المشروبات وتحدثوا عن استحالة فعل ذلك من دون أنثى.

كنت أتقاضى أربعمئة دولار مقابل إلقاء الشعر.

«لماذا آلة التصوير؟» سأل الفتى الذي بجانبي.

«أنا شاعر».

«شاعر؟ ما اسمك؟».

«ديلان توماس». قلت.

أفرغت كأس شرابي بجرعة واحدة، حدقت مباشرة أمامي، أنا في طريقي.

بلا عنق وسيئ كالجحيم

كانت لدي معدة متقلبة، وقد التقطَتْ لي صوراً وأنا أتعرق في منطقة الانتظار حيث كنت أراقب فتاة ممتلئة الجسم تلبس فستاناً قرمزياً قصيراً وحذاء ذا كعب عالٍ، وتصوب بندقية نحو صف من البط البلاستيكي. قلت لفيكي إني سأعود وطلبت من المحاسبة كأساً مع قليل من الماء، تناولت حبوب الألكاسيلتزر. عدت لأجلس وأتعرق.

كانت فيكي سعيدة. كنا سنخرج من البلدة، أحببت فيكي لكونها سعيدة، وهي تستحق سعادتها. ذهبت إلى مرحاض الرجال وتغوطت جيداً، وعندما خرجت كانوا ينادون على المسافرين. كانت طائرة مائية صغيرة بمروحتين، تحمل ستة أو سبعة أشخاص فقط، كنا آخر الصاعدين.

جلست فيكي في مقعد مساعد الطيار وأجلسوني على حافة ذلك الشيء المطوي على الباب، انطلقنا! حرية، وحزام مقعدي لا يعمل. قلت لشخص ياباني ينظر إليّ: «حزام مقعدي لا يعمل» كشر لي سعيداً، قلت له: «اخرس حبيبي»، واصلت فيكي التلفّت إلى الخلف والابتسام؛ كانت سعيدة، طفلة مع الحلوى، امرأة في الخامسة والثلاثين من عمرها في طائرة مائية.

بعد اثنتي عشرة دقيقة ضربنا الماء. لم أصطخب، خرجت ووضحت

لي فيكي الأمر قائلةً: «صممت الطيارة في عام ١٩٤٠، ثمة فجوات في أرضيتها. يوجه السكان بواسطة مقبض على السطح»، «أنا خائف» قلت لها، قالت: «أنا خائفة أيضاً».

اعتمدت على فيكي في ما يخص المعلومات؛ فأنا لم أكن أجيد التحدث إلى الناس. بعد ذلك ركبنا الحافلة، تعرقنا وقهقهنا ونظرنا إلى بعضنا. كانت المسافة من آخر خط الحافلة إلى الفندق حوالي كتلتي بناء، أبقتني فيكي على اطلاع: «هناك مكان للأكل، ومتجر للخمور من أجلك، هناك حانة، ومكان للأكل، ومتجر آخر للخمور..».

كانت الغرفة جيدة جداً، في المقدمة، فوق الماء تماماً. اشتغل التلفاز بطريقة غامضة ومحيرة، تقلبت على السرير وراقبت في حين كانت فيكي تخرج الحاجيات، قالت: «أوه، أحب هذا المكان، ألا تحبه؟».

«نعم».

نهضت ونزلت إلى الشارع وجلبت البيرة والثلج، وضعت الثلج في المغسلة وغطست فيه البيرة. شربت اثنتي عشرة زجاجة، وتشاجرنا شجاراً صغيراً بعد الزجاجة العاشرة، شربت آخر اثنتين وذهبت لأنام.

عندما استيقظت وجدت فيكي ترسم على غطاء صندوق من الثلج اشترته للتو، كانت طفلة رومانسية، لكني أحببتها لذلك، نقشت على الصندوق «تموز ١٩٧٢، آفالون كاتالينا» كانت تخطئ في التهجئة، وأنا أيضاً كنت أخطئ، ثم رسمتني وكتبت تحت الرسم: «بلا رقبة وسيئ كالجحيم»، كما رسمت سيدة وكتبت: «هنري يعرف المؤخرة الجيدة حين يراها»، وفي دائرة: «فقط الله يعلم ماذا يفعل بأنفه»، و«لتشيناسكي

ساقان جميلتان»، ورسمت أيضاً تشكيلة من الطيور والشموس وأشجار النخيل والمحيط.

سألتني: «هل ترغب في تناول الفطور؟» لم أحظ بالدلال من قبل نسائي السابقات، أحببت أن أكون مدللاً، شعرت أنني أستحق الدلال. خرجنا واخترنا مكاناً معقولاً يمكنك فيه أن تأكل على طاولة في الخارج، سألتني ونحن نتناول الفطور: «هل فزت حقاً بجائزة البوليتزر؟»

«أي جائزة بولتزر؟».

«قلت لي ليلة البارحة إنك فزت بجائزة البوليتزر خمسمائة ألف دولار، وأنك تلقيت برقية قرمزية بشأنها».

«برقية قرمزية؟».

«نعم، قلت إنك تفوقت على نورمان ميلر[١]، وكينيث كوتش[٢]، وديان واكوفسكي[٣]، وروبرت كريلي»[٤].

تمشينا بعد الفطور، كان المكان برمته لا يزيد عن خمس أو ست كتل بنائية، وأغلب الموجودين من عمر السابعة عشرة، جلسوا ينتظرون بفتور. كان بينهم سياح وكبار سن مصممون على الاستمتاع بوقتهم. حدقوا بغضب في واجهات العرض ومشوا يخطون على الأرصفة مصدرين أشعتهم: لدي مال، لدينا مال، لدينا مال أكثر مما لديك،

(١) صحافي أمريكي.
(٢) شاعر وكاتب مسرحي أمريكي.
(٣) شاعرة أمريكية.
(٤) كاتب وشاعر أمريكي.

نحن أفضل منك، لا شيء يقلقنا، كل شيء هراء لكن نحن لسنا كذلك ونعرف كل شيء، انظر إلينا.

بقمصانهم الزهرية والخضراء والزرقاء، وأجسادهم المتعفنة البيضاء المربوعة، وسراويلهم القصيرة المخططة، عيون بلا عيون، وأفواه بلا أفواه، مشوا طويلاً مفعمين بالألوان كما لو أن اللون قد يوقظ الموت ويحوله إلى حياة. كانوا استعراضاً لكرنفال من العفن الأمريكي ولم تكن لديهم فكرة عن البشاعة التي ابتلوا بها أنفسهم.

تركت فيكي وصعدت إلى الغرفة. انحنيت على الآلة الكاتبة ونظرت من النافذة. لقد كان مستحيلاً؛ أردت طوال أيام حياتي أن أكون كاتباً والآن لدي فرصة لكنها لا تأتي. لم يكن هناك حلبات ومصارعة ومباريات ملاكمة أو سيّدات شابات. لم يكن هناك حتى أي بصيرة. لقد كنت محطماً، لم أستطع أن أكتب ولو كلمة واحدة، ولقد حصروني في الزاوية، كل ما كان عليك فعله قد مات. لكن لطالما تخيلتها بشكل مختلف. أقصد، الكتابة. ربما كانت فيلماً لليزلي هيوارد. أو قراءة عن حياة هيمنجواي أو د. ه. لورانس. أو جيفرز. باستطاعتك أن تبدأ الكتابة بكل أنواع الوسائل المختلفة. ثم كتبت فترة والتقيت ببعض الكتاب الجيدين والسيئين؛ لهم جميعاً أرواح دمى، أدركت ذلك عندما اجتمعت معهم في إحدى الغرف، يوجد كاتب عظيم واحد فقط كل خمسمائة سنة، وأنت لم تكن هذا الكاتب، وهم غالباً لم يكونوه، لقد كنا محطمين.

شاهدت على التلفاز مجموعة من الأطباء والممرضات يتقيؤون مشاكلهم العاطفية، لم يكن كلامهم مؤثراً، لا عجب أنهم كانوا يعانون من مشاكل. كل ما فعلوه كان كلاماً وجدالاً وعهراً وبحثاً، ذهبت إلى النوم.

أيقظتني فيكي وقالت: «أوه، لقد أمضيت وقتاً رائعاً!».

«*حقاً*؟».

«التقيت رجلاً في المركب أخبرني أنه يأخذ الناس إلى مراكبهم ذهاباً وإياباً. كانت الأجرة خمسين سنتاً فقط. ركبت معه ساعات وهو يأخذ الناس، لقد كان رائعاً».

قلت: «شاهدت بعض الأطباء والممرضات واكتأبت».

«ركبنا مدة ساعات، أعطيته قبعتي ليرتديها، وانتظرني ريثما أتيت بشطيرة ابالون. سلخ ساقه عندما وقع من دراجته النارية الليلة الماضية».

«الأجراس تقرع هنا كل خمس عشرة دقيقة، هذا بغيض».

«أغلب الموجودين في المراكب كانوا من السكيرين الكبار في السن، بعضهم كانت برفقته نساء شابات يرتدين الجزمات، وبعضهم كان معه شبّان. إنهم عجائز فاسقون سكيرون».

لو كانت لدي قدرة فيكي على جمع المعلومات لاستطعت كتابة شيء ما. يجب أن أجلس وأنتظرها لتأتي إلي. يمكنني التلاعب بها وعصرها عندما تأتي لكنني لم أستطع إيجادها. كل ما يمكنني الكتابة عنه هو شرب البيرة، والذهاب إلى مضمار السباق، والاستماع إلى الموسيقى السيمفونية. هذه ليست حياة معطلة فحسب بل لا تحتمل أيضاً. كيف أصبحت محدوداً جداً؟ لطالما كانت لدي الشجاعة، ما الذي حصل لشجاعتي؟ هل الرجال يشيخون حقاً؟

«بعد أن نزلت من المركب رأيت عصفوراً تحدثت إليه، هل لديك مانع من أن أشتري طائراً؟».

«لا، ليس لدي مانع، أين هو؟».

«بعد مبنى واحد فقط، هل يمكننا الذهاب لرؤيته؟».

«لم لا؟».

ارتديت ثيابي ونزلنا. هنا كان التموج من الأخضر مع القليل من الحبر الأحمر المسفوح عليه. لم يكن بالأمر الكثير حتى بالنسبة إلى الطائر. لكنه لم يتبرز كل ثلاث دقائق مثل البقية. كان ذلك ممتعاً.

«ليس لديه رقبة مثلك تماماً؛ لهذا السبب أريده، إنه طائر حب وجهه مخملي».

عدنا بطائر الحب ذي الوجه المخملي في قفص، وضعناه على الطاولة، أطلقت عليه اسم «آفالون»، جلست فيكي وتحدثت إليه: «آفالون، مرحباً آفالون... آفالون، آفالون، مرحباً آفالون... آفالون، آفالون..»، أدرت جهاز التلفاز.

جلست مع فيكي في الحانة، قلت لها إني سأحطم الحانة. اعتدت أن أحطم الحانات في سالف الأيام، أما الآن فأكتفي بالحديث عن تحطيمها، بدأت الفرقة العزف، نهضت ورقصت، كان من السهل أن ترقص رقصاً معاصراً، كل ما عليك فعله هو أن تركل ذراعيك وساقيك في أي اتجاه، سواء صلبت رقبتك أم حركتها كابن عاهرة فهم سيظنون أنك عظيم، يمكنك أن تغش الناس. رقصت وانشغلت بشأن الآلة الكاتبة.

طلبت المزيد من الشراب، أمسكت برأس فيكي ونبهتها للساقية: «انظري كم هي جميلة! أليست جميلة؟»، تقدم إرني هيمنجواي بلحيته التي تشبه الجرذ الأبيض، قلت له: «إرني، ظننت أنك فعلتها ببندقية»، ضحك همنغواي، سألته: «ماذا تشرب؟».

«أنا أشتري». أجاب.

اشترى لنا إيرني شراباً وجلس، بدا أنحف قليلاً، قلت له: «لقد كتبت مراجعة سيئة عن كتابك الأخير، آسف».

قال إيرني: «حسناً، كيف تجد الجزيرة؟».

«إنها من أجلهم». قلت.

«يعني؟».

«الجمهور ثروة؛ كل شيء يسرهم: مخاريط الآيس كريم، وحفلات الروك، والتزلج، والروحانيات، والرأسمالية، والشيوعية، والتطهر، والتعري الهزلي، وبوب هوب، والتزلج، والصيد، والقتل، والبولينج، والنقاش، وأي شيء، هم لا يتوقعون الكثير ولا يحصلون على الكثير، إنهم عصابة كبيرة».

«ذلك خطاب إلى حد ما».

«ذلك جمهور إلى حد ما».

«أنت تتحدث مثل شخصية من شخصيات هكسلي[1] huxley المبكرة».

«أظن أنك مخطئ، أنا يائس».

«لكن يصبح الرجال مثقفين رغبة في ألا يكونوا يائسين».

«يصبح الرجال مثقفين لأنهم خائفون، وليسوا يائسين».

«والفرق بين الخوف واليأس هو..».

---

(١) ألدوس ليونارد هوكسلي كاتب إنجليزي.

أجبت: «بينجو[1]! مثقف!... شرابي..».

بعد قليل حدثت هيمنجواي عن برقيتي القرمزية، ثم غادرت أنا وفيكي وعدنا إلى طيرنا وسريرنا.

قلت: «إنه بلا قيمة، معدتي قاسية وتحتوي على تسعة أعشار روحي».

قالت فيكي: «جرب هذا» وناولتني كأس ماء والكاسيلتزر.

«اذهبي وتمشي، لا يمكنني فعلها اليوم».

خرجت فيكي وعادت مرتين أو ثلاث مرات لتطمئن عليّ.

كنت بخير. خرجت وأكلت وعدت بسلتين تحتوي كل منهما ست زجاجات من الشراب، كما وجدت فيلماً قديماً لهنري فوندا، وتيرون باور، وراندولف سكوت. ١٩٣٩. كانوا جميعاً شباناً. إنه أمر لا يصدق؛ كان عمري حينئذٍ سبعة عشر عاماً، لكن بالطبع، لقد تجاوزت الأمر بشكل أفضل منهم، فأنا ما زلت حياً، شاهدت فيلم «جيسي جيمس»[2]. كان التمثيل سيئاً جداً. عادت فيكي وحدثتني عن أشياء رائعة ثم تمددت بجانبي على السرير وشاهدنا جيسي جيمس عندما كان بوب فورد على وشك أن يصوب على جيسي (تيرون بوار) في ظهره، تأوهت فيكي وذهبت إلى الحمام وتوارَت. بعد أن انتهى المشهد قلت لها: «انتهى كل شيء، يمكنك المجيء الآن».

كان ذلك أهم ما حدث في رحلتنا إلى كاتالينا. لم تحدث أمور أخرى، ذهبت فيكي قبل أن نغادر إلى غرفة التجارة وشكرتهم لمنحها

---

(١) تستخدم للتعبير عن الدهشة في حالات النجاح المفاجئة.

(٢) فيلم ويسترن من إخراج هنري كينج.

هذا الوقت الممتع، كما شكرت المرأة في خزانة ديفي جونز واشترت هدايا لأصدقائها ليتا ووالتر وافا وابنها مايك وشيئاً لي ولآني وللسيد والسيدة كورتي، بالإضافة إلى بعض الهدايا لآخرين نسيتُ أسماءهم.

ركبنا المركب ومعنا الطائر في القفص وصندوق الثلج وحقيبتنا وآلتنا الكاتبة الكهربائية، كانت فيكي حزينة؛ لأن الرحلة انتهت. عندما التقيت هيمنجواي في الشارع صافحني مصافحة الهبيين وسألني إذا ما كنت يهودياً وإذا ما كنت سأعود، أخبرته ليس لدي إجابة على السؤال الأول ولا أعرف إذا ما كنت سأعود؛ فالأمر يتوقف على السيدة، أخبرني أنّه لا يقصد التدخل في شؤوني الشخصية، فما كان مني إلا أن قلت له: أنت بالتأكيد تتفوه بكلام مضحك. انحنى المركب إلى اليسار وتأرجح فقفز رجل شاب بدا كما لو أنه تلقى مؤخراً علاجاً كهربائياً ومشى ممرراً أكياساً ورقية مخصصة للقيء. فكرت، ربما أفضل ما في الطائرة المائية تلك الاثنتا عشرة دقيقة فقط والناس بدرجة أقل بكثير، بدأت تظهر مدينة سان بيدرو ببطء، المدنية، والضباب، والدخان، والقتل أظرف بكثير، المجانين والسكيرون هم آخر القديسين الذين ظلوا على الأرض.

لم أمتط حصاناً قطّ ولم يسبق لي أن لعبت البولينج، أو أن رأيت جبال الألب السويسرية، نظرت فيكي بابتسامتها الطفولية. إنها امرأة رائعة. كان وقتاً حصلت فيه على القليل من الحظ، مددت ساقي ونظرت أمامي. شعرت أنني في حاجة إلى التغوط ثانية وقررت أن أقلل من الشرب.

كيف يحبّ الميّت؟

١

يقع الفندق قرب قمة تلة، منحدراً بما يكفي ليعينك على هبوط التلة جرياً إلى متجر الخمور والعودة بالزجاجة، ومرتفعاً بما يكفي ليجعل الجهد الذي تبذله مستحقاً العناء. طُلي الفندق مرة بلون أخضر طاووسي متوهج، لكن الآن بعد أمطار لوس أنجلس الغريبة التي تبدد كل شيء، لا يكاد الأخضر الدافئ يرى، مثله مثل الناس الذين عاشوا في الداخل.

كيف دخلت إلى هناك؟ أو لماذا غادرت المكان السابق؟ لا أكاد أذكر. ربما بسبب ثمالتي وعملي القليل ومشاجرات منتصف الصباح الصاخب مع سيدات الشارع. لا أقصد بمشاجرات منتصف الصباح الساعة العاشرة والنصف صباحاً بل الساعة الثالثة والنصف بعد منتصف الليل إذا لم تتصل الشرطة منهية الأمر بملحوظة صغيرة توضع تحت الباب، مكتوبة دائماً بقلم رصاص على ورقة ممزقة ومسطرة: «*سيدي العزيز، سيتوجب علينا أن نطلب منك بأسرع وقتٍ ممكن*». حدث مرة أن انفضت إحدى المشاجرات في منتصف ما بعد الظهيرة، كنسنا الزجاج المكسور ووضعناه في أكياس ورقية وأفرغنا المنافض، في اليوم التالي كنت أعمل في الأعلى عندما سمعت صوت مفتاح يدور في الباب، فوجئت من مواصلتي الترويح في الداخل، وقف المدير

الصغير، عمره يناهز الخامسة والأربعين عاماً، بلا شعر ما عدا القليل ربما حول أذنيه أو خصيتيه. نظر إليها في الأسفل، تقدم وأشار «*أنت اخرجي من هنا!*». توقفت عن المداعبة وتسطحت أنظر إليه بطرف عيني عندئذٍ أشار نحوي «*وأنت أخرج من هنا أيضاً!*»، التفت وغادر مغلقاً الباب بهدوء وهبط التلة. شغلت الآلة ثانية وودعناها وداعاً جيداً.

كنت في الفندق الأخضر الباهت، ومعي حقيبتي الممتلئة بالأسمال، وحيداً في ذلك الحين، لكن كنت أملك نقود الإيجار. كنت متعقلاً، وحصلت على غرفة تطل على الشارع في الطابق الثالث. كان هناك هاتف بمتناولي في الصالة، وطبق حار في النافذة، ومغسلة كبيرة، وثلاجة جدارية صغيرة، وكرسيان، وطاولة، وسرير، والحمام أسفل الصالة. رغم أن المبنى قديم جداً إلا أنه حوى مصعداً، كان في وقت ما مكاناً راقياً. أول ما فعلته هو الحصول على زجاجة، وبعد الشرب وقتل صرصورين شعرت أنني في المكان المناسب، ثم ذهبت إلى الهاتف وحاولت الاتصال بسيدة شعرت أنها قد تساعدني، لكن يبدو أنها في الخارج تساعد شخصاً آخر.

٢

في نحو الساعة الثالثة صباحاً قرع أحدهم الباب، ارتديت برنس الحمام الممزق وفتحت الباب، كانت امرأة في برنسها، قلت لها: «نعم؟ نعم؟»

«أنا جارتك، ميتزي، أسكن تحت الصالة، رأيتك اليوم عند الهاتف».

«نعم؟» قلت.

أخرجت من خلف ظهرها باينت ويسكي وأرتني إياه، كان من النوع الجيد.

«ادخلي» قلت.

غسلت كأسين، فتحت الباينت. «سادة أو مخلوط؟».

«نحو ثلثين من الماء».

وقفت أمام مرآة صغيرة موضوعة فوق المغسلة تلف شعرها بالبكرات، ناولتها كأساً من الويسكي وجلست على السرير.

«رأيتك في الصالة، استطعت من نظرة أن أعرف أنك ظريف، ليس الجميع هنا ظرفاء، وأنا أستطيع معرفتهم».

«قالوا لي إني وغد».

«لا أصدق».

«ولا أنا».

أنهيت شرابي، ارتشفت القليل من كأسها؛ لذا مزجت لي كأساً أخرى. تحدثنا قليلاً، شربت كأسي الثالثة ثم نهضت ووقفت خلفها.

«*أوووووه! فتى أحمق!*».

لكمتها.

«أوووتش!! أنت وغد!».

كانت تمسك لفافة شعر بإحدى يديها. جذبتها، قبّلت فم تلك السيدة المسنة الرقيقة القصيرة كان ليناً ومفتوحاً. كانت جاهزة. وضعتُ كأسها في يدها، وحملتها إلى السرير، أجلستها وقلت لها: «اشربي» فعلت. تقدمت ومزجت لها كأساً أخرى. لم أكن أرتدي شيئاً تحت

ردائي. انفتح الرداء وبرز الشيء. يا إلهي! أنا قذر، أنا أخرق، أنا في الأفلام، أفلام العائلة المستقبلية ٢٤٩٠ ميلادية. كنت أعاني من صعوبة الامتناع عن الضحك من نفسي، متجولاً هنا وهناك معلقاً إلى تلك الشوكة الحمقاء. كانت بالفعل الويسكي التي أردت، والقصر الذي أردت في التلال، والحمام البخاري، وأي شيء سوى هذه. جلسنا، قبّلتها ثانية، أدك لساني العاشق للسجائر في حلقها، أخرجته لأتنفس. فتحت رداءها وظهر نهداها الفقيران، نزلت بفمي وأمسكت بواحد منهما. تمدد وتدلى مثل بالون مملوء حتى منتصفه بهواء بائت، تشجعت ولعقت الحلمة وهي تأخذ الشوكة بيدها وتقوس ظهرها، ارتمينا إلى الخلف على السرير الرخيص وأرديتنا علينا، أخذتها هناك.

٣

اسمه «لو»، كان سجيناً وعامل منجم، عاش في طوابق الفندق السفلية. يتمثل عمله الأخير في فرك القدور في مصنع للحلوى، فقد هذا العمل مثل بقية أعماله السابقة بسبب الخمر. انتهى تأمين البطالة وها نحن كالجرذان بلا مكان للاختفاء، جرذان إيجارهم مستحق الدفع، بطونهم جائعة، قضبانهم قست، وأرواحهم تعبت، بلا تعليم وبلا مهنة، غائطهم قاس، كما يقولون، هذه أمريكا لم نرغب بالكثير ولم نحصل عليه. غائط قاس.

قابلت «لو» أثناء الشرب في حفلة أقيمت في غرفتي، الناس يروحون ويغدون، جاء الجميع وكان من بينهم الهندي، ديك، الذي سرق زجاجات ويسكي وخبأها في خزانته بحجة أنها تمنحه شعوراً بالأمان؛

لذا كنا عندما لا نتمكن من الحصول على الشراب، نلجأ إليه بوصفه سبيلنا الأخير.

لم أكن أجيد سرقة السلع لكنني تعلمت خدعة من الآبام؛ لصّ نحيل مشورب عمل مرة خادماً في مستشفى. ترمي اللحوم وما هو ثمين في كيس كبير ثم تغطيها بالبطاطا، يزن البقال المقادير ويحاسبك على البطاطا. لكنني كنت أفضل الاعتماد على ديك. أمثال ديك في ذلك الحي كثر، فصاحب متجر الخمور كان واحداً منهم. كنا نجلس وعندما ينتهي آخر مشروب يكون أول تحرك لي هو إرسال شخص إلى ديك، أقول له: «اسمي هانك، قل لديك، أرسلني هانك من أجل باينت على الحساب، وإذا ما كان هناك أي سؤال فليتصل بي»، «حسناً، حسناً» وسيذهب الرجل، وكنا ننتظر، نتذوق الشراب، ندخن ونتمشى ونكاد أن نجن، ثم سيعود الرجل ويقول: «قال ديك لا! إن بطاقتك لم تعد صالحة!»

«هراء» سأصرخ.

وكنت سأنهض غاضباً غير حليق بعينين حمراوين وأقول: «*اللعنة*، هراء، *تلك الأم*».

سأكون غاضباً غضباً صادقاً، لا أعرف من أين أتى. سأصفق الباب، آخذ المصعد أنزل وأنزل تلك التلة وأمضي... أم قذرة، تلك الأم القذرة! وسأدخل متجر الخمور.

«حسناً ديك».

«مرحباً هانك».

«أريد خُمسيتين! (وأسمّي علامة تجارية ذات جودة)، وعلبتي سجائر، وسيجارين، لنرى.... وعلبة مكسرات، نعم».

سيصف ديك الأشياء أمامي ثم سيقف هناك، ويقول:

«حسناً، هل ستدفع لي؟».

«ديك، أريد هذه الأشياء على الفاتورة».

«أنت مدين لي أصلاً بـ ٥٠.٢٣ دولاراً، كنت تدفع لي القليل أسبوعياً، أتذكر تحديداً ليلة كل جمعة، لكنك لم تعد تدفع لي شيئاً منذ ثلاثة أسابيع. أنت لست مثل أولئك المتبطلين، أنت راق وأثق بك. هل يمكنك أن تدفع دولاراً بين الحين والآخر؟».

«اسمع يا ديك، لا أشعر برغبة في الجدال، ستضع هذه الأشياء في كيس أو ستعيدها؟».

ثم أدفع الزجاجات والأشياء نحوه وأنتظر نافثاً من سيجارة كما لو أنني أملك العالم. لم يعد لدي أي رقي يفوق ما لجندب. لم أشعر بشيء سوى الخوف من أنه سيتصرف منطقياً ويعيد الزجاجات إلى الرف ويقول لي اذهب إلى الجحيم. لكن وجهه سيكون هادئاً وسيضع الأشياء في الكيس ثم سأنتظر إلى أن ينتهي من جمع فاتورة جديدة. سيعطيني الحساب، سأومئ وأخرج. كان للشراب دائماً مذاق أفضل في ظل تلك الظروف. وعندما كنت أدخل مع الأشياء من أجل الفتية والفتيات، كنت ملكاً حقيقياً.

ذات ليلة جلست مع «لو» في غرفته، كان قد دفع إيجاره منذ أسبوع، أما إيجاري فكان مستحق الدفع. كنا نشرب نبيذاً حلواً ونلف سجائرنا بوساطة آلة «لو» للف السجائر، كانت تخرج السجائر منها بالغة الجودة. كان الأمر هو أن تحافظ على أربعة جدران من حولك، إذا كانت لديك أربعة جدران فأنت محظوظ. في حين عندما تكون في الشارع فأنت لست كذلك؛ أنت ملك لهم، هم يملكونك بالفعل. لماذا

تسرق شيئاً لا تستطيع طهوه؟ كيف ستضاجع شيئاً إذا ما كنت تعيش في زقاق؟ كيف ستنام إذا كان الجميع يشخرون في إرسالية الخلاص الاتحادية؟ ويسرقون حذاءك؟ وتفوح رائحتك؟ ومجنون؟ لا يمكنك أيضاً أن تستمني، أنت في حاجة إلى أربعة جدران. أعط الرجل أربعة جدران بارتفاع معقول وله أن يملك العالم.

لذا كنا نشعر ببعض القلق. بدت كل الخطوات بالنسبة إلينا مثل خطوات صاحبة العقار، كانت مالكة شديدة الغموض، شقراء، شابة، لم يتمكن أحد من مضاجعتها، عاملتها ببرود شديد؛ لأنني ظننت أنها ستأتيني. أتت وقرعت الباب لكن من أجل الإيجار فقط، هي متزوجة لكننا لم نرَ زوجها قطّ. عاشا هناك ولم يعيشا. كنا على الممشى، تصورنا أنه إذا ما استطعنا أن نضاجع صاحبة الملك فإن مشاكلنا ستنتهي. كنا في أحد المباني التي تُعَدّ فيها مجامعة النساء أمراً بديهياً ومسألة واجب تقريباً، لكنني لم أتمكن من نيلها وهذا ما جعلني أشعر بعدم الأمان. إذن جلسنا هناك ندخن سجائرنا الملفوفة، ونشرب نبيذنا الحلو والجدران الأربعة تذوب وتتهاوى. كان الحديث هو الأفضل في تلك الأوقات. تتحدث بوحشية، تشرب نبيذك. كنا جبناء؛ لأننا رغبنا في الحياة، لم نرغب في أن نحيا بصورة شديدة لكننا مع ذلك أحببنا الحياة.

قال «لو»: «حسناً، أظن أني وجدتها».

«نعم؟».

«نعم».

سكبت كأساً أخرى من النبيذ.

«نحن نعمل معاً».

«*بالتأكيد*».

«الآن أنت متحدث جيد، تروي الكثير من القصص المثيرة، لا يهم إذا ما كانت حقيقية أم لا».

«هي حقيقية».

«أقصد، هذا لا يهم. أنت مفوّه. الآن هذا ما سنفعله، ثمة حانة راقية في الشارع، تعرفها، حانة مولينوس. اذهب إلى هناك، كل ما تحتاجه هو المال من أجل أول كأس، سنتشارك على ذلك، اجلس واشرب مشروبك وابحث عن رجل يضيء وشيعة. لديهم بعض البدناء هناك، تلمح الرجل وتذهب إليه وتجلس قربه وتبدأ بالهراء، سيعجبه وسيشتري لك الشراب طوال الليل، سيشرب طوال الليل، دعه يواصل الشرب، وعندما يحين وقت الإغلاق، تأخذه إلى شارع الفارادو ثم غرباً من بعد الزقاق. قل له إنك ستجد له فتاة شابة، قل له أي شيء لكن خذه غرباً، وسأكون منتظراً في الزقاق مع هذه».

مدّ «لو» يده خلف الباب وأخرج هراوة بيسبول كبيرة جداً، أظن أنها تزن على الأقل ٤٢ أونصة.

«يا يسوع المسيح! لو، ستقتله!».

«لا، لا، لا يمكنك أن تقتل سكيراً، أنت تعرف ذلك، ربما إذا كان متعقلاً سأقتله، لكن السكير يسدد ضربة قاسية فقط، نأخذ المحفظة ونفترق في طريقين».

«اسمع لو، أنا رجل لطيف، أنا لست كذلك».

«أنت لست رجلاً لطيفاً، أنت ابن العاهرة الأكثر وضاعة بين من عرفتهم في حياتي؛ لهذا تعجبني».

٤

وجدت رجلاً سميناً جداً. كنت طوال حياتي مطروداً بسبب حماقات البدناء من أمثاله بأعمال شاقة بليدة ومرتبات قليلة تافهة. أوشك أن يبدو لطيفاً، تحدثت إليه، لم أعرف ما الذي أتحدث عنه. كان يستمع ويضحك ويومئ برأسه ويشتري الشراب. في يده ساعة معصم، وكومة من الخواتم، ومحفظة حمقاء مليئة. لقد كان عملاً شاقاً. أخبرته قصصاً عن السجون وعصابات السكة الحديد وبيوت الدعارة، أعجبته قصص الدعارة.

أخبرته عن الرجل الذي يأتي كل أسبوعين ويدفع، وكل ما كان يريده هو أن يجتمع مع عاهرة في غرفة. يخلع كلاهما ثيابهما ويلعبان بالورق ويتحدثان، يجلسان فقط ثم بعد ساعتين تقريباً ينهض ويرتدي ثيابه، يقول وداعاً ويخرج من دون أن يمس العاهرة.

«اللعنة» قال.

«نعم».

لا مانع لدي من أن يلكم «لو» تلك الجمجمة البدينة، أي حظ عاثر، أي قطعة من الخراء بلا فائدة!

«هل تحب الشابات؟» سألته.

«أوه، نعم، نعم، نعم».

«زهاء الأربعة عشر عاماً ونصف العام؟»

«يا يسوع! نعم».

«ستأتي إحداهنّ في الساعة الواحدة والنصف صباحاً على قطار من شيكاجو. ستكون في مكان إقامتي نحو الثانية وعشر دقائق. إنها نظيفة،

حامية، ذكية. أنا الآن أحظى بفرصة هائلة؛ لذا أطلب عشر علب، ذلك كثير؟».

«لا، لا بأس».

«حسناً، عندما يغلق هذا المكان تعال معي».

أخيراً حلت الساعة الثانية صباحاً. أخرجته من هناك نحو الزقاق. ربما «لو» لن يكون هناك. ربما النبيذ سيؤثر عليه أو ربما يكون قد انسحب. ضربة مثل تلك قد تقتل رجلاً أو تجعله مشوشاً طوال حياته. ترنحنا في ضوء القمر، لم يكن هناك أحد سوانا في الشوارع، كان الأمر سهلاً. عبرنا نحو الزقاق حيث كان «لو» ينتظرني لكن البدين رآه، رمى ذراعاً وانحنى عندما لوح «لو»، فسقطت الهراوة على رأسي ونالت مني تماماً خلف الأذن.

٥

استعاد «لو» عمله القديم، وترك الخمر، وأقسم بأنه لن يشرب إلا في نهاية الأسبوع.

قلت له: «حسناً يا رفيق، ابق بعيداً عني؛ أنا سكير وأشرب طوال الوقت».

«أعلم يا هانك، وتعجبني أكثر من أي رجل التقيته. سأتوقف عن الشراب ما عدا أيام العطلات، فقط الجمعة والسبت ولا شيء في الآحاد. ما زلت أفتقد صباحات الإثنين في الأيام الغابرة وقد كلفني ذلك عملي. سأبقى بعيداً لكنني أريدك أن تعرف أنه لم يكن هناك أمر شخصي معك».

«فقط لكوني سكيراً».

«نعم، حسناً، هذا هو».

«حسناً لو. لا تأتِ وتقرع بابي قبل ليلتي السبت والجمعة، ربما تسمع غناء وضحك فتيات جميلات بعمر السابعة عشرة ولكن لا تأت وتطرق بابي».

«يا رجل، أنت لا تضاجع شيئاً سوى البراغيث».

«إنها تبدو في السابعة عشرة في عين العنب».

بدأ يشرح لي طبيعة عمله؛ تنظيف قلب آلات الحلوى. كان عملاً قذراً بغيضاً. لا يشغّل الرئيس سوى سجناء سابقين ويستغل مؤخراتهم حتى الموت. يشتمهم بوحشية طوال اليوم ويختصر صكوكهم ولم يكن في استطاعتهم فعل شيء. إذا عرجوا فسيتم طردهم، أمسك مرة بخصيات من كانوا في إطلاق سراح مشروط. قلت لـ «لو»: «يبدو مثل رجل يجب قتله»، أجابني: «هو معجب بي، يقول إنني أفضل عماله، لكن كان عليَّ التوقف عن الشرب، احتاجَ إلى شخص يمكنه الاعتماد عليه، أخذني مرة إلى مسكنه للقيام ببعض الطلاء له، طليت غرفة نومه، وقمت بعمل جيد أيضاً. لديه منزل كبير في التلال، لا بد أن ترى زوجته؛ لم أعرف أنهم يصنعون نساء بهذا الجمال، لاسيّما عينيها، ساقيها، جسدها، طريقتها في المشي، الكلام، يا يسوع!».

٦

كان «لو» صادقاً في كلامه، فلم أره فترة من الزمن حتى في العطلات، في هذه الأثناء كنت أعاني من بعض المصاعب الشخصية،

كنت متوتراً جداً وفقدت أعصابي، بعض الضجيج وسأخرج من جلدي. كنت أخشى أن أنام: كابوس تلو الآخر، وكل واحد أكثر فظاعة من سابقه، ستكون بخير إذا نمت وأنت في ثمالة تامة، ذلك كان جيداً، لكن إذا ذهبت إلى النومِ نصف ثمل أو رصيناً حينئذٍ تبدأ الأحلام. لن تكون واثقاً فيما إذا كنت تنام أو أن الحدث يقع في الغرفة؛ لأنه عندما تنام تحلم بالغرفة كلها: الصحون المتسخة، والفأر، والجدران المنهارة، والسروال التحتي المتسخ الذي تركته إحداهن على الأرض، والصنبور الذي ينقط، والقمر مثل كرة صغيرة، وسيارات ملأى بالمتعقلين والأصحاء، وكشافات مشعة عبر نافذتك، وكل شيء. كنت في زاوية شديدة الظلمة، بلا عون، بلا سبب، لا سبب على الإطلاق، زاوية مظلمة متعرقة، ظلمة وقذارة، نتن الواقع، نتن كل شيء: العناكب، والعيون، ومالكات البيوت، والأرصفة، والحانات، والمباني، والعشب بلا عشب، الضوء بلا ضوء، لا شيء ينتمي إليك. الفيلة الزهرية لم تحضر قطّ لكن وفرة من رجال قصار القامة بخدع وحشية أو رجلا كبير يلوح بخنقك أو بغرز أسنانه في ظاهر عنقك، استلقِ على ظهرك وتعرق، غير قادر على الحركة، هذا الشيء المشعر المنتن يضطجع عليك.

كان ذلك أثناء النهار، ساعات من خوف لا يوصف. خوف مفتوح في وسطك مثل برعم هائل لا يمكنك تحليله ومعرفة سبب وجوده؛ وهذا ما جعله أكثر سوءاً. ساعات من الجلوس على الكرسي وسط الغرفة مطعوناً ومبتلى، تتحرك أو تتبول بعناء كبير، هراء، وتمشط شعرك أو تنظف أسنانك، أفعال سخيفة ومخبولة، تمشي عبر بحر من النار أو تصب الماء في كأس للشرب، بدا كأنه ليس لديك الحق في صب الماء في كأس للشرب. قررت أنني كنت مجنوناً وغير كفء؛

وهذا جعلني أشعر بالقذارة. ذهبت إلى المكتبة وحاولت إيجاد كتب عن السبب الذي يجعل الناس يشعرون كما كنت أشعر، لكن الكتب لم تكن هناك أو إذا كانوا فلم أستطع فهمها، كان الذهاب إلى المكتبة صعباً، بدا الجميع مرتاحين جداً، أمناء المكتبة والقراء، الجميع ما عداي. كان لدي أيضاً مشكلة في استعمال مرحاض المكتبة، فالمتبطلون والشاذون يراقبونني وأنا أتبول، بدوا جميعهم أقوى مني، غير قلقين وواثقين. واصلت الخروج والمشي في الشارع، أصعد الدرج المتعرج في الأبنية الإسمنتية حيث تُخزّن آلاف الصناديق من البرتقال. يوجد لافتة على سطح مبنى آخر مكتوب عليها: «**يسوع يخلص**»، لكن لا يسوع ولا البرتقال كانا يستحقان مني أن أصعد ذلك الدرج المتعرج، أفكر دائماً أن انتمائي هنا، في داخل هذا القبر الإسمنتي.

كانت فكرة الانتحار دائماً حاضرة بقوة كنمل يجري على طول الجهة السفلى للرسغين. كان الانتحار الأمر الإيجابي الوحيد، وكل شيء آخر كان سلبياً. وكان هناك «لو» مسروراً بتنظيف قعر آلات الحلوى ليبقى حياً، كان أكثر مني حكمة.

٧

التقيت في هذا الوقت بسيدة في الحانة؛ أكبر مني قليلاً، متعقلة جداً، ساقاها ما تزالان بخير، لديها حس غريب بالنكتة، وتلبس ثياباً ثمينة. هبطت السلم برفقة رجل غنيّ. ذهبنا إلى بيتي وعشنا معاً. كانت لها مؤخرة جميلة جداً لكنها تشرب طوال الوقت. اسمها فيكي. تضاجعنا وشربنا النبيذ، كنت أذهب إلى المكتبة كل يوم. لم أخبرها عن أمر الانتحار فهو كان دائماً مزحة كبيرة، أعود إلى البيت وتنظر إلي.

«ما من كتب؟».

«فيكي، ليس لديهم أي كتب في المكتبة».

سأدخل وأخرج زجاجة النبيذ (أو الزجاجات) من الكيس ونبدأ. بعد أسبوع من الشرب قررت أن أقتل نفسي لم أخبرها بذلك تصورت أني سأفعلها عندما كانت في الحانة تبحث عن «شخص حي». لم أحب هؤلاء المهرجين البدناء وهم يضاجعونها لكنها جلبت لي المال والويسكي والسيجار. أعطتني القليل لكوني الوحيد الذي أحبته، دعتني «السيد فان بيلديراس» لسبب أجهله. كانت تثمل وتقول: «أنت تظن أنك شيء حار وأنك السيد فان بيلديراس!» طوال الوقت تلازمني فكرة قتل نفسي وكنت واثقاً أنني سأفعلها يوماً ما. بعد أسبوع من شرب النبيذ الحلو اشترينا أباريق كبيرة وصففناها على الأرض وخلفها صففنا ثماني أو تسع زجاجات نبيذ من القياس العادي، وخلف الزجاجات صففنا أربع أو خمس زجاجات صغيرة. كنت أتيه ليل نهار. لم نفعل شيئاً سوى أن نتضاجع ونتحدث ونشرب، نتحدث ونشرب ونتضاجع، نقاشات عنيفة تنتهي بممارسة الجنس. كانت امرأة صغيرة حلوة للمضاجعة ضيقة ومتلوية، امرأة في ٢٠٠. ومعظم ما تبقى هو نوع من فعل، مزحة. بأية حال، ربما بسبب كل شيء، الشرب وواقعة أن أولئك الرجال البلداء البدناء يضاجعون فيكي، بتُّ مكتئباً أشعر بالقرف، أي جحيم يمكنني عمله؟ هل أدير مخرطة؟

ازداد شعوري بالاكتئاب والخوف وعدم الفائدة بعد نفاذ النبيذ، يبدو أنني كنت مقدماً على فعلها. عندما غادرت الغرفة لأول مرة كان قد انتهى بالنسبة إلي. كيف؟ لم أكن واثقاً تماماً لكن كانت هناك مئات

الوسائل؛ ثمة فرن غاز صغير، الغاز ساحر. يشبه القبلة، يتركُ الجسد كاملاً. نفذ النبيذ وبالكاد استطعت أن أمشي، جحافل الخوف والعرق ذرعت جسدي. الارتياح الأعظم ليس في أن تمرر كائناً بشرياً آخر على الرصيف، انظر إليهم يمشون في بدانتهم، انظر إلى عيونهم الجرذية الصغيرة، ووجوههم الفظة الضئيلة، وإزهارهم الحيواني. أي حلم هنيء عندما لا يتوجب عليك النظر في وجه بشري آخر؟!

«سأخرج لأطلع على الصحيفة وأعلم في أي يوم نحن، حسناً؟».

«بالتأكيد، بالتأكيد».

كانت الساعة نحو العاشرة عندما خرجت. لا أحد في الصالة. احتجت جهداً كبيراً كي يبتلعني ذلك المصعد المليء برائحة البول، عندما أعود ستكون قد رحلت، انتقلت بسرعة عندما انتهى الشراب حينئذٍ استطعت أن أفعلها. لكن أولاً رغبت أن أعرف أيّ يوم كان. نزلت التلة وجدت صيدلية فيها رف للصحف، نظرت إلى التاريخ على الصحيفة، كان يوم الجمعة. جيد جداً كأي يوم آخر. هذا عنى شيئاً. ثم قرأت العناوين:

سقطت صخرة على رأس ابن عم ميلتون بيرلي.

لم أفهم، اقتربت وقرأت ثانية، كان العنوان نفسه:

سقطت صخرة على رأس ابن عم ميلتون بيرلي.

كان عنواناً رئيساً مكتوباً بالخط العريض باللون الأسود، من بين كل الأمور المهمة هذا ما حصل في العالم، هذا هو عنوانهم الرئيسي: **سقطت صخرة على رأس ابن عم ميلتون بيرلي.**

شعرت بتحسن، اشتريت زجاجتي نبيذ حلو وعلبة سجائر على البطاقة. عندما عدت إلى البيت كانت فيكي ما تزال هناك.

«أي يوم هو اليوم؟» سألت.

«الجمعة».

«حسناً» قالت.

ملأت كأسين بالنبيذ، كان قد بقي القليل من الثلج في الثلاجة الجدارية الصغيرة، طفت مكعبات الثلج بنعومة.

«لا أريد أن أجعلك تعيساً» قالت فيكي.

«أعلم ذلك».

«اشرب أولاً».

«أكيد».

«وصل مكتوب من تحت الباب عندما كنت في الخارج».

«نعم».

ارتشفت رشفة وأشعلت سيجارة. ارتشفت رشفة أخرى ثم ناولتني المكتوب. كانت ليلة جمعة دافئة في لوس أنجلس، قرأت المكتوب: «عزيزي السيد تشيناسكي: أمامك فرصة لدفع الإيجار حتى يوم الأربعاء القادم. إذا لم تفعل، فأنت مطرود. أعرف عن تلك النساء في غرفتك، كما أنك تصدر الكثير من الضجة، ولقد كسرت نافذتك، أنت تدفع مقابل امتيازاتك أو من المفترض أنك تدفع. لقد كنت لطيفة جداً معك. أقول الآن يوم الأربعاء القادم أو أنك مطرود. تعب المستأجرون من

الضجة والشتائم والغناء ليل نهار وأنا أيضاً. لا يمكنك أن تعيش هنا دون مقابل، لا تقل إني لم أحذرك».

شربت بقية النبيذ، كدتُ أفقد صوابي.

«تعبت من مضاجعة هؤلاء الحمقى» قالت.

«سأحصل على المال» قلت لها.

«كيف؟ أنت لا تجيد القيام بأي شيء».

«أعرف ذلك».

«وكيف إذن سنحصل عليه؟»

«بطريقة ما».

«آخر رجل ضاجعني ثلاث مرات وفرجي متقرح».

«لا تقلقي حبيبتي، أنا عبقري. المشكلة الوحيدة هي أنه لا أحد يعرفه».

«عبقري في *ماذا*؟»

«لا أعرف».

«سيد فان بيلديراس!»

«هذا أنا، بالمناسبة هل تعرفين أن صخرة سقطت على رأس ابن عم ميلتون بيرلي؟»

«متى؟»

«اليوم أو البارحة».

«صخرة من أي نوع؟».

«لا أعلم، أتخيل نوعاً ما من حجر أصفر زبدي كبير».

«ومن يهتم؟».

«لست أنا، بالتأكيد لست أنا، ما عدا..».

«ما عدا ماذا؟».

«ما عدا أنني أخمن أن الصخرة أبقتني حياً».

«أنت تتكلم مثل غبي».

«أنا غبي».

كشرت وسكبت النبيذ في كل مكان.

جميع المؤخرات في العالم ومؤخرتي

«لا يعاني أي إنسان أكثر مما فطر عليه بالطبيعة»

محادثة سمعت مصادفة في لعبة قمار

١

كنت المتسابق التاسع وكان اسم الحصان «جبنة خضراء»، فاز بـ ٦ واستعدت ٥٢ لـ ٥، بما أنني كنت متقدماً فهذا يستدعى شراباً آخر، قلت للساقي: «أعطني كأساً من الجبنة الخضراء»، لم يرتبك فهو يعرف ما الذي كنت أشربه. اتكأت هناك طوال فترة ما بعد الظهر، شربت طوال الليلة السابقة وعندما عدت إلى البيت، بالطبع، كان عليّ أن أشرب المزيد. كنت جالساً لدي ويسكي وفودكا ونبيذ وبيرة. اتصل حانوتي نحو الساعة الثامنة مساء وقال إنه يود رؤيتي.

قلت له: «حسناً، اجلب شراباً».

«هل تمانع أن أجلب معي أصدقاء»

«ليس لدي أي أصدقاء».

«أعني أصدقائي».

«لا أهتم» قلت له.

قصدتُ المطبخ وملأت كأس ماء بالويسكي، شربته كله دفعة واحدة مثل غابر الأيام، اعتدت أن أشرب خمسية في ساعة ونصف، ساعتين. «جبنة خضراء» قلت لجدران المطبخ، فتحت علبة طويلة من بيرة مثلجة.

٢

عندما وصل الحانوتي تناول الهاتف وسرعان ما دخل أناس غرباء جلبوا معهم خموراً. كان بينهم نساء، شعرت برغبة في اغتصابهن جميعاً. جلست على البساط أشعر بالضوء الكهربائي، والمشروبات تجري في داخلي مثل استعراض أشبه بهجوم على الزرق والجنون، قلت لهم:

«لست مضطراً للعمل ثانية! فالأحصنة ستعتني بي كما لم تفعل عاهرة قط!».

«أوه، نعرف ذلك يا سيّد تشيناسكي! نعرف أنك رجل عظيم!».

كان بينهم لعين أشيب الشعر صغير، جالس على الأريكة يفرك يديه، ينظر إليَّ شزراً بشفاه رطبة وكأنه يتقصد ذلك. شعرت بالقرف منه، أنهيت شرابي ووجدت شراباً آخر في مكان ما شربته أيضاً. تحدثت إلى النساء وضحكن. وعدتهنّ بمداعبات من قضيبي القاسي، كنت أعني ما قلت. نفرت من الرجال، بالنسبة إلى رجل خبير بالحياة كنت فتى في المدرسة الثانوية إلى حد كبير. لو لم أكن السيد تشيناسكي العظيم، لكان قد قتلني شخص ما. كما حصل، خلعت قميصي وعرضت أن أخرج إلى العشب مع أي شخص، كنت محظوظاً، لم يشعر أحد برغبة في دفعي فوق رباط حذائي.

عندما صفا ذهني كانت الساعة الرابعة صباحاً والمصابيح كلها مضاءة وقد غادر الجميع. كنت ما أزال جالساً هناك، شربت بيرة دافئة ثم ذهبت إلى السرير يرافقني شعور بأن كل أولئك السكيرين يعرفون أنني كنت أحمق لكن إلى الجحيم.

٣

سببت لي البواسير إزعاجاً طوال ١٥ أو ٢٠ عاماً، والقرحة المثقوبة أيضاً، كبد سيئ، الدمل، الوسواس العصبي، أنواع مختلفة من الخبل، لكنك تتعايش مع الأمور وتأمل فقط بألا ينهار كل شيء مرة واحدة.

يبدو أن ذلك الشراب قد فعلها تقريباً؛ فقد شعرت بالدوخة والوهن، لكن ذلك كان عادياً. كانت البواسير التي لا تستجيب لأي شيء، حمامات حارة، مراهم، لا شيء قد نفع. كادت أمعائي أن تخرج من مؤخرتي كذيل الكلب. ذهبت إلى الطبيب، نظر ببساطة وقال:

«عملية».

«حسناً، شيء واحد فقط هو أنني جبان».

«حسناً، أنت لن تجعلها أكثر صعوبة».

أيها النازي الوغد الحقير، فكرت.

«أريد منك أن تتناول مليّناً ليلة الثلاثاء، وأن تستيقظ الساعة السابعة صباحاً، جيد؟ احقن نفسك بحقنة شرجية، واصل حقن هذه الحقن إلى أن يصبح الماء صافياً؟ سأعاينك مرة أخرى صباح يوم الأربعاء في الساعة العاشرة».

«عموماً، لا أكترث». قلت.

٤

ظلّ أنبوب الحقنة الشرجية منفلتاً إلى الخارج فتبلل الحمام كله. كان الجو بارداً وبطني آلمني. غرقت في الطين والغائط. هكذا انتهى العالم ليس بالقنبلة الذرية لكن بالبراز والبراز. لم أجد في المجموعة التي اشتريتها شيئاً يوقف تدفق الماء ولم تفلح أصابعي فجرى الماء بانفجار كامل. بقيت على هذه الحال ساعة ونصف كانت بواسيري خلالها تقود العالم، فكرت عدة مرات بالموت، وجدت في خزانتي علبة حمراء وخضراء جميلة تحوي مادة صمغ التربنتين النقي المذيب، كتب عليها «**خطر**! ابتلاعه مؤذ أو قاتل»، أعدت العلبة؛ لقد كنت جباناً.

٥

وضعني الطبيب على الطاولة وقال: «الآن، أنزل بنطالك، أنزله، أنزله..». فجأة أقحم في مؤخرتي شيئاً مسماري الشكل، وبدأ ينشر حيّته التي بدأت تزحف في أمعائي باحثة عن سدّ وسرطان.

«ها! الآن، هي تؤلم قليلاً، لا؟ إذن الهث مثل كلب، هيا، هاهاها - هاهاها!».

«أيها القذر ابن العاهرة!».

«ماذا؟».

«خراء، خراء، خراء! أيها الكلب الحارق! أنت خنزير سادٍ، أنت الذي أحرقت جان على الوتد، ووضعت المسامير في أيدي المسيح، أنت صوّت لصالح الحرب، أنت صوّت لماء الذهب، أنت صوّت لنيكسون.. مؤخرة الأم! ما الذي تفعله بي؟».

«سرعان ما سينتهي. أنت تأخذها بشكل جيد. ستكون مريضاً جيداً».

كور الحيَّة للداخل والخارج ثم رأيته يحدق في شيء بدا مثل منظار، دفع بعض الشاش في مؤخرتي المدماة، نهضت وارتديت ملابسي، وقلت: «والعملية ستكون من أجل ماذا؟»، علم ما قصدته فأجابني: «تطهير البواسير».، نظرت إلى ساقي الممرضة وأنا أخرج، ابتسمت برضى.

٦

في غرفة الانتظار في المستشفى نظرت فتاة صغيرة إلى وجوهنا الرمادية والبيضاء والصفراء، وقالت: ر«الجميع يُحتضر!» لم يجبها أحد، قلبت صفحة عدد قديم من مجلة التايم.

بعد ملء أوراق روتينية وأخذ عينات البول والدم، أخذوني إلى جناح مكون من أربع غرف في الطابق الثامن، وعندما سألوني عن ديني أجبتهم: «كاثوليكي»؛ لأنقذ نفسي من نظرات وأسئلة عادة ما تتبع التصريح عن الدين، تعبت من الجدال والروتين البيروقراطي، كان مستشفى كاثوليكياً، ربما سأحصل على خدمة أفضل أو تبريكات من البابا.

كنت حبيساً مع ثلاثة آخرين، أنا الراهب المنعزل والمقامر اللعوب والأبله. كل شي انتهى: العزلة المحببة، والثلاجة المليئة بالبيرة، والسيجار على الخزانة، وأرقام هواتف لنساء بسيقان ومؤخرات هائلة.

يوجد بينهم واحد وجهه أصفر، منظره مثل طائر كبير مغطوط في البول ومجفف في الشمس. ظل يضرب على زره وهو يبكي وينتحب:

«أيتها الممرضة، أين الطبيب توماس؟ لقد أعطاني بعض الكودئين البارحة، أين هو؟».

«لا أعلم أين الطبيب توماس».

«هل بإمكاني أن أتناول دواء للسعلة؟».

«إنه هناك على طاولتك».

«إنها لا توقف سعالي، ودواء السعلة ذاك ليس جيداً أيضاً».

صرخ رجل أشيب من سرير في الجهة الشمالية: «أيتها الممرضة، هل يمكنني الحصول على المزيد من القهوة؟ أود المزيد منها».

«سأرى» قالت وغادرت.

نظرت من النافذة إلى منحدرات التلال، لا شيء سوى الظلمة ومنازل قديمة. تملكني شعور غريب بأنها لم تكن مسكونة وأن الجميع ماتوا وتم تسليمهم. أصغيت إلى شكوى الرجال الثلاثة من الأطباء والممرضات والطعام وسعر الجناح. عندما كان يتحدث أحدهم لم يبدُ أن الآخرين يصغيان، فهما لا يجيبان ثم يبدأ دور الآخر في الكلام، يتبادلون الأدوار. لم يكن هناك شيء آخر يفعلونه غير التحدث بغموض وتغيير المواضيع. كنت مع واكي، ومصور الأفلام، وطائر البول الأصفر. خارج نافذتي صليب يدور في السماء، كان لونه أزرق في البدء ثم أصبح أحمر. في الليل أغلقوا الستائر حول أسرتنا قليلاً وشعرت بتحسن، لكن أدركت بغرابة أن الألم أو الموت المحتمل لن يقربني من الإنسانية. بدأ الزوار بالقدوم، ولم يكن لدي أي زائر. شعرت كقديس، نظرت من نافذتي ورأيت لافتة بالقرب من الصليب الدوار الأحمر والأزرق في السماء. نُزُل، كتب عليها، الأجساد هناك بداخله في انسجام أكثر لطفاً، اللعنة.

٧

دخل شيطان مسكين برداء أخضر وحلق مؤخرتي. أية أعمال رهيبة في العالم! كان هناك عمل واحد ضيعته، طرحوا منضحة على رأسي ودفعوني على كرسي. إنها عملية جراحية، الجبان ينزلق عبر الصالات خلف الموت. دفعني رجل وامرأة وابتسما، بدوَا مرتاحين جداً، ثم دفعاني إلى المصعد. كان هناك أربع نساء في المصعد.

«أنا ذاهب إلى العملية. هل تهتم إحداكن أيتها السيدات بتبادل المواقع معي؟».

التصقن بالجدار ورفضن أن يجبن.

في غرفة العمليات انتظرنا وصول الله، دخل الله أخيراً: «حسناً، حسناً، حسناً، ها هنا صديقي!».

لم أزعج نفسي بالإجابة عن تلك الكذبة.

«استدر على معدتك، رجاء».

قلت: «حسناً، أظن أن الوقت متأخر جداً لتغيير رأيي».

قال الله: «نعم، أنت الآن تحت سيطرتنا!».

شعرت بالطوق يعبر ظهري، فردوا ساقي، دخلت أول شوكة كما لو كان يفرد مناشف في كل مكان حول شرجي وظهري، شوكة أخرى، ثالثة. واصلت تقديم أجوبة وقحة، الجبان، رجل الاستعراض، المصفر في الظلمة.

«نوّمه» قال، شعرت بضربة إبرة في المرفق، ليس جيداً، الكثير من الشراب ورائي.

«هل من أحد معه سيجار؟» سألت.

ضحك أحدهم، بدأت أشعر بالتعب بشكل سيئ، قررت أن أهدأ.

استطعت أن أشعر بالسكين تسحب عند مؤخرتي لكن بلا ألم، سمعته يقول:

«الآن، هذا هو الباسور الأساسي، أترى؟ هنا تحت..».

٨

كانت غرفة النقاهة مضجرة، ثمة بعض النساء الجميلات يتجوّلن لكنهن تجاهلنني. نهضت على مرفقي ونظرت حولي، أجساد شديدة البياض وهامدة في كل مكان، عمليات حقيقية، رئات، حالات قلبية، شعرت بقلة الخبرة وبالخزي. سررت عندما أخرجوني من هناك على كرسي ذي عجلات. حدق شركائي الثلاثة في الغرفة عندما أدخلوني. فشكلي يبدو سيئاً. حركت الكرسي باتجاه السرير وجدت أن ساقي ما تزالان خدرتين ولا أستطيع التحكم بهما. قررت أن أنام، المكان برمته كان يبعث على الاكتئاب. عندما استيقظت كانت مؤخرتي تؤلمني، لكن ساقي ما زالتا بليدتين. مددت يدي إلى قضيبي وشعرت كما لو أنه لم يكن في مكانه. أقصد أنني لم أشعر بأي إحساس ما عدا رغبتي في التبول ولم أستطع، كان الأمر رهيباً وحاولت نسيانه.

زارتني إحدى حبيباتي السابقات. جلست تنظر إليّ، أخبرتها أنني لا أعلم بالضبط لمَ أنا في المستشفى.

«مرحباً! كيف حالك؟».

«بخير، فقط لا أستطيع التبول».

ابتسمت.

تحدثنا قليلاً ثم غادرت.

كان الأمر كما لو أنه في الأفلام، بدا أن الممرضين جميعهم من المثليين كما أن أحدهم أكثر رجولة من الآخرين.

«هيه، يا رفيق!»

جاء إلي، فقلت له: «لا أستطيع التبول. أريد أن أتبول لكنني لا أستطيع».

«سأعود. سأحل مشكلتك».

انتظرت فترة ثم عاد، أغلق الستارة حول سريري وجلس.

فكرت: يا يسوع! ما الذي سيفعله؟ هل سيمارس معي الجنس الفموي؟ لكنني رأيت معه آلة، راقبته وهو يتناول الإبرة المجوفة ثم أدخلها في ثقب التبول في قضيبي، الشعور الذي ظننت أنه رحل من عضوي عاد فجأة.

«اللعنة يا عزيزي!» همست غاضباً.

«أليس أكثر الأمور متعة في العالم؟».

«حقاً، حقاً. أميل إلى الموافقة .وي *أو* وي! هراء ويسوع!»

«سرعان ما ينتهي».

ضغط على مثانتي. استطعت أن أرى حوض سمك صغير يمتلئ بالبول، هذا كان واحداً من الأجزاء التي أغفلوها في الأفلام.

«يا قوة الله، تصدَّق، الرحمة! لنسمّها ليلة عمل جيدة».

«لحظة واحدة. الآن».

سحب الإبرة، في الخارج دار صليبي الأزرق والأحمر، دار وعلق

المسيح على الجدار مع قطعة من نخلة جافة ملصقة عند قدميه، لا عجب أن الرجال قد تحولوا إلى آلهة، إنه أمر صعب أن تفهمه مباشرة.

«شكراً» قلت للممرض.

«أهلاً بك، أهلاً بك». سحب الستارة وغادر مع آلته.

ضغط شريكي في الغرفة طائر البول الأصفر على زره.

«أين تلك الممرضة؟ لماذا لا تأتي تلك الممرضة؟».

ضغطه ثانية.

«هل زري يعمل؟ هل هناك مشكلة في زري؟».

حضرت الممرضة.

«ظهري يؤلمني! ظهري يؤلمني بشدة! لم يأت أحد لزيارتي! أظن أنكم أيها الزملاء لاحظتم ذلك! لم يأت أحد لرؤيتي! حتى زوجتي! أين زوجتي؟ أيتها الممرضة، ارفعي سريري، ظهري يؤلمني! **هناك! أعلى!** لا، لا، يا إلهي! لقد رفعته كثيراً! أخفض، أخفض، هناك. توقفي! أين عشائي؟ لم أتعش! اسمعي..».

خرجت الممرضة.

ما زلت متعجباً من آلة البول الصغيرة، ربما عليّ أن أشتري واحدة، أحملها معي طوال حياتي، أغطس في الأزقة وخلف الشجرات وفي المقعد الخلفي لسيارتي، لم يقل الواكي في سريره الكثير من الكلام: «إنها قدمي» ثم قال فجأة للجدران: «لا أستطيع أن أفهم، قدماي تورمتا أثناء الليل ولم تتحسنا. إنهما تؤلماني، تؤلماني».

ضغط الرجل ذو الشعر الأشيب في الزاوية على زره، وقال:

«يا ممرضة، يا ممرضة، هلا جلبتم لي كوباً من القهوة؟».

في الواقع ومع كل ما يحدث تكمن مشكلتي الأساسية في تجنب تحولي إلى مجنون.

١٠

في اليوم التالي جلب الرجل العجوز الأشيب (مصور الأفلام) قهوته وجلس على كرسي قرب سريري وقال: «لا يمكنني تحمل ابن العاهرة ذاك». كان يتحدث عن طائر البول الأصفر، لم يكن هناك بد من التحدث مع الأشيب، أخبرته أن للشراب اليد الطولى فيما وصلت إليه الآن في الحياة. ومن باب المزاح أخبرته عن بعض ثمالاتي الكبيرة وبعض الأمور المجنونة التي حدثت معي، وهو كان لديه بعض القصص الجيدة، قال لي:

«في الأيام الخوالي، كانوا يملكون سيارات كبيرة حمراء تجري بين جليندال ولونج بيتش، كانوا يقودون طوال النهار وأغلب ساعات الليل فيما عدا فسحة مدة ساعة ونصف. أظن أنها كانت بين ٣:٣٠ و٥:٣٠ صباحاً. في إحدى الليالي قابلت رجلاً في الحانة وبعد أن أغلقت الحانة ذهبنا إلى بيته وأنهينا شراباً كان قد تركه هناك. غادرت منزله وتهت. وجدت نفسي في طريق مسدود لكنني لم أعرف أنه كذلك. واصلت القيادة بسرعة كبيرة. واصلت المضي حتى ضربت السكة الحديدية عندئذٍ نفر مقود عجلتي وضربني على ذقني ضربة قاضية. كانت سيارتي على السكة لكنني كنت محظوظاً؛ فخلال تلك الساعة والنصف لم يمر أي قطار. لا أعلم كم من الوقت بقيت هناك. لكن بوق القطار أيقظني. أفقت ورأيت قطاراً قادماً على السكة باتجاهي. كان لدي الوقت لأنطلق

بسيارتي وأتراجع. اندفع القطار بقربي. قدت السيارة إلى البيت، اعوجت العجلات الأمامية للأسفل وتذبذبت».

«هذا مأزق».

«مرة أخرى، تقع الحانة التي اعتدت ارتيادها مقابل طريق السكة حيث يقف القطار ويخرج رجال السكة الحديدية لتناول طعامهم، كنت جالساً بالقرب من رجل في هذه الحانة، التفت نحوي وقال: «كنت أقود واحداً من تلك الأشياء ويمكنني أن أقود واحداً من جديد، تعال وراقبني وأنا أنطلق به»، خرجت معه وصعدنا الآلية وهو واثق بقدر كبير، انطلق بالشيء ووصلنا إلى سرعة جيدة ثم بدأت أفكر، أي جحيم أفعله؟ قلت للرجل: «لا أعرف عنك شيئاً لكنني سأنزل!» عرفت ما يكفي عن القطارات وأين تكون المكابح، نترت المكبح وقبل أن يتوقف القطار خرجت من الجانب، خرج هو من الجانب الآخر ولم أره ثانية. بعد وقت قليل كان هناك حشد ضخم حول القطار: شرطة، محققون، بوليس سري، صحافيون، متفرجون. وأنا واقف على الجانب مع بقية الحشد أراقب، قال شخص يقف قربي: «هيا، لنصعد ونرى ما الذي يجري»، قلت: «لا، إلى الجحيم، إنه مجرد قطار»، كنت خائفاً من أن يكون شخص ما قد رآني. في اليوم التالي ظهرت القصة في الصحف فالعناوين الرئيسة تحدثت عن **قطار ذاهب إلى باكويما بنفسه**. قصصت القصة من الصحيفة واحتفظت بها مدة عشر سنوات. كلما تراها زوجتي تقول لي: «من أجل أي جحيم تحتفظ بتلك القصة؟» لم أقل لها قط. كنت ما أزال خائفاً. أنت أول شخص أخبره تلك القصة».

«لا تقلق، لن يسمع أحد تلك القصة ثانية».

بعدئذٍ بدأت مؤخرتي تشتكي. اقترح الأشيب أن أطلب إبرة ففعلت،

زرقتني الممرضة إبرة في الورك، وبعد مغادرتها تركت الستارة مغلقة لكن الأشيب ظل جالساً، كان لديه زائر، زائر بصوت حمل صافٍ خلل أحشائي، هو جعلها تخرج حقاً.

«سأقوم بنقل كل السفن حول عنق الخليج، سنقودها إلى هناك مباشرة. نحن ندفع لقبطان واحد من تلك المراكب ٨٩٠ دولاراً شهرياً وهو لديه ولدان تحت يده. علينا أن نأخذ هذا الأسطول إلى هناك لنضعها في حيز التنفيذ. أفكر بأن الجمهور جاهز لقصة بحر جيدة. لم يكن لديهم قصة بحر جيدة منذ ايرول فلين».

قال الأشيب: «نعم، تلك الأشياء تدور في حلقات والناس جاهزون الآن ويحتاجون إلى قصة بحر جيدة».

«بالتأكيد، هناك الكثير من الأولاد الذين لم يروا قصة بحر، سأقودهم على المراكب، الكبار في السن سنستعملهم للقيادة فقط، نحن نحرك تلك السفن حول الخليج ونقودها إلى هناك. سفينتان تحتاجان إلى صواري، هذا كل ما فيها من مشاكل، نناولها صواري ثم نبدأ».

«الجمهور جاهز بالفعل لقصة بحر، إنها دورة والدورة مناسبة».

«إنهم قلقون بشأن الميزانية، يا للجحيم! إنها لا تكلف شيئاً، لماذا...».

سحبت الستارة وتحدثت إلى الأشيب: «انظر، قد تظن أنني وغد، لكن أنتم أيها الرجال مباشرة أمام سريري. هل يمكنك أن تأخذ صديقك إلى سريرك؟»

«بالتأكيد، بالتأكيد!».

وقف المخرج وقال: «يا للجحيم! أنا آسف. لم أعرف..».

كان بديناً ودنيئاً، مسروراً، سعيداً، مقرفاً.

«حسناً» قلت.

انتقلا إلى سرير الأشيب وواصلا الكلام عن القصة البحرية، كل المحتضرين في الطابق الثامن في مستشفى ملكة الملائكة استطاعوا سماع قصة البحر، غادر المنتج أخيراً.

نظر الأشيب إلي: «هذا أعظم منتج في العالم؛ أنتج أكثر الأفلام عظمة أكثر من أي رجل على قيد الحياة، إنه جون ف».

قال طائر البول: «جون ف، نعم، لقد صنع بعض الأفلام العظيمة، أفلام عظيمة!».

حاولت أن أنام، كنت أعاني من صعوبة في النوم ليلاً بسبب شخيرهم جميعاً، كان الأشيب الأعلى صوتاً بينهم وفي الصباح دائماً يوقظني ليتذمر من أنه لم ينم. في تلك الليلة صرخ طائر البول الأصفر طوال الليل، ربما لأنه لم يتمكن من التغوط. حررني يا إلهي، عليّ أن أتغوط! أو أنه كان يتألم. أو أين طبيبه؟ واستمر في تبديل الأطباء. لم يستطع أحد تحمله والآخر سيحل محله. لم يستطيعوا إيجاد أي مشكلة فيه. لم يكن من مشاكل، لقد أراد أمه لكن أمه كانت ميتة.

١١

أخيراً، جعلتهم ينقلوني إلى جناح نصف خاص لكنه كان أسوأ. كان اسمه هيرب وكما قال لي الممرض: «هو ليس مريضاً، لا يشكو من شيء على الإطلاق». كان يرتدي ثوباً حريرياً ويحلق مرتين يومياً، امتلك تلفازاً لم يطفئه قطّ وزوّار طوال الوقت فهو كان مدير أعمال، قص

شعره الرمادي قصة قصيرة للإشارة إلى الشباب والفعالية والذكاء والوحشية.

تحول التلفاز إلى ما هو أسوأ مما استطعت تخيله. لم أمتلك تلفازاً قطّ وكان غير مألوف بالنسبة إليّ. استطعت تحمل سباقات السيارات ولو أنها كانت بليدة جداً. عُرض وقتئذٍ ماراتون وكانوا يجمعون المال. بدؤوا في الصباح الباكر ومضوا في الحال، ألصق عدد قليل منهم إشارات عن المبالغ المالية التي جمعت، ظهر شخص يرتدي قبعة طاهٍ، لا أعلم أي جحيم قصد، كما ظهرت عجوز فظيعة لها وجه يشبه الضفدع، لم أستطع تصديق قبحها. ولم أستطع أيضاً تصديق أن هؤلاء الناس لم يعرفوا كم تبدو وجوههم قبيحة وعارية وموفورة ومقرفة مثل اغتصاب كل شيء محترم. نهضوا للتو وبهدوء وضعوا وجوههم على الشاشة وتحدثوا إلى بعضهم وضحكوا من شيء ما. كان من الصعب الضحك على تلك النكات لكن لم يبدُ أن لديهم أي مشكلة. تلك الوجوه، تلك الوجوه! لم يقل هيرب أي شيء حول الموضوع. فقط كان ينظر كما لو أنه مهتم، لم أعرف أسماء الناس لكنهم كانوا جميعهم من النجوم، أعلنوا عن اسم ثم استثار الجميع إلا أنا. لم أستطع أن أفهم. شعرت قليلاً بالغثيان وتمنيت أن أعود إلى الغرفة الأخرى. حاولت أن أتبرز لكن لم يحدث شيء فقط رقعة من الدم. كانت ليلة السبت جاء الكاهن وسأل: «هل تهتم بالمناولة غداً؟».

«لا، شكراً يا أبتِ، أنا لست كاثوليكياً صالحاً، لم أدخل الكنيسة منذ عشرين عاماً».

«هل تعمدت ككاثوليكي؟».

«نعم».

«إذن فأنت ما تزال كاثوليكياً، أنت مجرد كاثوليكي متبطل».

تحدث بصراحة كما في الأفلام؛ تماماً مثل كاجني، أو كان بات أوبرين الذي تباهى بالياقة البيضاء؟ كل الأفلام التي شاهدتها كانت قديمة؛ آخر فيلم شاهدته كان *عطلة نهاية الأسبوع الضائعة*، منحني الكاهن كتيباً صغيراً وقال: «اقرأ هذا». ثم غادر.

كان كتاب الصلاة، كتب عليه «مصنف لاستعمالات المشافي والمنشآت».

قرأت:

أيها الثالوث المقدس الأبدي، الآب، الابن، الروح القدس، مع كل الملائكة والقديسين، أعبدك.

مليكتي وأمي، أمنح نفسي كلها لك، ولأظهر تضحيتي أكرس لك هذا اليوم عينيّ، أذنيّ، فمي، قلبي، كليتي من دون تحفظ.

يا قلب يسوع المتألم، ارحم الموتى. يا إلهي، أسجد على ركبتي، أعبدك.

انضمي إلي، أيتها الأرواح المباركة، في شكر إله الرحمات، وافر السخاء على مخلوق لا يستحق.

ذنوبي، يا عزيزي يسوع، تسببت بعذابك المرير، ذنوبي التي جلدتك وتوّجتك بالشوك وسمرتك على الصليب، أعترف بأنني أستحق العقاب.

نهضت وحاولت أن أتغوط. مرت ثلاثة أيام ولم أتغوط شيئاً، فقط رقعة دم ثانية والجروح في مستقيمي تنشق مفتوحة. كان هيرب يشاهد عرضاً كوميدياً.

«الرجل الوطواط قادم إلى البرنامج الليلة، أريد أن أرى الرجل الوطواط!».

«نعم؟» عدت زاحفاً إلى السرير.

أنا آسف على ذنوبي في قلة الصبر والغضب، ذنوبي في العصيان والجبن.

ظهر الرجل الوطواط وبدا الجميع في البرنامج مهتماً، قال هيرب: «إنه الرجل الوطواط!».

قلت: «جيد، الرجل الوطواط».

يا حبيب قلب مريم، كن مخلصي.

«يمكنه الغناء! انظر، يمكنه الغناء!».

نزع الرجل الوطواط بزة الوطواط وارتدى بزة شارع. كان يبدو رجلاً عادياً جداً بوجه أبيض، غنى أغنيته، بدا فخوراً جداً بغنائه لسبب ما.

«يمكنه الغناء!» قال هيرب.

يا إلهي الطيب، من أنا ومن أكون حتى أتجرأ على التقرب منك؟

أنا مسكين فحسب، مخلوق بائس، مذنب، لا أستحق الوقوف أمامك أبداً.

أدرت ظهري للتلفاز وحاولت النوم، كان هيرب يشغله بصوت مرتفع جداً. وضعت بعض القطن في أذني لكنه لم ينفع إلا قليلاً. أنا لن أتغوط أبداً، فكرت، لن أتغوط ثانية أبداً، ليس وهذا الشيء يعمل، لقد جعل أحشائي تتلوى، تتلوى... سأصاب بالجنون الآن بالتأكيد!

يا رب، يا إلهي، من هذا اليوم أقبل من يدك طوعاً وخضوعاً نوع

الموت الذي قد تود أن ترسله لي مع كل أحزانه وآلامه وعذابه. (غفران تام مرة كل يوم في ظل الظروف العادية).

أخيراً، في الساعة الواحدة والنصف صباحاً لم أعد أستطيع التحمل، كنت أستمع منذ الساعة السابعة صباحاً. برازي قد سُدّ إلى الأبد. شعرت بأنني دفعت مقابل الصليب في تلك الساعات الثمانية عشرة ونصف، تدبرت أمري لأستدير.

«هيرب! بحق المسيح يا رجل! أنا على وشك أن أفعلها! أنا على وشك أن أفجر لولبي! هيرب! الرحمة! لا أستطيع احتمال التلفاز! لا أستطيع احتمال الجنس البشري! هيرب! هيرب!».

كان نائماً وهو جالس.

«أنت أيها القذر» قلت.

«ماذا؟ ماذا؟».

«لم لا تغلق ذلك الشيء؟».

«أغلقه؟ آه، بالتأكيد، بالتأكيد، لَمَ لم تقل ذلك يا ولد؟».

١٢

كان هيرب يشخر أيضاً ويتحدث في نومه. ذهبت لأنام نحو الساعة الثالثة والنصف صباحاً وفي الساعة الرابعة والربع أيقظني صوت ما بدا مثل صوت طاولة تُجرفي الأسفل في الصالة. فجأة أضيئت الأنوار وظهرت امرأة كبيرة ملونة تقف فوقي ومعها لوح كتابة. يا مسيح! كانت قبيحة وبدت فتاة حمقاء، اللعنة على مارتن لوثر كينج والمساواة

العرقية! استطاعت أن تخرج مني الغائط بسهولة، ربما ستكون هذه فكرة حسنة؟ ربما كانت آخر الشعائر؟ ربما كنت منتهياً؟

قلت: «انظري حبيبتي، هل لديك مانع من أن تقول لي ما الذي يجري؟ هل هذه النهاية اللعينة؟».

«هل أنت هنري تشيناسكي؟».

«أخشى أنني هو».

«أنت مسجل من أجل المناولة».

«لا، انتظري! لقد قلت له: لا مناولة».

«أوه»، قالت. أغلقت الستارة وأطفئت الأضواء، استطعت سماع الطاولة أو أي شيء آخر يجرّ في الأسفل، كان البابا سيصبح تعيساً معي، أحدثت الطاولة جلبة كالجحيم، استطعت أن أسمع المريض والمحتضر ينهض ويسعل ويسأل الأسئلة للهواء ويرن الجرس طلباً للممرضات.

«ماذا كان ذلك يا ولد؟» سأل هيرب.

«ماذا كان ذلك؟».

«كل الضجة والأضواء؟».

«كان ذلك الملاك المظلم القاسي لباتمان يجهز جسد المسيح».

«ماذا؟».

«اذهب إلى النوم».

١٣

أتى طبيبي صباح اليوم التالي وحدق بمؤخرتي وقال إنني أستطيع الذهاب إلى البيت. «لكن، يا فتاي، ألا تركب على ظهر الخيل؟».

«نعم، لكن ماذا عن فرج حار ما؟».

«ماذا؟».

«الجماع الجنسي».

«أوه، لا، لا! يجب أن يمر ستة أو ثمانية أسابيع قبل أن تكون قادراً على ممارسة أي شيء بشكل طبيعي».

خرج وبدأت ارتدي ملابسي، لم يزعجني التلفاز. ظهر شخص على التلفاز وقال: «أتساءل إذا ما كانت معكرونتي قد نضجت؟»، ألصق وجهه في القدر وعندما رفع بصره، كانت المعكرونة كلها ملتصقة بوجهه. ضحك هيرب. صافحته وقلت:

«وداعاً حبيبي».

«كان وقتاً ظريفاً».

«نعم».

كنت جاهزاً للمغادرة، هرعت إلى العلبة، دم وبراز، براز ودم، كان مؤلماً لدرجة أنه جعلني أتحدث إلى الجدران: «أوه يا أمي، أيها الأوغاد القذرون، براز براز، أيها الغريبو الأطوار المجانين، أيتها السماوات، انصرفوا! براز، براز، براز، يو!»، أخيراً توقف، نظفت نفسي ووضعت ضمادة من الشاش، رفعت بنطالي ورحت إلى سريري، التقطت كيس سفري.

«وداعاً هيرب، يا حبيبي».

«وداعاً يا ولد».

خمنت ذلك، عدت مجدداً.

«أنت أيها القذر يا بن العاهرة مجامع القطط أووووووو، براز، براز، براز!».

خرجت وجلست فترة، وبعد أن شعرت بأنني جاهز نزلت إلى الطابق السفلي ووقّعت على ثروة في الفواتير، لم أستطع قراءة شيء. طلبوا لي سيارة أجرة ووقفت أنتظر في مدخل سيارة الإسعاف ومعي مغطسي الصغير، حوض تتغوط فيه بعد أن تملأه بالماء الحار. كان هناك ثلاثة من الواكي[1] يقفون في الخارج، رجلان وامرأة، أصواتهم عالية وجنوبية، لا يوحي مظهرهم بأنهم يعانون من شيء ولو مجرد وجع أسنان. بدأت مؤخرتي تثب وتخز، حاولت أن أجلس لكن هذا كان خطأ. هرع فتى صغير كان بصحبتهم وحاول أن يخطف مغطسي، «لا، أيها الوغد، لا» همست بغضب له، كاد أن يحصل عليه فهو أقوى مني لكنني بقيت ممسكاً به.

يا يسوع، أستودعك أهلي، أقاربي، أولياء نعمتي، معلمي، وأصدقائي. كافئهم بطريقة مميزة عن العناية والحزن الذي تسببت به لهم.

«أيها المستمني الصغير! ارفع يدك عن قدر البراز!» قلت له.

«دوني! دع ذلك الرجل بحاله!» صرخت المرأة عليه.

ابتعد دوني ونظر إليَّ أحد الرجال وقال: «مرحباً!».

أجبته: «مرحباً»، بدا لي رجلاً جيداً.

«تشيناسكي؟».

---

(١) سكان أوكلاهوما الأصليين.

«نعم، لنذهب».

تقدمت مع قدر البراز، جلست على جهة واحدة، وأعلمته الاتجاهات وقلت له: «اسمع، إذا تسللت خلف اللافتة أو محطة وقود أو أي مكان، توقف عن القيادة فربما عليَّ أن أتغوط».

«حسناً».

اتجهنا إلى المكان، كان وقت الظهيرة والشوارع تبدو جيدة، وأنا ما زلت حيّاً، سألته:

«اسمع، أين يوجد بيت دعارة جيد؟ أين يمكنني الحصول على قطعة مؤخرة نظيفة ورخيصة؟».

«لا أعلم أي شيء عن تلك الأمور».

صرخت به: «هيا! هيا! هل أبدو مثل مشوش؟ هل أبدو مثل مخبر؟ يمكنك أن تتصارع معي يا آس!».

«لا، لا أمزح فأنا أقود نهاراً ولا أعرف عن تلك الأمور ربما سائق الليل يمكنه أن يدلك»

«حسناً، أصدقك، استدر هنا».

بدا الكوخ القديم جيداً بين كل الشقق عالية. كانت شقتي في بليموث ٥٧ نصف مسطحة ومغطاة بزرق الطيور والدواليب، كل ما أردته كان حماماً حاراً والماء الساخن على مؤخرتي المسكينة. واستمارات السباق القديمة وفواتير الوقود والكهرباء ورسائل من نساء وحيدات لم تمارسن الجنس منذ زمن بعيد، ماء حار تماماً. انفردت على الجدران عائداً إلى فتحة روحي اللعينة، أعطيته بقشيشاً جيداً وصعدت طريقي ببطء، وجدت الباب مفتوحاً وشخصاً يدق على شيء والسرير بلا أغطية، يا إلهي! كنت مغزواً! كنت مطروداً!

دخلت وصرخت: «هيه!».

دخل صاحب الملك الغرفة الأمامية وقال: «يا يسوع! لم نتوقع عودتك بهذه السرعة!».

«حوض الماء الحار يرشح وكان علينا أن نشقه، سنضعه في واحد جديد».

«هل تعني، لا يوجد ماء حار؟».

«لا، ما من ماء حار».

أوه، يا يسوع! أقبل طوعاً هذه التجربة التي أسرتك في أن تضطجع فوقي.

دخلت زوجته.

«أوه، كنت للتو سأجهز سريرك».

«حسناً، رائع».

«عليه أن يثبت صهريج ماء اليوم، قد تنفذ من عندنا ومن الصعب الحصول على قطع يوم الأحد».

«حسنا، سأرتب السرير» قلت.

«سأرتبه أنا».

«لا، رجاء، أنا سأرتبه».

ذهبت إلى غرفة النوم وباشرت في ترتيب السرير، قدم إلى الغرفة فذهبت إلى العلبة واستطعت سماع صراخه على بركة الماء في حين كنت جالساً سعيداً بصراخه. قلت خطاباً هادئاً ثم عدت إلى السرير، سمعت صوت رجل ثمل يجادل زوجته «مشكلتك هي أنه ليس لديك

أي تصورات على الإطلاق! لا تعرفين شيئاً! أنت حمقاء! وعاهرة أيضاً!».

تدحرجت على بطني. إنه لشيء رائع أن أكون في البيت مجدداً. في تلك الأثناء كانت الجيوش في فيتنام والمتبطلون في الأزقة يمصون زجاجات النبيذ، تخللت أشعة الشمس الستائر، رأيت عنكبوتاً تدبّ على عتبة النافذة وصحيفة قديمة على الأرض وصورة لثلاث فتيات شابات يقفزن عن السياج وسيقانهن ظاهرة، كان للمكان رائحة تشبه رائحتي، ورق الجدران يعرفني، كنت واعياً لقدمي ومرفقي وشعري. لم أشعر أنني في عمر الخامسة والأربعين بل بشعور راهب لعين قد هبط عليه الوحي للتو. شعرت كما لو أنني كنت أحب شيئاً ما لكني لم أكن واثقاً منه ما عدا أنه موجود. استمعت إلى كل الأصوات، أصوات الدراجات النارية والسيارات، نباح الكلاب، ضحك الناس، ثم نمت والنبتة الموجودة على النافذة تنظر إليّ وأشعة الشمس تملأ المكان والعنكبوت تدبّ في الغرفة.

اعترافات مجنون
بما يكفي ليساكن البهائم

١

ما زلت أتذكر الاستمناء في الخزانة بعد انتعالي أحذية أمي ذات الكعب العالي والنظر إلى ساقي في المرآة وأنا أرفع الثوب ببطء أعلى فأعلى كما لو أنني أختلس النظر إلى ساقي امرأة، كما أتذكر صديقين دخلا المنزل «أعلم أنه هنا في مكان ما». ارتديت ثيابي ثم فتح أحدهما باب الخزانة ووجدني فصرخت: «يا بن العاهرة!»، طردتهما من المنزل وسمعتهما يتحدثان وهما يبتعدان: «ما الذي حدث له؟ أي جحيم أصابه؟».

٢

كانت «ك» فتاة استعراض سابقة وكانت تريني دائماً القصاصات والصور. كادت أن تفوز بمسابقة ملكة جمال أمريكا. التقيتها في حانة في شارع الفارادو ـ وهي أقرب ما يمكنك الحصول عليه استحضاراً لمنطقة سكيد رو ـ وقد ازداد وزنها وكبرت في السن لكن ما يزال فيها أمارة عن

بعض الرقي. لكن مجرد تلميح وأكثر قليلاً. لم نكن نعمل ولن أعرف أبداً كيف استطعنا البقاء على قيد الحياة. السجائر والنبيذ ومالكة السكن التي صدقت قصصنا عن المال الوارد لكنه غير متوفر في الوقت الحالي. كان الحصول على النبيذ ما ينبغي علينا فعله في المقام الأول.

كنا ننام طوال النهار تقريباً ونستيقظ حين توشك الظلمة أن تحل، كنا نشعر برغبة في النهوض.

ك: «اللعنة، لا أستطيع التخلي عن الشرب».

سكنت لأبقى في السرير وأدخن آخر سيجارة.

أنا: «حسناً، اللعنة، انزلي إلى متجر طوني واجلبي لنا زجاجتين من النبيذ الحلو».

ك: «خُمسيتان؟».

أنا: «بالتأكيد خمسيتان وليس جالو[1] أو ذاك النوع الآخر الذي يسبب لي الصداع مدة أسبوعين، واجلبي علبتي سجائر من أي نوع كان».

ك: «لكن لا يوجد سوى خمسين سنتاً هنا!».

أنا: «أعرف ذلك! اصفعيه بالباقي، ما المشكلة، هل أنت حمقاء؟».

ك: «هو يقول لم يعد....».

أنا: «هو يقول، هو يقول....من يكون هذا الرجل؟ الله؟ ضلليه، ابتسمي! الفتي انتباهه! اجعلي قضيبه ينتصب! خذيه إلى الغرفة الخلفية إذا لزم الأمر، اجلبي ذلك النبيذ فحسب».

---

(١) جالو: gallo من العلامات التجارية الشهيرة الخاصة بإنتاج النبيذ.

ك: «حسناً، حسناً».

أنا: «ولا تعودي من دونه».

قالت «ك» إنها أحبتني. كانت تربط شرائط حول قضيبي ثم تصنع قبعة صغيرة من الورق للرأس.

إذا عادت من دون النبيذ أو بزجاجة واحدة فقط، فسأنزل كالمجنون وأزمجر وأتذمر وأهدد العجوز حتى يعطيني ما أردت وأكثر. أحياناً أعود بالسردين والخبز ورقائق البطاطا المقلية. كانت تلك فترة جيدة. وعندما صفّى طوني أعماله رحبنا بالمالك الجديد الذي كان تحديه شاقاً، لكنه استطاع أن يؤثر فينا ويظهر الخير الذي في داخلنا.

٣

كان مثل حفار الخشب وربما كان حفار خشب بالفعل. استطعت أن أشم الزيت يحترق وهم يقحمون ذلك الشيء في رأسي ولحمي فيثقب ويخرج الدم والصديد. أجلس هناك مدلياً خيط روحي العابث من حافة المنحدر، مغطى ببثور لها حجم تفاحات صغيرة. كان أمراً سخيفاً ولا يصدق. هي أسوأ حالة رأيتها في حياتي، قال أحد الأطباء، لقد كان مسناً، يجتمعون من حولي مثل مخبول؛ كنت مخبولاً وما زلت. عندما كنت أركب الترام جيئة وذهاباً إلى جناح الجمعية الخيرية كان الأطفال يحدقون بي ويسألون أمهاتهم: «ما هي مشكلة ذلك الرجل؟ أمي، ما الذي حصل لوجه ذلك الرجل؟»، والأم تقوم بإسكاتهم ششششششش!!! تلك الـ «شش» كانت أسوأ استهجان، ومن ثم يستمرون بالسماح لصغار الأوغاد رجالاً ونساءً أن يحدقوا بي من فوق

ظهور مقاعدهم وأنظر من النافذة وأشاهد المباني التي نمر بها، أكون غارقاً مضروباً لا شيء أفعله. عجز الأطباء عن تسميته اسماً آخر سوى حب الشباب. أجلس لساعات على مقعد خشبي وأنا أنتظر مثقابي. يا لها من قصة مثيرة للشفقة! أتذكر المباني القرميدية القديمة والممرضات المريحات المطمئنات وضحك الأطباء وقد نجحوا؟ كنت قد أخذت فكرة خاطئة عن المستشفيات، الأطباء كانوا ملوكاً والمرضى هراء والمستشفى كانت موجودة، فالأطباء يمكنهم أن يجعلوها في تفوق أرديتهم البيضاء المنشاة، يمكنهم أن يجعلوها مع الممرضات أيضاً، د. د. د. اقرص مؤخرتي في المصعد، انسَ نتن السرطان والحياة. نحن لسنا حمقى مساكين، لن نموت أبداً، نحن نشرب عصير جزرنا، وعندما نشعر بسوء يمكننا تناول حبة دواء، إبرة، كل المخدرات التي نحتاجها. زقزقة، زقزقة، زقزقة، ستزقزق لنا الحياة وتمنحنا نجاحاً كبيراً. سأدخل وأجلس وسيضعون المثقاب في. **زيررررر زيررر زيررر، زير**، تبعث الشمس في هذه الأثناء زهور الأضاليا والبرتقال وتشع خلال أردية الممرضات لتقود المخابيل المساكين إلى الجنون. **زيررررر، زيررر، زيررر.**

«لم أرَ قط أحداً يتناول الإبرة بهذا الشكل!».

«انظر إليه، بارد كالفولاذ!».

اجتماع آخر لمضاجعي الممرضة، اجتماع للرجال الذين اقتنوا بيوتاً كبيرة ويملكون الوقت للضحك والقراءة والذهاب للعب وشراء اللوحات لكنهم نسوا كيف يفكرون، وكيف يحسون بأي شيء. أبيض منشى وخيبتي. الاجتماع.

«كيف تشعر؟».

«رائع».

«ألا تؤلمك الإبرة؟».

«عليك اللعنة».

«ماذا؟».

«قلت: عليك اللعنة».

«إنه مجرد ولد، إنه لاذع، لا يمكنك أن تلومه، كم عمرك؟».

«أربع عشرة سنة».

«كنت أثمن شجاعتك فحسب، طريقتك في تلقي الإبرة، أنت صلب».

«عليك اللعنة».

«لا يمكنك أن تتكلم معي بتلك الطريقة».

«عليك اللعنة».

«يجب عليك أن تتحمل بشكل أفضل، ماذا لو كنت أعمى؟».

«حينئذٍ لن يترتب عليّ النظر إلى وجهك اللعين».

«الولد مجنون».

«بالتأكيد مجنون، دعه وشأنه».

كان ذلك المستشفى ولم أدرك قطّ أنني سأعود من جديد بعد عشرين عاماً إلى القسم الخيري، المستشفيات والسجون والعاهرات هي جامعات الحياة، ولقد حصلت على شهادات عديدة؛ لذا بإمكانك أن تدعوني السيّد.

٤

سكنتُ مع شخص آخر في الطابق الثاني لمنزل كبير، كنت أعمل وهذا ما كاد يقتلنيْ؛ الشرب طوال الليل والعمل طوال النهار، كنت أرمي زجاجة من النافذة نفسها دائماً وآخذ تلك النافذة إلى متجر للزجاج يقع عند الناصية وأصلحها، أركب لها لوحاً من الزجاج، تكرر ذلك الأمر مرة في كل أسبوع، نظر الرجل إليَّ بطريقة غريبة جداً لكنه كان يأخذ نقودي في كل مرة فقد بدت له جيدة. كنت أشرب كثيراً بانتظام مدة خمسة عشر عاماً، وفي أحد الصباحات نهضت وكان ما كان:

دم يتدفق من فمي ومؤخرتي وغائط أسود وشلالات من الدم، للدم رائحة أكثر نتانة من البراز. اتصلَت بطبيب وجاءت سيارة الإسعاف تتعقبني. قال المرافقون وهم ينزلوني الدرج إنني شديد الضخامة وطلبوا مني أن أمشي، قلت لهم: «حسناً، أيها الرجال، بكل سرور، لا أريد أن تبذلوا جهداً كبيراً». صعدت كزهرة ذاوية على نقالة فتحوها من أجلي، جحيم زهرة. عند مروري وقف الجيران على أدراجهم ورؤوسهم خارج النوافذ، كانوا يرونني معظم الوقت ثملاً، يقول أحدهم: «انظري مِيبل، ها هو الرجل الفظيع يذهب!»، ويأتي الجواب من ميبل المسنة الطيبة: «ليرحمه الله!». تركت مقداراً من الدم على حافة النقالة، قال أحدهم: *«أوووه ـ هووووه»*.

رغم أنني كنت أعمل لكنني لم أكن أملك مالاً؛ لذا عدت إلى الجناح الخيري. كانت سيارة الإسعاف مزدحمة ومزودة برفوف والجميع في كل مكان فيها، قال السائق: «منزل حافل، لنذهب». كان ركوباً سيئاً فقد تأرجحنا ومِلنا وبذلت كل جهد لأمنع الدم من الخروج؛ لأنني لم أرغب بالتسبب بالقرف لأحد، سمعت صوت امرأة سوداء: «أوه، لا

يمكنني أن أصدق ما يحصل لي، لا يمكنني أن أصدق، أوه يا إلهي ساعدني!»، الله يحظى بشعبية كبيرة في مثل تلك الأمكنة.

وضعوني في قبو مظلم وقدم لي أحدهم شيئاً في كأس ماء، تقيأت بين الحين والآخر بعض الدم في وعاء التبول. كنا أربعة أو خمسة أشخاص في الأسفل. كان أحد الرجال ثملاً ومخبولاً لكنه بدا قوياً، نزع غطاءه وتجول في المكان متخبطاً هنا وهناك، وسقط على الرجال الآخرين، تفوّه بأشياء: «كن كن كنت، أنا كنت جوبا، أنا جوبا أنا جوبا، جوبا كنت، أنا جوبا». أمسكت بإبريق الماء لأضربه لكنه لم يقترب مني أبداً. أخيرا تهاوى في زاوية وأغمي عليه. بقيت في القبو طوال الليل وفي ظهر اليوم التالي نقلوني إلى الطابق الأعلى حيث الجناح ممتلئ، وضعوني في زاوية مظلمة، قالت إحدى الممرضات: «أوه، سيموت في تلك الزاوية المظلمة»، قالت الأخرى: «نعم».

في إحدى الليالي نهضت ولم أستطع أن أفعلها في العلبة، طرحت الدم على وسط الأرضية بكاملها، سقطت وكنت ضعيفاً جداً فلم أستطع النهوض. ناديت الممرضة لكن الأبواب المؤدية إلى الجناح كانت مصفحة وبسماكة ثلاث إلى ست بوصات ولم يتمكنوا من سماعي. كانت تمر ممرضة كل ساعتين لتتفحص الجثث. لقد دحرجوا الكثير من الموتى في الليل. لم أستطع النوم واعتدت أن أراقبهم؛ يزلقون الرجل من سريره ويجرونه على كرسي ذي عجلات مزيّتة بشكل جيد، ثم يشدون الغطاء على وجهه. صرخت: «يا ممرضة!»، ولم أعرف السبب بالضبط، قال لي أحد المسنين: «اخرس! نريد أن ننام». أغمي عليَّ.

عندما استعدت وعيي كانت الأضواء منارة وممرضتان تحاولان حملي، قالت إحداهن: «قلت لك ألا تغادر السرير»، لم أستطع أن

أتكلم؛ ثمة طبول تقرع في رأسي، شعرت بأنني مجوف أسمع كل شيء لكنني لم أستطع أن أرى، لم يبدُ لي سوى وهج الضوء، لم أشعر بالخوف والذعر بل بالانتظار؛ انتظار أي شيء بلا اهتمام.

قال أحدهم: «أنت بالغ الضخامة، اجلس على هذا الكرسي».

أجلسوني على الكرسي وجروني على الأرضية، لم أشعر بأني أزن أكثر من ستة باوندات. ثم تجمع الناس حولي، أتذكر طبيباً في الرداء الأخضر، رداء العمليات، يتحدث إلى رئيسة الممرضات بغضب:

«لِمَ لم يحصل هذا الرجل على نقل للدم؟ إن أمره عائد إلى... سي. سي».

«أُرسلت أوراقه من الطابق الأسفل عندما كنت في الأعلى، وملئت قبل أن أراها، فضلاً عن كونه لا يحمل معه بطاقة دم يا دكتور».

«أريد بعض الدم هنا، أريده هنا الآن!».

فكرت: «من يكون هذا الرجل؟ من الغريب جداً أن يكون طبيباً».

بدؤوا بنقل تسع باينتات من الدم وثمانية من الجلوكوز.

حاولت ممرضة أن تطعمني شرائح اللحم مع البطاطا والبازلاء والجزر كوجبة أولى. وضعت صينية أمامي، قلت لها:

«اللعنة، لا أستطيع أن آكل، هذا سيقتلني!».

قالت: «كُله، إنه على قائمتك ضمن نظامك الغذائي».

«اجلبي لي بعض الحليب».

«كُل ذلك» قالت، وذهبت تاركة وجبة الطعام، جاءت بعد خمس دقائق تهرج إلى الجناح، صرخت:

«لا تأكل ذلك! لا يمكنك أن تأكل ذلك!! هناك خطأ في القائمة!».

أخذت الوجبة وعادت بكوب من الحليب.

حالما فرغت أول زجاجة من الدم بداخلي أجلسوني على عجل وأنزلوني إلى غرفة التصوير الشعاعي. طلب مني الطبيب أن أقف وكنت أقع في كل مرة.

صرخ: «**اللعنة، جعلتني أخرب فيلماً آخر! الآن قف هناك ولا تقع!**».

حاولت لكنني لم أتمكن من الوقوف، سقطت إلى الوراء.

قال للممرضة: «أوه، اللعنة، خذيه بعيداً».

في أحد الفصح عزفت فرقة جيش الخلاص تحت نافذتنا مباشرة، كانت الساعة الخامسة صباحاً. عزفوا موسيقى دينية رهيبة بطريقة سيئة وبصوت مرتفع، كادت تلك الموسيقى أن تقتلني، شعرت باقترابي من الموت ذلك الصباح كما لم أشعر به من قبل، كان على بعد بوصة، على بعد شعرة. أخيراً غادروا إلى جزء آخر من الأرض وبدأت أعود إلى الحياة. يمكنني القول: إنهم قتلوا في ذلك الصباح نصف دزينة من المفتونين بموسيقاهم.

ثم ظهر أبي مع عاهرتي. كانت ثملة بوجه أحمر، عرفت أنه أعطاها نقوداً ثمناً للشراب وجلبها عمداً وهي في هذه الحالة رغبة في جعلي تعيساً. كنت والعجوز على عداء لوقت طويل، فهو لا يؤمن بكل ما أؤمن به، كان على الضفة الأخرى، تأرجحت فوق سريري، وقلت:

«لماذا جلبتها وهي على حالها هذا؟ لمَ لم تنتظر لتجيء في يوم آخر؟».

«لطالما قلت لك إنها لم تكن جيدة!».

«لقد جعلتها تثمل ثم جلبتها إلى هنا. لماذا تستمر في طعني؟».

«قلت لك إنها لم تكن جيدة، قلت لك، قلت لك!».

«أنت يا بن العاهرة، كلمة واحدة أخرى منك وسأنزع هذه الإبرة من ذراعي وأنهض وأضرب الخراء الذي يخرج منك!».

أمسك بها من ذراعها وغادرا.

خمنت أنهم أخبروهم هاتفياً بأنني كنت أحتضر، ما زلت أنزف باستمرار. جاء الكاهن في تلك الليلة، قلت:

«أبتِ، ليس تهجماً بل رجاءً، أودّ أن أموت من دون أي طقوس، من دون أي كلمات من الإنجيل».

فوجئت به يتأرجح ويهتز غير مصدق كما لو أني ضربته. قلت إنني فوجئت، لأنني فكرت أن هؤلاء الفتية كانوا أكثر ظرفاً من ذلك. لكن حينئذٍ مسحوا مؤخراتهم أيضاً.

قال الرجل العجوز: «أبتِ، تحدث إلي، يمكنك أن تتحدث إلي».

تقدم الكاهن نحوه وكان الجميع سعداء.

مضى ثلاثون يوماً على الليلة التي دخلت فيها إلى هنا، كنت أقود شاحنة وأحمل حزماً تزن خمسين باونداً. بعد أسبوع شربت مشروبي الأول الذي قالوا إنه سيقتلني، أظن أنني يوماً ما سأموت في تلك المؤسسة الخيرية اللعينة؛ فأنا لا أستطيع التظاهر بالهرب.

٥

ساء حظي مرة ثانية، كنت شديد التوتر في هذا الوقت من فرط شرب النبيذ، بدوت ضعيفاً وعيوني متسعة، شديد الاكتئاب لأجد بديلي

المؤقت المعتاد، توقفت عن العمل كموظف شحن أو فتى مخزن؛ لذا ذهبت إلى شركة تغليف اللحوم ودخلت إلى المكتب.

«ألم أرك من قبل؟» سأل الرجل.

«لا» كذبت.

كنت هناك منذ سنتين أو ثلاث سنوات وقدمت أوراق العمل كلها؛ الفحص الطبي وغير ذلك، ونزلت معه الدرج إلى الطابق الرابع تحت الأرض والجو يزداد برودة أكثر فأكثر، كانت الأرضيات مكسوة ببريق الدم، أرضيات خضراء وجدران خضراء. شرح لي العمل؛ وهو الضغط على زر ثم يصدر من الحفرة في الجدار ضجيجاً يشبه سحق مدافعين في كرة القدم أو سقوط فيلة ثم يجيء شيء ميت مدمى تأخذه ترميه على الشاحنة وتضغط الزر ويأتي واحد آخر.

عندما ابتعد خلعت قميصي وقبعتي الفولاذية وجزمتي (الموزعة بثلاثة قياسات صغيرة جداً) وصعدت الدرج وخرجت من هناك. الآن أنا في الخلف.

«تبدو كبيراً جداً على العمل».

«أريد أن أصبح شديد البأس. أحتاج إلى عمل شاق جيد» كذبت.

«هل يمكنك القيام به؟».

«أنا شجاع، اعتدت أن أكون الخاتم، لقد قاتلت الأفضل».

«أوه، نعم؟».

«نعم».

«أممم، أستطيع أن أرى في وجهك آثار مشاجرات عنيفة».

«لا تهتم بوجهي، ما زال لدي يدان سريعتان، عليَّ أن آخذ بعض المغاطس لأجعلها جيدة المنظر».

«أنا أتابع الملاكمة. لا أتذكر اسمك».

«لقد قاتلت باسم آخر؛ كيد ستار دست».

«كيد ستار دست؟ لا أتذكر كيد ستار دست».

«لقد قاتلت في أمريكا الجنوبية وإفريقيا وأوربا والجزر وفي بلدات صغيرة. لهذا السبب توجد تلك الفجوات في سجلي الوظيفي، لا أحب أن أسجل بوصفي ملاكماً؛ لأن الناس سيظنون أنني أمزح أو أكذب، غادرت للتو فريق البيض وليذهبوا إلى الجحيم».

«لا بأس، تعال غداً في الساعة التاسعة والنصف من أجل فحصك الطبي، سنشغلك، تقول إنك تريد عملاً شاقاً؟».

«حسناً، إذا كان لديك شيء آخر..».

«لا، ليس الآن. أنت تعلم، عمرك يبدو قريباً من الخمسين. أتساءل إذا ما كنت أقوم بالتصرف المناسب؟ نحن لا نريد أن يضيع الناس وقتنا».

«أنا لست أناساً، أنا كيد ستار دست».

ضحك: «حسناً، كيد، سنشغلك!».

لم تعجبني طريقته في قولها.

بعد يومين دخلت بوابة الكوخ الخشبي حيث أبرزت لرجل مسن ورقة مكتوب عليها اسمي: هنري تشيناسكي، أرسلني إلى رصيف التحميل، كنت سأرى ثورمان، تقدمت إليه، كان هناك مجموعة من

الرجال جالسين على مقعد خشبي، نظروا إليَّ كما لو أنني مثلي أو سلة مهملات.

نظرت نحوهم مع ما تخيلت أن تكون نظرة احتقار وتشدقت بأفضل ما لدي من أساليب الأزقة الخلفية:

«أين ثورمان. من المفترض أن التقي بذلك الرجل».

أشار أحدهم.

«ثورمان؟».

«نعم؟».

«أنا أعمل من أجلك».

«نعم؟».

«نعم».

نظر إلي.

«أين جزمتك؟».

«جزمة؟ لم أحصل على واحدة» قلت.

مد يده تحت المقعد وناولني جزمة قاسية صلبة قديمة، انتعلتها، القصة القديمة نفسها: أصغر بثلاثة قياسات، كان إبهامي مسحوقين ومقوسين، ثم أعطاني قميصاً وخوذة، ارتديتهما ووقفت وهو يشعل سيجارة، أو كما قد يقول الإنجليزي: بينما أشعل سيجارته، رمى عود الثقاب بهدوء بتلويحة رجولية.

«تعال».

كانوا جميعهم من الزنوج وعندما صعدت نظروا إليَّ كما لو أنني

مسلم أسود، كان طولي أكثر من ستة أقدام لكنهم كانوا أطول مني، وإذا لم يكونوا أطول فهم أعرض مرتين أو ثلاث مرات.

«هانك!» صاح ثورمان.

هانك، فكرت. هانك، اسمي. هذا ظريف.

كنت أتعرق تحت الخوذة الفولاذية.

«شغلهم!!».

يسوع المسيح يا يسوع المسيح. ما الذي حدث لليالي الحلوة الهنية؟ لماذا لم يحدث هذا لوالتر وينشيل[1] الذي يؤمن بالأسلوب الأمريكي؟ ألم أكن واحداً من أكثر الطلاب روعة في علم الإنسان؟ ما الذي حدث؟ تولاني هانك وأوقفني في الميناء أمام شاحنة فارغة طولها نصف مبنى.

«انتظر هنا».

بعدئذٍ جاء العديد من المسلمين السود يركضون بعجلات يد مطلية بأبيض أجرب ومكبب مثل أبيض ممزوج ببراز الدجاج. وكل عجلة يد كانت مزودة بكتل من لحم الخنزير الذي عام بالدم الرطب الهزيل. لا، هو لم يكن يعوم بالدم، لقد جلس فيه مثل الرصاص والقذائف والموت.

قفز أحد الفتية إلى الشاحنة خلفي وبدأ الآخر يرمي قطع اللحم نحوي لالتقطها وأرميهما إلى الفتى في الخلف الذي بدوره يرميها في خلفية الشاحنة. كانت قطع اللحم تأتي سريعاً وقد كانت ثقيلة وتزداد ثقلاً. حالما أرمي واحدة والتفت كانت أخرى في طريقها إلي في الهواء.

---

(١) Walter Winchell (١٨٩٧-١٩٧٢): صحافي أمريكي ومعلق إذاعي.

عرفت أنهم كانوا يحاولون كسري. سرعان ما كنت أتعرق كما لو أن صنبوراً انفتح، آلمني ظهري وخاصرتاي أيضاً وتأذت ذراعاي، كل شيء تأذى وكنت أهبط حتى آخر أونصة مستحيلة من الطاقة الهزيلة. استطعت بصعوبة أن أرى وأستجمع قواي لالتقاط قطعة لحم أخرى وأرميها، كنت ملطخاً بالدم وواصلت الإمساك بالميت الناعم الثقيل الذي يسقط فجأة بين يدي. كان اللحم يشبه قليلاً عجيزة المرأة، وأنا ضعيف جداً بحيث لا يمكنني الكلام والقول، «هيه، أي جحيم هي مشكلتكم يا شباب؟» اللحم قادم وأنا أدور على أعقابي، مسمر مثل رجل على صليب تحت خوذة من الفولاذ، وقد واصلوا الجري محملين العربات بقطع اللحم وأخيراً جميعها فارغة، وقفت أتأرجح وأتنفس الضوء الأصفر الكهربائي. كانت ليلة في الجحيم، لقد أحببت دوماً العمل ليلاً.

«هيا!».

أخذوني إلى غرفة أخرى من خلال مدخل عريض عالياً في جدار بعيد نصف عجل، أو قد يكون كاملاً، نعم، كانوا عجولاً كاملة، تعال فكر به، السيقان الأربعة، وواحد منها خرج من الحفرة على الخطاف مقتولاً للتو، وقف العجل أمامي تماماً، كما علق فوقي ثلاثة على ذلك الخطاف.

فكرت: «لقد قتلوه للتو، لقد قتلوا الشيء اللعين، كيف يمكنهم أن يعرفوا الرجل من العجل؟ كيف يعرفون أنني لست عجلاً؟».

«حسناً، أرجحه!».

«أرجحه؟».

«صحيح، أرقص معه!».

«ماذا؟».

«أوه، لأجل المسيح! جورج تعال إلى هنا!».

أمسك جورج بعجل ميت من أسفله، اختطفه، واحد: ركض متقدماً، اثنان: ركض للخلف، ثلاثة: ركض للأمام. كان العجل تقريباً بموازاة الأرض. ضغط أحدهم زراً وأخذه. حصل عليه من أجل محلات اللحوم في العالم. حصل عليه من أجل الزوجات الحمقاوات الثرثارات المخبولات المستجمات في الساعة الثانية بعد الظهر في أثوابهن المنزلية، يدخنّ سجائر مبقعة بالأحمر ولا يشعرن بشيء تقريباً.

وضعوني تحت العجل الثاني.

واحد، اثنان، ثلاثة.

أمسكته، إنها عظام ميت مقابل عظامي الحية، إنه لحم ميت أمام لحمي الحي. امتزج العظم والوزن، فكرت بعاهرة مثيرة جالسة أمامي على الأريكة وساقاها متصالبتان إلى الأعلى وأنا ممسك الشراب بيدي أسلك طريقي نحو جسدها ببطء وثقة وذهن صافٍ، صرخ هانك:

«علّقها في الشاحنة!».

ركضت نحو الشاحنة. عار الهزيمة الذي تعلمته في باحات مدارس أمريكا وأنا فتى قالَ لي إنه لا ينبغي أن أرمي العجل على الأرض؛ لأن هذا سوف يثبت أنني جبان ولست رجلاً وبأنني لا أستحق الكثير، فقط السخرية والضحك، كان عليك أن تكون رابحاً في أمريكا، ليس هناك من مخرج، عليك أن تتعلم القتال بلا مقابل من دون سؤال، إلى جانب أنه إذا ما أوقعت العجل قد يترتب عليَّ أن ألتقطته، وأعلم أنني لن أتمكن أبداً من رفعه، كما أنه سيتسخ ولم أرغب قط في ذلك، أو بالأحرى هم لم يرغبوا بذلك.

رميته في الشاحنة.

«علقه!».

كان الخطاف المعلق في السقف جافاً كإبهام رجل من دون ظفر، تجعل أسفل العجل ينزلق وتذهب إلى الرأس، تنكز الجزء الأعلى أمام الخطاف مراراً وتكراراً لكن الخطاف لن يدخل فيه، مؤخرة أمك!! كان كله غضروفاً ودهناً، قاس، قاس.

«هيا! هيا!».

منحته آخر ما ادخرت من قوه ودخل الخطاف من خلاله، كان منظراً جميلاً، إنها معجزة فالخطاف دخل فيه، والعجل بعيداً عن كتفي معلقاً من أجل ثرثرة الأثواب المنزلية ومتجر الجزارة.

«تحرك!».

زنجي وزنه ٢٨٥ باونداً، وقح، قاس، بارد، عسير، دخل وعلق لحمه بنترة ثم نظر إليّ، وقال:

«نحن نحافظ على الدور هنا!».

«حسناً، يا صديق».

خرجت بمواجهته. عجل آخر ينتظرني. في كل مرة كنت أحمل فيها واحداً كنت أثق أنه سيكون الأخير الذي سأتمكن من حمله لكني واصلت القول: واحد آخر، فقط واحد آخر ثم توقفت، عليه اللعنة.

كانوا ينتظرون مني أن أتوقف. لمحت العيون والابتسامات فيما كانوا يظنون أنني لا أراهم. لم أرغب في منحهم انتصاراً. ذهبت من أجل عجل آخر، طعنة أخيرة من لاعب ناجح كبير مرهق، ذهبت من أجل اللحم، واظبت فترة ساعتين، ثم صرخ أحدهمْ: «استراحة».

لقد فعلتها، عشر دقائق استراحة وبعض القهوة، وهم لم يجعلوني

أتوقف قط. خرجت خلفهم نحو عربة الغداء، رأيت البخار يعلو من القهوة والكعك المحلى والسجائر وكعك القهوة والشطائر تحت الأضواء الكهربية.

«هيه، أنت!».

لقد كان هانك، مثلي.

«نعم هانك؟».

«قبل أن تحصلْ على استراحتك، قُد الشاحنة وأخرجها إلى الحجرة ١٨».

كانت الشاحنة التي حملناها منذ قليل، طولها نصف كتلة بناء، والحجرة ١٨ تقع مقابل الفناء. تدبرت أمر فتح الباب ودخلت الشاحنة كان لها مقعد جلدي ناعم وقد بدا جيداً جداً ذلك أني أعلم أنه لو لم أقاتله سرعان ما سيكون نائماً. لم أكن سائق شاحنة. نظرت إلى الأسفل ورأيت نصف دزينة من مبدلات السرعة، قطع، دواسات... إلخ. دورت المفتاح وأقلعت الآلية. لعبت بالدواسات ومبدلات السرعة حتى بدأت الشاحنة بالتدحرج، قدتها عبر الفناء نحو الحجرة ١٨ مفكراً طوال الوقت بأن لدى عودتي ستكون عربة الغداء قد رحلت. هذا كان مأساة حقيقية بالنسبة إليَّ، ركنت الشاحنة، أوقفت المحرك وجلست دقيقة أحس بالنعومة الإلهية لذلك المقعد الجلدي ثم فتحت الباب وخرجت. تهت عن درجة ووقعت على الأرض بقميصي الملوث بالدم وخوذة المسيح المصنوعة من الفولاذ مثل رجل سهم. لم أصب بأذى، نهضت مباشرة لأرى عربة الغداء تبتعد عبر البوابة وتهبط الشارع. رأيتهم يعودون نحو الرصيف يضحكون ويشعلون السجائر.

خلعت جزمتي وقميصي وخوذتي الفولاذية وتوجهت إلى الكوخ عند مدخل الفناء. رميتهم في الصندوق. نظر الرجل الكبير إلي:

«*ماذا؟ هل ستترك هذا العمل الجيد؟*».

«أبلغهم أن يرسلوا لي الصك مقابل ساعتي العمل أو قل لهم أن يلصقوه بمؤخراتهم، لا فرق لدي».

خرجت، مشيت في الشارع نحو حانة مكسيكية وشربت بيرة ثم استقليت حافلة ذاهبة إلى بيتي. باحة المدرسة الأمريكية طردتني مجدداً.

٦

في الليلة التالية كنت جالساً في حانة بين امرأة تضع خرقة على رأسها وامرأة لا تضع شيئاً على رأسها، وكانت مجرد حانة بليدة، معيبة، تبعث على الاكتئاب، قاسية، تفوح منها رائحة كريهة، فقيرة، ومرحاض الرجال الصغير يفوح بروائح تجعلك تطرح، ولا تستطيع أن تتغوط هناك، فقط تتبول وتتقيأ وتدير رأسك باحثاً عن ضوء، وتصلي من أجل أن تمسك بمعدتك فقط لليلة أخرى.

بقيت زهاء ثلاث ساعات أشرب وأشتري الشراب لتلك التي لا تضع خرقة على رأسها. لم تبدُ سيئة، تنتعل حذاء ثميناً، ساقاها جميلتان، وخلفيتها على وشك أن تتهاوى، هذا هو شكلهن الأكثر إثارة بالنسبة إليَّ.

ابتعت شرابا آخر، شرابين آخرين.

قلت لها: «هذا هو، أنا مفلس».

«أنت تمزح».

«لا».

«هل لديك مكان للإقامة؟».

«ما يزال هناك يومان على دفع الإيجار».

«هل تعمل؟».

«لا».

«ماذا تفعل؟»

«لا شيء».

«أقصد، كيف استطعت أن تعيش؟».

«لقد كنت وكيلاً لفارس لفترة. وكان عندي صبي جيد لكنهم قبضوا عليه مرتين وهو يحمل بطارية في بوابة الانطلاق فمنعوه، أمارس بعض الملاكمة والمقامرة، حاولت تربية الدجاج؛ كنت أجلس طوال الليل أحرسهم من الكلاب الشاردة في التلال، لقد كان عملاً قاسياً، ثم في أحد الأيام تركت سيجاراً يحترق في الريشة وأحرقت نصفهم بالإضافة إلى كل ديكتي الجيدين. حاولت تصويل الذهب في شمال كاليفورنيا، عملتُ منادياً على الشاطئ، جربت السوق، جربت بيع قصير، لم ينجح شيء، أنا فاشل».

قالت: «أنهِ شرابك، وتعال معي».

«تعال معي» تلك بدت جيدة. أنهيت شرابي وتبعتها إلى الخارج، مشينا في الشارع وتوقفنا أمام متجر للخمور.

قالت: «الآن حافظ على هدوئك، دعني أتحدث».

دخلنا. اشترت بعض السلامي والبيض والخبز ولحم الخنزير المقدد

والبيرة والخردل الحار والمخللات وخمسيتين من ويسكي جيدة وبعض الالكاسسيلتزر وبعض التشكيلة من. سجائر وسيجار.

«سجلها على حساب ويلي هانسن». قالت للموظف.

خرجنا بالأغراض، اتصلت بسيارة أجرة من الصندوق عند الناصية، ظهرت السيارة وركبنا في الخلف.

«من هو ويلي هانسن؟» سألت.

«لا يهم». قالت.

ساعدتني في غرفتي على وضع الأشياء القابلة للفساد في الثلاجة، ثم جلست على الأريكة مصالبةً ساقيها الجميلتين، تركل وتلوي كاحلاً، تنظر إلى حذائها الجميل ذي الأزرار المعدنية، قشرت غطاء خمسية ووقفت أمزج شرابين قويين، لقد كنت ملكاً من جديد.

في تلك الليلة توقفت في وسط السرير ونظرت إليها من تحتي.

«ما اسمك؟» سألت.

«وأي جحيم سيحدث فرقاً؟».

ضحكت وواصلت قدماً.

نفذ الإيجار، وضعت كل شيء، لم يكن كثيراً، في حقيبة أوراقي، وبعد نصف ساعة تمشينا مشية متقطعة حول متجر لبيع الفراء بالجملة، كان هناك منزل قديم من طابقين، قرعت بيبر (اسمها، أخيراً أفصحت لي عنه) الجرس وقالت لي:

«ابق في الخلف، فقط دعه يراني، عندما يرن الجهاز سأدفع الباب وتتبعني إلى الداخل».

يختلس ويلي هانسن دائماً النظر إلى الدرج حتى المنتصف فهو لديه

مرآة تريه الشخص الواقف على الباب وحينها يقرر إذا ما كان سيفتح أم لا، قرر أن يفتح، رن الجرس فتبعت بيبر إلى الداخل تاركاً حقيبتي أسفل الدرج. لاقاها عند أعلى الدرج «حبيبتي، ما أحسن رؤيتك»، كان مسناً جداً وبذراع واحدة، لف الذراع حولها وقبلها، ثم رآني، قال:

«من يكون هذا الرجل؟».

«أوه ويلي، أود أن أعرفك إلى صديقي، هذا الولد».

«مرحباً» قلت.

لم يجبني.

«الولد؟ إنه لا يبدو مثل ولد».

«كيد لاني، لقد اعتاد أن يلاكم تحت اسم كيد لاني».

«كيد لانسيلوت» قلت.

ذهبنا إلى المطبخ، أخرج ويلي زجاجة وصب بعض المشروبات، جلسنا إلى الطاولة وسألني:

«كيف تجد الستائر؟ صنعتها الفتيات لي، لديهن الكثير من المواهب».

«أحب الستائر» قلت له.

«ذراعي تقسو، بالكاد يمكنني أن أحرك أصابعي، أظن أنني سأموت، لا يستطيع الأطباء اكتشاف المشكلة، تظن الفتيات أنني امزح ويضحكن علي».

«أصدقك» قلت له.

شربنا شرابين آخرين.

قال ويلي: «تعجبني، تبدو كما لو أنك كنت بالقرب، تبدو راقياً، أغلب الناس ليس لديهم رقي».

قلت: «لا أعرف شيئاً عن الرقي، لكنني كنت قريباً».

شربنا مشاريب أخرى ودخلنا إلى الغرفة الأمامية. ارتدى ويلي قبعة البحارة وجلس إلى الأرغن وبدأ يعزف بيد واحدة، بدا الصوت مرتفعاً. رأيت أرباعاً وقروشاً وأنصافاً ونيكلات على الأرض، لم ألق أسئلة، جلسنا نشرب ونصغي إلى الأرغن. صفقت بخفة عندما انتهى، قال لي:

«كانت الفتيات هنا الليلة الماضية، وعندما صرخ أحدهم: هجوم! رأيتهن يهرعن؛ بعضهن عاريات وبعضهن بالسراويل الداخلية والصدريات، جميعهن ركضن واختبأن في الكراج. كان مسلياً كالجحيم! جلست هنا وأتين واحدة فواحدة من الكراج، كان مسلياً بالتأكيد!».

«من الذي صرخ؟» سألت.

«أنا». قال.

دخل غرفة نومه، خلع ملابسه واستلقى في سريره. دخلت بيبر وقبلته وتحدثت إليه في حين كنت أتجول وألتقط القطع النقدية من الأرض. عندما خرجت أشارت إلى أسفل الدرج، نزلت وأخذت الحقيبة وصعدت بها.

٧

في كل مرة يضع قبعة القبطان في الصباح، كنا نعلم بأننا سنخرج على اليخت. سيقف أمام المرآة يضبطها على الزاوية المناسبة وستأتي

واحدة من الفتيات راكضة لتقول لنا: «سنخرج على اليخت، ويلي يضع قبعته».

خرج والقبعة على رأسه، تبعناه إلى الكراج في الأسفل من دون أن ننبس ببنت شفة، سيارته قديمة جداً لها مقعد خلفي، ركبت الفتيات الثلاثة في أحضان ويل في المقدمة، بينما أنا وبيبر كنا في المقعد الخلفي، قالت: «هو يخرج فقط عندما لا يشرب ولا يكون ثملاً، الوغد لا يريد أن يشرب أي شخص، راقب إذن».

«اللعنة، احتاج إلى شراب».

«نحن جميعاً بحاجة إلى شراب» قالت. أخذت باينت من حقيبتها وفتحت الغطاء، ناولتني الزجاجة.

«انتظر حتى يتفحصنا في مرآة الخلفية ثم في الدقيقة التي تعود فيها للنظر إلى الطريق خذ رشفة».

نجحنا في ذلك، ومع وصولنا إلى سان بيدرو كانت الزجاجة فارغة، أخرجت بيبر بعض العلكة وأشعلت سيجاراً وخرجنا.

كان يختاً جميل المنظر بمحركين، وقف ويلي يريني كيفية إقلاع المحرك المساعد في حالة حصول أي مشكلة. وقفت غير مصغ، مومئاً. نوع من الهراء عن سحب حبل رغبة في إقلاع الشيء، علمني كيف أجذب المرساة وأفك المراسي عن الرصيف، لكنني كنت أفكر فقط بشراب آخر، ومن ثم سحبنا، ووقف هناك في الحجرة بقبعة القبطان يوجه الشيء والفتيات كلهن حوله.

«أوه ويلي، دعني أقود!».

«ويلي، دعني أقود!».

لم أرغب في القيادة. كان للمركب اسم صاحبه نفسه ويلهان؛ اسم رهيب، كان عليه أن يسميه **الفرج العائم**.

تبعت بيبر إلى المقصورة حيث وجدنا مزيداً من الشراب، بقينا هناك نشرب، سمعته يوقف المحرك وينزل الدرج، قال: «سنعود».

«لماذا؟».

«كوني في واحدة من حالات غضبها. أخشى أن تقفز من المركب فهي لم تقبل أن تحدثني، إنها تجلس هناك محدقة فحسب، لا يمكنها السباحة، أخشى أن تقفز».

(كانت كوني تلك التي تضع الخرقة حول رأسها).

«دعها تقفز، سأنقذها وأضربها وأخرجها، ما زلت أملك قبضتي ثم سأجرها، لا تقلق بشأنها».

«لا، نحن ماضون، إلى جانب أنكم أيها الناس كنتم تشربون!».

صعد إلى الأعلى. سكبت مزيداً من الشراب وأشعلت سيجاراً.

٨

عندما ضربنا الرصيف نزل ويلي وقال إنه سيعود، ترك الفتيات وقاد مبتعداً بسيارته، غاب مدة ثلاثة أيام وثلاث ليالي.

«هو غاضب» قالت إحدى الفتيات.

«نعم» قالت الأخرى.

يوجد الكثير من الطعام والشراب لذا بقينا منتظرين ويلي. كان مع

بيبر أربع فتيات، والجو بارد رغم الشرب والأغطية. كان هناك فقط طريقة واحدة لتشعر بالدفء؛ لعبت الفتيات بلعبة تشبه المزحة.

«أنا التالية!» ستصرخ واحدة منهن.

«أظن بأني سآتي». الأخرى ستقول.

قلت: «هل تظنين أنك ستأتين، ماذا عني؟».

ضحكن. أخيراً لم أعد أستطيع فعلها.

كان معي مكعبي الأخضر. جلسنا على الأرض وبدأنا نلعب لعبة تافهة. كان الجميع ثملاً والفتيات معهن المال كله، أما أنا فلا أملكه، لكن سرعان ما حصلت على القليل من المال. هن لم يفهمن اللعبة فشرحتها لهن أثناء اللعب، غيرت اللعبة ونحن نلعب لتناسب الظروف.

عندما عاد ويلي وجدنا نلعب القمار ونثمل، فصرخ وهو في أعلى الدرج: «**أنا لا أسمح بالقمار على هذه السفينة!**».

صعدت كوني الدرج ووضعت ذراعيها حوله وأقحمت لسانها في فمه ثم اختطفت أعضاءه، نزل الدرج مبتسماً، صب شراباً لنا جميعاً وجلسنا نتحدث ونضحك، تحدث عن أوبرا يكتبها للأرغن. *إمبراطور سان فرانسيسكو*. وعدته بأني سأكتب الكلمات للموسيقى. في تلك الليلة عدنا إلى البلدة ونحن نشرب ونشعر بشعور جيد. كانت تلك الرحلة نسخة تقريباً عن كل رحلة. في إحدى الليالي مات ويلي، فأصبحنا أنا والفتيات في الشارع مرة ثانية، عادت أخت ما من الشرق وحصلت على كل دايم وأنا ذهبت للعمل في مصنع لبسكويت الكلاب.

٩

أعيش في شارع كينجسلي وأعمل موظف شحن لمتجر يبيع تمديدات الكهرباء السقفية. كان وقتاً هادئاً إلى حد كبير. في كل ليلة أشرب الكثير من البيرة وأنسى أن آكل. اشتريت آلة كاتبة مستعملة قديمة من ماركة أندروود، كانت مفاتيحها تعلق. لم أكتب شيئاً منذ عشر سنوات. ثملت من البيرة وبدأت أكتب الشعر وسرعان ما تراكمت أمامي الأعمال ولم أعرف ماذا سأفعل بها. وضعتها في مغلف واحد وأرسلتها إلى مجلة جديدة في بلدة صغيرة في تكساس. اكتشفت أن ما من أحد سيأخذ الأشياء لكن على الأقل أحدهم سيغضب، إذاً فلن تكون مضيعة للوقت.

وصلتني رسائل طويلة عدة تصفني بالعبقري والمروع وبأنني كنت الله. قرأت الرسائل مراراً وتكراراً وثملت وكتبت رسالة طويلة. أرسلت المزيد من القصائد، تابعت كتابة القصائد والرسائل كل ليلة، لقد كنت مفعماً بالهراء.

أرسلت المحررة، والتي كانت كاتبة أيضاً نوعاً ما، صورها وهي لم تبد سيئة على الإطلاق. بدأت الرسائل تأخذ طابعاً شخصياً. قالت إن ما من أحد سيتزوجها، وإن محررها المساعد شاب سيتزوجها مقابل نصف ميراثها، لكنها قالت إنها لا تملك مالاً، والناس يفكرون بأنها تملك مالاً. تمدد المحرر المساعد لاحقاً في جناح عقلي، ظلت تكتب:

«قصائدك ستنشر في عددنا التالي؛ عدد تشيناسكي الكامل، وما من أحد سيتزوجني، لا أحد، لدي عاهة في عنقي، لقد خلقت هكذا ولن أتزوج أبداً».

ذات ليلة كنت ثملاً، كتبت: «سأتزوجك، انسي أمر العنق، أنا أيضاً لست مثيراً جداً، أنت برقبتك وأنا بوجهي الذي يشبه مخالب الأسد، يمكنني أن أتخيل منظرنا ونحن نمشي في الشارع معاً».

أرسلت الرسالة ونسيت أمرها، شربت زجاجة أخرى من البيرة ونمت.

وصلتني رسالة: «أوه، تغمرني السعادة! الجميع ينظر إليّ ويقول نيكي ما الذي حصل لك؟ **أنت مشعة، متفجرة!!! ما هذا؟ لم أخبرهم! أوه هنري أنا سعيدة جداً!**».

كما أرفقت بعض الصور، لا سيما البشعة منها. ارتعبت. خرجت واشتريت خمسية ويسكي، نظرت إلى الصور، شربت الويسكي. جلست على البساط:

«يا رب أو يا يسوع ما الذي فعلته؟ ما الذي فعلته؟ حسناً، سأقول لك ماذا، يا أولاد، أنا ذاهب لأنذر بقية حياتي لجعل تلك المرأة المسكينة سعيدة، سيكون جحيماً لكنني شديد وأي طريق أفضل من جعل شخص ما سعيداً؟».

نهضت ولست واثقاً جداً من القسم الأخير...

بعد أسبوع كنت في محطة الحافلات ثملاً أنتظر الواصلين في الحافلة القادمة من تكساس، نادوا على الحافلة بمكبر الصوت وكنت جاهزاً للموت. راقبت النساء وهن يدخلن من البوابة محاولاً أن أطابقهن مع الصور ثم رأيت شقراء شابة، عمرها ثلاثة وعشرون، ساقاها جميلتان، ومشيتها حيوية، وجهها بريء ومتكبر، أنيقة، سأخمن أنك

قد تدعوها، ولم تكن الرقبة سيئة على الإطلاق. كنت في عمر الخامسة والثلاثين حينذاك، تقدمت نحوها.

«هل أنت نيكي؟».

«نعم».

«أنا تشيناسكي. دعيني أحمل حقيبتك».

خرجنا إلى ساحة انتظار السيارات.

«انتظرتك ثلاث ساعات متوتراً وعصبياً، عبرتُ جحيم الانتظار. كل ما استطعت فعله هو أن أشرب قليلاً في الحانة».

وضعت يدها على محرك السيارة، وقالت:

«هذا المحرك ما يزال ساخناً، أنت أيها الوغد وصلت للتو!».

ضحكت.

«أنت على حق».

ركبنا السيارة القديمة وسرعان ما تزوجنا في فيجاس، وقد كلف المال الذي كان بحوزتي، عادت الحافلة إلى تكساس. صعدت الحافلة معها وفي جيبي خمس وثلاثون سنتاً.

«لا أعرف إذا ما فعلته سيعجب أبي». قالت.

صليت: «أوه، يا يسوع! أوه، يا الله! ساعدني لأكون قوياً، ساعدني لأكون شجاعاً».

مالت بعنقها وتلوت طوال الطريق إلى تلك البلدة الصغيرة في تكساس. وصلنا في الساعة الثانية والنصف صباحاً ونحن ننزل من الحافلة فكرت بأني سمعت السائق يقول:

«من ذلك المتبطل الذي معك يا نيكي؟».

وقفنا في الشارع وسألتها وأنا أخشخش بالخمس وثلاثين سنتاً في جيبي: «ما الذي قاله سائق الحافلة؟ ما الذي قاله لك؟».

«لم يقل شيئاً، تعال معي».

صعدت درج مبنى في وسط البلدة.

«هيه، إلى أي جحيم أنت ذاهبة؟».

وضعت مفتاحاً في الباب فانفتح. نظرت أعلى الباب حيث نحتت كلمات في الحجر: قاعة المدينة، دخلنا.

«أريد أن أرى إذا ما تلقيت أي بريد».

دخلت ونظرت في مكتبها.

«اللعنة، ما من بريد سأضرب تلك العاهرة التي سرقت بريدي!».

«أي عاهرة؟ أي عاهرة حبيبتي؟».

«لدي عدو. انظر، اتبعني».

نزلنا إلى الصالة وتوقفت أمام عتبة باب وأعطتني دبوس شعر.

«انظر إذا ما كان باستطاعتك أن تفتح هذا القفل».

وقفت هناك أحاول وأنا أتخيل العنوان: **وجد كاتب مشهور يتسلل مع مومس تائبة إلى مكتب المحافظ!**

لم أستطع فتح القفل.

عدنا إلى بيتها، قفزنا على السرير وواصلنا ما كنا نعمله في الحافلة، بقيت معها مدة أيام. ذات صباح قرع الجرس في الساعة التاسعة تقريباً، كنا في السرير، سألتها:

«أي جحيم؟».

«اذهب وانظر» قالت.

لبست بعض الثياب وفتحت الباب، كان القزم واقفاً وهو يرتعد من رأسه حتى أخمص قدميه، كان مصاباً بمرض ما. وكان يضع قبعة سائق تكسي.

«السيد تشيناسكي؟».

«نعم؟».

«طلب مني السيد داير أن أريك الأطيان».

«انتظر دقيقة».

عدت إلى الداخل. «حبيبتي، هناك قزم في الخارج يقول إن السيد داير يريد أن يريني الأطيان، إنه قزم ويرتجف كلياً».

«حسناً، اذهب معه، إنه أبي».

«من؟ القزم؟».

«لا، السيد داير».

انتعلت حذائي وجواربي وخرجت إلى الشرفة، قلت: «حسناً يا رفيق، لنمض»، قدنا في البلدة وخارجها، وطوال الوقت يشير القزم إلى المزارع ويقول: «السيد داير يملك ذلك»، وأنا أنظر إلى ما يشير إليه ولم أقل شيئاً.

قال: «يملك السيد داير تلك المزارع كلها وهو يدعهم يعملون على تقسيم الأرض إلى قسمين».

انطلق القزم إلى غابة خضراء وأشار.

«هل ترى تلك البحيرة؟».

«نعم».

«هناك سبع بحيرات مليئة بالسمك. هل ترى الديك الرومي هناك؟».

«نعم».

«هذا ديك رومي بري. السيد داير اشترى كل ذلك للصيد ولنادي اللعب الذي يديره. بالطبع، السيد داير وأي واحد من أصدقائه يمكنه أن يذهب في أي وقت يريد. هل تصيد السمك أو الطيور؟».

«لقد اصطدت كثيراً في حياتي» قلت له.

واصلنا السير.

«ذهب السيد داير إلى المدرسة هناك».

«حقاً؟»

«نعم، تماماً في ذلك المبنى القرميدي، اشتراه وجدده كنوع من تذكار».

«رائع».

انطلقنا عائدين.

«شكراً» قلت له.

«هل تريد أن أعود غداً صباحاً. هناك المزيد».

«لا، شكراً، هذا لا بأس به». دخلت. كنت ملكاً ثانية...

ومن الجيد أن أنهيها بدلاً من أن أخبركم كيف خسرته، كان تركياً يضع دبوساً قرمزياً في ربطة عنقه، سلوكه رائع ومثقف. لم أكن محظوظاً لكن التركي فقد تأثيره أيضاً. آخر ما سمعته أنها كانت في

آلاسكا متزوجة من أسكيمو. أرسلت إليَّ صورة لطفلها، وقالت إنها ما تزال تكتب وهي سعيدة. قلت لها: «تمسكي بشدة، حبيبتي، إنه عالم مجنون».

وكما يقولون: كان يا ما كان.

الفهرس

هذا الكتاب

كانت إدنا تسير في الشارع وهي تحمل حقيبتها الخاصة بالبقالة، عندما مرّت بالسيّارة. رأت لافتة على النافذة الجانبية مكتوب عليها:

«مطلوب امرأة»

توقفت. وجدت قطعة كرتونية كبيرة ملصقةً على النافذة، أغلب حروفها مطبوعة بالآلة الكاتبة. لم تستطع قراءتها من مكان وقوفها على الرصيف. استطاعت أن ترى الحروف الكبيرة فقط:

«مطلوب امرأة»

ISBN 978-9933351588



